الآداب

مجلة ثقافية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية والإبداع تصدرها كلية الآداب والألسن - جامعة ذمار

أ.د. عبد العزيز المقالح
أ.د.عادل محي الدين الآلوسي
أ.د. صبري مسلم
د. ياسين طه العسكري
د . حميد ضيدان
د .مسعد النجار
د. مارش أحمد سعيد
د. مهيوب غالب أحمد
د. جمال الدين إدريس
د. عبدالكريم الخلف
د. أحمد ياسين السامراني
د. محمد الصانع
عباس الديلمي
اسماعيل الوريث
محمد عبد السلام منصور
محمد الشرفي
محمد حسين هيثم
محمد الغربي عمران
عبد الحفيظ النهاري
د . وجدان عبد الإله الصانع

الآداب
العدد صفر
إبريل 2001

2001
العدد صفر - إبريل
صفر ١٤٢٢هـ

الآداب

مجلة ثقافية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية والإبداع

تصدرها كلية الآداب والألسن - جامعة ذمار

رئيس الهيئة الإشرافية

أ.د عبدالله محمد المجاهد

رئيس جامعة ذمار

نائب رئيس الهيئة الإشرافية

أ.د. جابر السنباني

النائب الأكاديمي لرئيس الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. عادل محي الدين الألوسي

نائب رئيس التحرير

أ.د. صبري مسلم

مديرة التحرير

د. وجدان عبد الإله الصانع

هيئة التحرير

أ.د. زهير مغامس — د. ياسين طه العسكري

د. مسعد النجار — د. مارش أحمد سعيد

د. صلاح البهنسي — د. فينود كومار

الخبير اللغوي

د. سعدون الدليمي — د. خزعل فتحي زيدان

سكرتارية التحرير

أ. علي السوسوه — أ. عصام عبد المغني

متابعة

يحيى عبدالله داديه

إخراج فني

علي محمد الوشلي

المراسلات

مجلة الآداب

كلية الآداب والألسن

جامعة ذمار

محافظة ذمار

الجمهورية اليمنية

قواعد النشر

مجلة الآداب – مجلة ثقافية مُحكّمة تعنى بالعلوم الإنسانية والإبداع تصدرها كلية الآداب والألسن جامعة ذمار وهي مجلة أكاديمية متخصصة ترحب بالبحوث والدراسات التي تتميّز بالأصالة والجدة ، وتسهم في إضاءة أفق التلقي بألق المعارف الإنسانية وإثارة السؤال حول المشهد الثقافي العربي .

ترحب الآداب بمشاركة الباحثين والكتّاب فيها وتقبل للنشر الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية وفقاً للشروط التالية :

1- تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري ووفق معايير القبول الأكاديمية التي هي الموضوعية والجدة في الرؤية والدقة في التوثيق والتأصيل .

2- لا يقبل نشر البحوث التي تتجاوز 6000 كلمة (20 صفحة A4) .

3- تقدم المواد مصفوفة على الحاسوب مع نسختين .

4- يكون توثيق الهوامش في نهاية المادة ويُراعى في توثيق المراجع توثيقاً دقيقاً وترقيماً موحداً وعلى النحو التالي:

الكتب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، اسم المطبعة ، رقم الطبعة ، مكان الطبع ، تاريخ الطبع ، الصفحة .

الدوريات: اسم المؤلف ، اسم المقال ، اسم المجلة ، العدد ، المطبعة ، مكان الطبع ، التاريخ، الصفحة

الرسائل الجامعية : اسم صاحب الرسالة ، عنوانها ، الجامعة والكلية ، تاريخ إجازتها ، الصفحة.

5- يرفق الباحث مع بحثه سيرة علمية ويكتب في رأس الصفحة عنوان البحث ، واسم الباحث ورتبته العلمية ، ومنصبه الإداري إن وجد .

6- المواد التي يقترح المحكّمون إجراء تعديلات عليها أو إضافات عليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها .

7- وتتولى المجلة إبلاغ أصحاب المواد المرسلة بوصول المادة وبقرار لجنة التحكيم حول صلاحيتها بالنشر أو عدمه .

8- تنشر المجلة ملخصات الرسائل الجامعية المجازة وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية وعروض الكتب في مجالات الآداب واللغات الإنسانية والعلوم الإجتماعية .

9- تمتنع المجلة عن نشر أية مادة سبق نشرها .

10- أصول المواد المرسلة للمجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

المحتويات

في البدء	كلمة رئيس الهيئة الإشرافية	6	أ.د. عبدالله الماهد
	كلمة نائب رئيس الهيئة الإشرافية	7	أ.د. جابر السميساني
	كلمة رئيس التحرير	8	أ.د. عادل محي الدين الألوسي
الدراسات الإسلامية	قاعدة الإلتزام والتصرف بالإرادة المفردة	10	د. عبدالكريم عبدالحبيب الجلف
اللغة العربية	شعرية التضاد في المسرح اليمني	22	أ.د. صبري مسلم
	قصيدة النافذة في الشعر اليمني المعاصر	37	د. وجدان الصائغ
التاريخ	موقف الرأي العام العربي من التسلط التركي	53	أ.د. عادل محي الدين الالوسي
	نظرية البطل في التاريخ	61	د. ياسين العسكري
	البعثة الأوربية بين مؤتمرين	77	د. جميل دولاب صبالان
	بعض ملامح النشاط التجاري والنظم السياسية لعرب جنوب شبه الجزيرة	98	د. مهيوب غالب أحمد
الآثار والمتاحف	مديرية عتمة : شواهد أثرية وتاريخية	110	د. جمال الدين إدريس
جغرافية	تحليل جغرافي لأوضاع السكن في اليمن	117	د. مارش احمد سعيد
	جيومورفولوجيا جبل النسي	148	د. احمد السلامراني
	(بحث مشترك)		د. علي مشعل
علم النفس	الإرشاد النفسي في المجتمع الإسلامي	162	د. مسعد النجار
أفق إبداع	منامات الضعاني	177	أ.د. عبدالعزيز المقالح
	ذاكرة الأشياء	184	محمد عبدالسلام منصور
	إشراقة	188	عباس الديلمي
	المشكاة	191	محمد الشرفي
	أيتها الحرية الحبيبة	196	إسماعيل الوريث
	في زحمة الخوف	198	عبدالحفيظ النهاري
	أسباب تقلب الموالد وتنحرش بالعابرين	201	محمد حسين هيثم
	الولد الغراب	204	محمد الغربي عمران
متابعات	مهرجان أحمد الوريث الثقافي	207	أ.د. صبري مسلم
	رسالة كلية الآداب	209	د. مارش احمد سعيد
	رسالة كلية التربية	218	د. محمد الصايغ
في الختام	كلمة مديرة التحرير	221	د. وجدان عبد الإله الصائغ

- المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة
- ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية

كلمة رئيس الهيئة الإشرافية

بقلم أ.د. عبدالله المجاهد
رئيس جامعة ذمار

تشكل الدراسات الإنسانية أهمية بالغة في عالمنا المعاصر لما لهذه الدراسات من تأثير في صقل شخصية الأفراد وتهذيب نفوسهم بإتجاه خير البشرية التي أرهقتها الماديات والتقنيات والمخترعات . واليمن في عهد صانع الوحدة ومؤسس الدولة اليمنية الحديثة القائد الرمز علي عبدالله صالح شهدت تطورات وتحولات ونقلات نوعية شملت مختلف جوانب الحياة في مقدمتها الاهتمام بتنمية مدارك الإنسان اليمني وتهيئته لمعايشة مستجدات القرن الحادي والعشرين من خلال الاهتمام بقطاع التعليم العالي الذي بلغ ذروته في عام 1996م بافتتاح عدة جامعات على نطاق الجمهورية ، كان من بينها جامعة ذمار الفتية التي تضم الآن إحدى عشر كلية علمية وإنسانية، ولكلية الآداب والألسن بالجامعة دور كبير في تأهيل وإعداد أجيال يمنية مسلحة بالعلم والإيمان وحب الوطن اليمني الموحد بالإضافة إلى اهتمامها بالبحث العلمي الذي أصبح سمة من سمات مؤسسات التعليم العالي.

وفي هذا العام الذي يسبق بداية العقد الأول من عمر الجامعة يأتي إصدار العدد(صفر) من مجلة الآداب التي تصدرها كلية الآداب والألسن ، هذه الكلية التي تميزت بنشاطاتها الثقافية في المجالات الأدبية واللغات القديمة والحديثة والعلوم الإنسانية الأخرى.

وهيئة الإشراف تجدها فرصة سانحة للإشادة بهذه الجهود وتدعو الباحثين للإسهام في نشر بحوثهم من خلال هذه الدورية العلمية المحكمة ..

والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه خدمة الثقافة في وطني الحبيب اليمن السعيد

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾

صدق الله العظيم

كلمة نائب رئيس الهيئة الأشرافية

أ.د. جـابـر السنبـاني
النائب الأكاديمي لرئيس جامعة ذمار

ما من جامعة رصينة إلا وتشترط على التدريسيين فيها أن ينتجوا بحوثاً في مجال تخصصهم تكون أساسا في تدرجهم العلمي . ذلك إن مهمة البحث والتقصي لا تقل أهمية وبأي حال من الأحوال عن مهمة التدريس ، لأنها تضع التدريسي في حالة نمو دائم بحيث لا يفوته ما يستجد في مجال تخصصه .

وإذا كان هذا ينطبق على التخصصات العلمية والأدبية على حد سواء فإن كلية الآداب والألسن في جامعة ذمار أتيح لها كادر تدريسي متخصص فمض بإصدار مجلة منهجية محكمة لأول مرة ، تستوعب العلوم الإنسانية ونأمل أن ينهض الجناح الآخر لجامعة ذمار — وأعني به الجانب العلمي والتطبيقي — بمجلة مماثلة في ظل تطور جامعة ذمار الفتية ونمو ملاكاتها التدريسية ، لاسيما أن الدولة — وبتوجيه مباشر من فخامة الرئيس علي عبدالله صالح— تولي أهتماماً خاصاً للتعليم العالي والبحث العلمي وليس أدل على ذلك من تخصيص وزارة للتعليم العالي والبحث العلمي تتولى شؤون الجامعات اليمنية الناهضة.

اشتملت مجلة الآداب في عددها الأول موضوعات شتى غطت معظم تخصصات أقسامها الثمانية ، وتسعى بوعي منها إلى أن تبدو منوعة بحيث لا يطغى فيها قسم على آخر . وقد رأت إدارة المجلة أن مبدأ التنويع يعرض أفقاً آدبياً يضفي على المجلة طابعاً تشويقياً لا يضير الجانب العلمي فضلاً عن إنه يعزز الصلة بين الوسط الثقافي والأدبي من جانب ، والوسط الأكاديمي من الجانب الآخر .

ولا بد لي من أن أشير إلى أن التحكيم في هذا العدد اعتمد بدرجة أساس على خبرات جامعة ذمار وتخصصات التدريسيين فيها . بيد إن بعض البحوث استعنا في تقويمها بأساتذة مختصين من جامعة صنعاء خاصة . ونطمح إلى أن نرسي تقاليد في هذا الشأن بحيث تترصن بحوث المجلة وتستقر على النحو العلمي المتقن .

ولا يسعني في الختام إلا أن أثني على جهود هيئة تحرير المجلة وإداراتها وأدعوهم إلى مزيد من الإنجاز والترسيخ لأسس البحث الأكاديمي الجاد متمثلين بقول الله — جل شأنه—في محكم كتابه المجيد :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

والله ولي التوفيق والسداد

كلمة رئيس التحرير

أ.د. عادل محي الدين الألوسي
عميد كلية الآداب والألسن

على مدى عقد من الزمن وهو العمر الإفتراضي لجامعة ذمار ومثقفي وأكاديمي هذه المدينة يتطلعون إلى إصدار مجلة باسم الجامعة . وهو حق مشروع بل أنه جزء لا يتجزأ من نشاطات أية جامعة ..... ودارت الأيام وكان عامنا المبارك هذا وطرحت فكرة أن تبادر كلية الآداب والألسن إلى إصدار مجلة محكّمة باسمها وعزز هذا المقترح مجلس الكلية ممثلاً بالأخوة رؤساء الأقسام وحين حملناه إلى رئاسة الجامعة وجدنا أذناً صاغية من لدن الأستاذ الدكتور/ عبد الله المجاهد رئيس الجامعة ونائبه الأكاديمي الأستاذ الدكتور/ جابر السنباني جزاهم الله خيراً ، وقد بدأنا في الكلية نتدبر الأمر ونعمل على تذليل الصعوبات بكل جدٍ ومثابرة ، جاءنا بحث وتلاه ثانٍ وثالث.... فتبادلنا نحن أساتذة الكلية تقويم البحوث ومراجعتها فكرياً ولغوياً وطباعياً تطوعاً وإحتساباً ، وسرعان ما وجدنا أنفسنا في الشوط إلى نهايته ، وهكذا رأى العدد (صفر) في مجلة الآداب التي تصدرها كلية الآداب والألسن بجامعة ذمار النور ، حقاً كانت ولادة صعبة وكادت تكون متعسرة لولا الإصرار والحماس الذي نحن عليه في هيئة التحرير ، وجاءت بحوث المجلة مع ما فيها من خصوصية مكانية متميزة بالدقة والعمق والموضوعية ، إننا نعمل بالموجود على قصوره ونصفق له ونباهي به ولا تنسى الطموح في أن تكون الأعداد القادمة أفضل وإلى الأفضل والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا إلى إعادة اللحمة بين الجامعة والمجتمع اليمني ولا سيما مجتمع مدينة ذمار التي تعد من حواضر اليمن التي يشار إليها كما يشار إلى قرناو وصرواح ومأرب وظفار لما لذمار من خصوصية التواصل والإنتماء لماضٍ مجيد وحاضر زاهر وبما أنجبت من علماء ومفكرين وشعراء وأدباء وقادةً أحبوا اليمن وافتدوه بأرواحهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود . الشكر وافر لكل من أسهم في ولادة هذا الوليد البكر الذي إنتصفت فيه الإرادة لصالح الثقافة الأكاديمية في ظل وحدة اليمن السرمدية.

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾

صدق الله العظيم

قـاعدة الإلتـزام والتصرف بالإرادة المنفـردة في الفقه الإسـلامي بحث مقارن

د. عبدالكريم عبدالحميد الخلف *

المقدمـة :

الحمد لله المنفرد بالقدرة والملك والسلطان القائل في كتابه العزيز ((تبارك الذي بيـده الملـك وهو على كل شيء قدير)) .أحمده حمداً يليق بجلاله غمرنا بنعمائه ، ووهب لنا العقـول فاسـتخدمناها بتوفيقه وهدايته إلى ما خلقت له ، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به ، وأشهد أن لا إلـه إلا هو وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ونبيه المجتبي ورسوله المصطفى ، صلـوات ربي وسـلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن أهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما بعـد : فقد أخترت الإرادة المنفردة لأبرز مجال وميدان التصرف الانفرادي ، والعقود التي تتم بها، ولكونها مصدراً من مصادر الالتزام ، وبما أن ميدانها واسع لجدها تنتج فيه آثاراً قانونية متعددة ومختلفـة ،

---

* رئيس قسم الدراسات الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة ذمـار

إذ أنها تكون سبباً لكسب الملكية كما في الوصية فضلاً عن كونها سبباً لاكتساب الانتفاع كما في الوقف وتكون سبباً في إسقاط عدد من الحقوق كما في التنازل ، عن حق الدين ، وكذا تكون سبباً في إبرام عقد قابل للإبطال كما في إجازة العقد الموقوف ، وقد تكون سبباً في إنهاء بعض العقود كما في الوكالة والوديعة والعارية وقد تنشأ بها تصرفات أخرى تتسم بالإيجاب فقط كما في الحوالة ، والكفالة ، والهبة ، وتنشأ بها أيضاً إلتزامات أخرى كالنذر والطلاق المجرد والرجعة ، وهكذا نرى أن ميدان الإرادة المنفردة شاسع واسع .

والفقهاء لم يتناولوا الإرادة المنفردة بشكل خاص ومنفرد بل تناولوها بشكل عام ضمن الفقه الإسلامي ككل ، والباحث في القضايا الفردية والتطبيقات الكثيرة التي أثري بها الفقه الإسلامي بإمكانه أن يستنبط من أحكامها التي قررها الفقهاء قاعدة الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي وسأحاول أن أثبت أهمية الإرادة المنفردة ، على أنها ليست بأقل من العقد نفسه سائلاً المولى عز وجل أن يرشدني إلى سواء السبيل ، وأن يوفقني إلى إغناء هذا البحث وإثباته بالشكل المطلوب ... والله ولي الهداية والتوفيق ...

أولاً : التصرف والالتزام

(أ) : تعريف التصرف :

والتصرف لغة : مشتق من صرف ، ومن معانيه : الحيلة أي القدرة على التصرف في الأعمال ومن معانيه أيضاً الاكتساب والاجتهاد. (1)

واصطلاحاً / ما صدر عن الشخص من قول أو فعل يترتب عليه شرعاً نتيجة من النتائج . (2)

وعلى ضوء هذا التعريف نرى أنه اشتمل على التصرفات القولية أو ما يقوم مقامها من كتابة أو إشارة ، والتصرفات الفعلية كقبض الدين مثلاً .والتصرفات القولية والفعلية يرتب عليها الشارع أثراً أو نتيجة من النتائج سواءً كانت النتيجة إنشاء حق ، أم إقراراً بحق ، أم إخباراً بثبوت حق وسواء كانت النتيجة في صالح الشخص أم في صالح غيره ، أو كان فيه ضرر كالقتل ، أو ظلم وعدوان للغير ففي القتل العمد مثلاً نجد الشارع قد رتب عليها القصاص من القاتل ، وكذلك سرقة مال الغير رتب عليها حد قطع يد السارق ، والزاني حد الجلد أو الرجم ، وغير ذلك من الآثار والنتائج الشرعية .

(ب) : تعريف الالتزام :

والالتزام لغة : هو الإيجاب على النفس كقولك : فلان التزم بكذا أي أوجبه على نفسه وألزمه غيره أي أوجبه عليه (3)

وإصطلاحاً : كلمة التزام ليس لها مصطلح خاص اصطلح عليه فقهاء الأمة ، والسبب في ذلك أنهم لم يهتموا بالقواعد العامة اهتمامنا بها اليوم ، بل أهتموا بالفروع أكثر وكما لا نستطيع أن نطلق عليها

التزاما في الوقت الحاضر ، ولكن بالتتبع والاستقراء نجد أن الفقه الإسلامي يشتمل على عدة روابـط [4] تتمايز في موضوعاتها وأحكامها تمايزاً خاصاً مما جعل الفقهاء الأقدمين لا يدمجونها في وحدة تنظمـها جميعـاً بأسم خاص يدل عليها بالرغم من اشتراكها في بعض الأحكام فاكتفوا ببيانها متفرقة ، وبيان أحكام كـل منها عند ذكر سببها الخاص بها [5] وأطلق الفقهاء عبارة ((إرادة شغل الذمة بشيء)) تعبيراً عـن كلمـة (التزام) [6] وقد تعرض الخطاب في رسالته ((فتح العلي)) في بحث مستقل سماه ((تحرير الكلام في مسـائل الالتزام لتعريف الالتزام)) [7] فقال : ومدلول الالتزام لغة : إلزام الشخص نفسه ما لم يكن لازمـاً لـه . وعلى هذا المعنى يشمل البيع والإجارة والنكاح وسائر العقود على خلاف عرف الفقـهاء فـهو إلـزام الشخص نفسه شيئاً من المعروف مطلقاً أو معلقاً على شئ فهو بمعنى العطية ، وقد يطلق في العرف على مـا هو أخص من ذلك : هو التزام المعروف بلفظ الالتزام وهو الغالب في عرف الناس اليوم[8]

وعندما كثر استعمال كلمة الالتزام في عصرنا الحديث استعارة من الفقه الوضعي اجتهد أساتذتنا في وضـع تعريف للالتزام كل على حسب نظرته إليه ، ولكثرة التعاريف وتعددها لم أذكرها في بحثي خشية الإطالـة ولكن يمكننا أن نستخلص منها تعريفا للالتزام بالاستعانة بالفقه الوضعي فنقول : ((الالتزام هو التصـرف المتضمن إرادة إنشاء حق من الحقوق [9] أو إنهائه [10] أو إسقاطه [11] دون أن يتوقف تمامه على الـتزام أو تصرف من جانب أخر .

(ج) : العلاقة بين التصرف والالتزام :

العلاقة بين التصرف والالتزام علاقة العموم والخصوص .فالتصرف عام يشمل الالـتزام كـالبيع ، والوقف ، والإبراء وغيرها من الالتزامات ، وقد يكون خالياً من كل التزام كالإخبار بدعوى أو الإقـرار بحق مما ليس فيه إنشاء التزام أو إسقاطه أو التنازل عنه .

أما الالتزام فخاص لأنه نوع من التصرف أو جزء منه ، وإن كان بعض أساتذتنا قد عرف التصرف بأنـه ((ما يلتزمه الشخص مطلقا)) . فتكون العلاقة بين التصرف والالتزام علاقة المساواة فكل التزام تصـرف وكل تصرف التزام [12]

(د) : مصادر الالتزام :

من مصادر الالتزام السبب الشرعي الذي أنشأ الالتزام فمثلا المشتري بدفع الثمن مصدره عقد البيـع ، والتزام الأب بالنفقة على أولاده مصدره عقد الزواج وكلها أسباب شرعية .

ومصادر الالتزام في الفقه الإسلامي لم تجمع وتحصر كما جمعت وحصرت في الفقه الوضعي ، ولكن بتتبع النصوص الفقهية الشرعية يمكننا جمع وترتيب مصادر الالتزام في الفقه الإسلامي فمصدر الالتزام إما أن يكـون عمل يباشره الإنسان بمحض اختياره يوجب به حقا على نفسه لغيره ، ويقره الشرع عليه وبالتالي يجب عليـه الوفاء به بحكم العقل والشرع وهذا العمل إما أن يكون عبارة عن توافق إرادتين كالبيع والإيجار وهو ما يعـبر

عنه بالعقد بمعناه الخاص وإما أن يكون إرادة منفردة كالطلاق المجرد والرجعة والوقف والوصية ، وإما أن يكون مصدر الالتزام الإيجاب فقط ابتداءً من الشرع وذلك لحكمة يقتضيها الشرع والعدل الإلهي كالإنفاق على الأقارب أو ترتيباً على فعل صدر عن الإنسان لم يقصد به أثناء صدوره ترتيب أي التزام عليه لكن الشرع رتب عليه الالتزام وهو ما كان سببه المباشر فعلاً ضارا يصبح به الفاعل ملزما بتعويض الضرر . إما أن يصلح ما أتلفه أو يعيده إلى حالته الأولى وإما أن يضمنه بالمثل أو القيمة . وإما ن يكون مصدره صيرورة الإنسان بهذا الفعل دائناً لغيره شرعاً وهو ما كان فعلاً نافعاً لهذا الغير ، وعلى ما تقدم يمكن حصر مصادر الالتزام في الفقه الإسلامي على النحو الآتي :-

1. العقد .
2. الإرادة المنفردة .
3. الشرع .
4. العمل الضار .
5. العمل النافع وهو ما يعبر عنه في عصرنا الحاضر بتعبير (الإثراء بلا سبب)

(هـ) : مكانة الإرادة المنفردة من مصادر الالتزام[13]

مما تقدم يتضح أن الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي مصدر من مصادر الالتزام شأنها شأن العقد والعمل الضار أو العمل النافع او الشرع ، وأنها تنشئ التزاماً توجب به حقاً في جانب صاحبها بعبارته الكاشفة وحدها ومن أهم الأمثلة على ذلك . الطلاق المجرد والرجعة والوصية والوقف والإبراء من الحقوق أو إسقاطها فمجرد قول الرجل لأمرأته أنت طالق وقول المطلق طلاقاً رجعياً راجعتك ، وقول المشتري للبائع أبرأتك من العيب الذي يظهر في المبيع طلقت الزوجة وعادت المطلقة إلى عصمة زوجها ، وبرئ البائع من العيب من غير توقف على القبول من الطرف الأخر أو التزام منه والأمثلة على ذلك كثيرة يمكن استخراجها من النصوص الفقهية لذلك يتم الالتزام في هذا جميعه بالإرادة المنفردة التي تظهرها العبارة ، ويترتب عليها آثار متعددة ، وقد تكون سبباً في اكتساب الملكية كما في الوصية ، واكتساب حق الانتفاع كما هو في الوقف وغير ذلك .

ثانياً :العقد والإرادة المنفردة

(أ) : ـ تعريف العقد :

العقد لغة : يطلق على معان متعددة أهمها الربط والشد والتوثيق والقوة ، وكل هذه المعاني يتضمنها معنى الربط ، وهو المعنى الأصلي لكلمة العقد يقال مثلاً عقدت الحبل عقداً . أي شددته وقويته أو جمعت بين طرفيه فقويت الاتصال بينهما ، وهذا يطلق على كل ما يفيد التزاماً وإن كان الأصل فيه الربط الحسي بين

أطراف الشيء ، ولكن العرب استعملوه للربط المعنوي الكلامي سواء كان توثيقاً وتقوية لكلام صادر من جهة واحدة كأن تقول : عقدت النية

والعزم على فعل شيء من الأشياء ، وهذا فيه ربط بين الإرادة وتنفيذ ما التزم به . أم كان ربطاً بين كلامين لشخص فيقال : عقد البيع والإجارة والزواج . فالعقد إذن عند اللغويين يشمل كل ما فيه معنى الربط أو التوثيق أو الالتزام من جانب واحد أو من جانبين ، ويطلق أيضاً على الضمان والعهد لأنهما من مصادر الالتزام [14]

واصطلاحاً : يطلق العقد على معنيين الأول خاص والثاني عام .

–أما المعنى الخاص فهو المشهور عند أهل العلم ، وهو ما يتسم به الأرتباط بين إرادتين من كلام وغيره مما يقوم مقامه من كتابة وإشارة ، ويترتب عليه التزام بين طرفيه .

جاء في كتاب شرح التوضيح على التنقيح ، والانعقاد هو : ارتباط أجزاء التصرف شرعاً [15] . وجاء في الهداية وفتح القدير : البيع ينعقد بالإيجاب والقبول [16] وقال صاحب العناية : الانعقاد هنا تعلق كلام أحد العاقدين بالآخر شرعاً على وجه يظهر أثره في المحل ، وجاء في شرح الخرشي : ينعقد البيع بما يدل على الرضا من قول من الجانبين أو فعل منهما أو قول من أحدهما وفعل من أخر أو إشارة منهما أو من جانب وقول أو فعل من الأخر [17] وجاء في المهذب : ولا ينعقد البيع إلا بالإيجاب والقبول[18] وجاء في المغني : والبيع على ضربين أحدهما الإيجاب والقبول ، والضرب الثاني المعاطاة[19] وجاء في فقه الزيدية – كتاب البحر الزخار : والعقد هو إيجاب وقبول لنهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الجاهلية كالمنابذة والحصاة [20]

وهذه النصوص وغيرها تبين أن العقد لا يكون إلا فيما يحدث بين اثنين من تعاقد ، أو بمعنى أخر ما يتوقف الالتزام فيه على اجتماع إرادتين ، وبناءاً على ذلك فالطلاق والرجعة واليمين والنذر والإبراء والوقف والهبة والوصية والكفالة وإنهاء العقود وإسقاط الحقوق وما ماثل ذلك مما يتم بإرادة واحدة لا يكون عقداً بل تصرف بإرادة منفردة .

- وأما المعنى العام للعقد فأوسع وأشمل من المعنى الخاص حيث يرى القائلون به أن العقد يشمل ما كان الالتزام فيه بإرادة واحدة من غير توقف على شيء آخر فلا يقابلها التزامات أخرى على طريق التبادل من الطرف الأخر كالعزل من التوكيل ، والنذر ، والعتق ، والصدقة ، والوقف ، والطلاق المجرد وما شابه ذلك من تصرفات بإرادة منفردة ، كما يشمل ما كان الالتزام فيه من الجانبين كالبيع والزواج وغيرها مما يتوقف الالتزام فيه على اجتماع إرادتين ، وهذا الرأي أقرب بكثير إلى المعنى اللغوي من الرأي الأول ، وهناك تعريفات كثيرة بالمعنى العام منها ما جاء في قول الجصاص : أن العقد ما يعقده العاقد على أمر يفعله هو أو يعقد على غيره فعله على وجه إلزامه إياه ، فالبيع

والنكاح وسائر عقود المعاوضات تسمى عقوداً لأن كل واحد منهما قد ألزم نفسه الوفاء بـه وسمـي اليمين على المستقبل عقداً لأن الحالف قد ألزم نفسه الوفاء بما حلف عليه من فعل أو تـرك ، ومثلـه العهد ، والأمانة لأن معطيهما قد ألزم نفسه الوفاء بهما ، وكذلك كل شرط شرطه الإنسـان علـى نفسه في شيء يفعله في المستقبل فهو عقد ، وكذلك النذور وإيجاب القرب وما جرى مجرى ذلك .[21]

وجاء في رد المحتار في بيان تعليق العقود على الشروط واقترانها بها : ما كان مبادلة مال بمـال يفسـد بالشرط الفاسد ويبطل تعليقه أيضاً لدخوله في التمليكات لأنها أعم ، وما ليس بمبادلة مال بمال إن كـان من التمليكات أو التقييدات يبطل تعليقه بالشروط فقط ، وإن لم يكن منها فإن كـان مـن الإسـقاطات والالتزامات التي حلف بها يصح تعليقه بالملائم أو غيره وأن كان من الإطلاقات والولايات والتحريضـات يصح تعليقه بالملائم فقط[22] ، ولا ريب أن الاسقاطات والالتزامات التي يحلف بها ليسـت الالتزامـات بإرادة واحدة ولكن أطلق عليها عقد ، وهذا لا يكون إلا بتفسير للعقد بالمعنى العام .

وجاء في التحرير وشرحه ما خلاصته : العقد نوعان هما :

الأول : ما ينفرد به عاقد واحد كالنذر والحج واليمين والعمرة والصوم والوقف إذا كان علـى جهـة ، والاعتكاف والطلاق والرجعة والعتق .

والنوع الثاني : وجود عاقدين أو إرادتين .....الخ [23]

وجاء في المغني في صدد الكلام عن بيع المعاطاة : (ولأن البيع مما تعم به البلوى فلـو اشـترط الإيجاب والقبول لبينه النبي صلى الله عليه وسلم بياناً عاماً ولم يخص حكمه ، وكذلك الحكم في الإيجـاب والقبول في الهبة والهدية والصدقة لم ينقل عن الرسول ولا عن أصحابه استعمال ذلـك فيـه ولـو كـان الإيجاب والقبول شرطاً في هذه العقود لشق ذلك) [24]

فنراه يطلق لفظ العقد على التصرفات بإرادة منفردة كالهبة والصدقة والهدية وجاء في مذكرة الالتزامـات للشيخ أحمد إبراهيم ما نصه (ورأى أنه لا مانع من تسمية ما يتم بالإرادة المنفردة وحدها عقداً علـى أن العقد المكون من إرادتين متوافقتين متقابلتين هو في الحقيقة عقد مؤلف من عقدين أحدهمـا مـن ناحيـة الموجب وثانيهما من ناحية القابل(25) ومن هذه النصوص وغيرها يتبين لنا أن العقد يشـمل مـا كـان الالتزام فيه بإرادة واحدة كما يشمل ما كان الالتزام فيه بإرادتين)

(ب) : العلاقة بين الإرادة المنفردة والعقد :

مما تقدم يتضح لنا أن المعنى العام للعقد قد أطلق مدلول العقد على ما هو أعم من اجتمـاع إرادتـين كما أطلق أيضاً على ما يتم بالإرادة المنفردة ، وعلى ذلك تكون التصرفات بالإرادة المنفردة جـزءاً مـن العقد ويكون العقد عاماً يشمل ما كان بارادتين أو بإرادة واحدة ، والتصرفات بالإرادة المنفردة خاصـاً إذ هي جزء من مدلول العقد .

أما على المعنى الخاص للعقد فقد جعل لكل من العقد والإرادة المنفردة ميدانه الخاص بـــه . فـالعقد يوجد عند اجتماع إرادتين لا إرادة واحدة ، وبهذا يكون العقد ما هو إلا الربط بين كلامين صادرين مـــن شخصين معبرين عن اردتهما في إنشاء التزام شرعي بينهما وهذا الربط إنما يتم بإصدار الإيجاب معلقاً علـى القبول وإصدار القبول موجهاً إلى الإيجاب ، وأما الإرادة المنفردة فتوجد عند إنشاء التزام أو تعـهد مـن جانب صاحبها بعبارته الكاشفه عنها وحدها دون التوقف على شئ أخر كما في الوقف أو الطلاق المجـرد والرجعة والوصية وعلى ذلك يكون للعقد مجاله فيما يتوقف نشوؤه على وجود إرادتين وللإرادة المنفـردة مجالها فيما لا يتوقف نشوؤه على وجود إرادتين بل تكفي إرادة واحدة .

ولا شك أن المعنى الخاص للعقد هو الذي يجب اعتبارة في نظري ، وهو ما أقمت علية بحثي هـذا لأن المعنى الأصلي لكلمة العقد في لغة العرب ((هو الربط)) والربط في إستعماله الحقيقي لا يكـــون إلا بـين كلامين أما إطلاق كلمه عقد على ما كان بإرادة واحدة فهو إطلاق مجازي، لأنه لا ربط فيه ، ولا شـك أن كل شئ أقرب إلى الحقيقة أولى بالاعتبار مما بُعد عنها، لأن الحقيقة من أهم مميزاتها تبادر معـنى اللفـظ إلى ذهن السامع من غير إحتياج السامع إلى قرينة وعدم سلب المعنى عما وضع له وعلـــى ذلـك فـالإرادة المنفردة تعتبر مصدراً للالتزام شأنها شأن العقد ولكل من العقد والإرادة المنفردة ميدانه ومجاله الخاص بـــه ولا يمكن للارادة المنفردة أن تدخل تحت مدلول كلمة (عقد) فهي إخرجات أو إيقاعات أو إيجابات [26]

ثالثاً : ظهور إصطلاح الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي

إصطلاح الإرادة المنفردة واستعماله في الفقه الإسلامي لم يظهر إلا عند الفقـهاء المتـأخرين في عصرنـا الحديث وقد إستعاروه من الفقه الوضعي ، ولم يظهر عند الفقهاء المتقدمين لو كان مسماه ومدلوله معروفـاً في الفقه الإسلامي منذ نشأته وذلك فيما يعبر عند الفقهاء بالإيجاب غير المقترن بالقبول ، ومن ذلك قولهـم : تصح الهبه بالإيجاب وحده في حق الواهب ، وجاء في البدائع :(أما ركن الهبه فهو الإيجاب من الواهـب فأما القبول فليس بركن استحساناً[27] وكقول الفقهاء : الكفاله تتم بإيجاب الكفيل وحده وكقولهم : يتـم الوقف بعبارة الواقف التي تدل على معنى الوقف وذلك إذا كان الموقوف علية غـير معـين اتفاقـاً [28] وكقولهم الرهن: أن ركنه هو الإيجاب وحده لأن الالتزام إنما هو من ناحيـة الراهـن[29] ، وكقولهـم في الوديعة : إنها تتم بمجرد الإيجاب في حق الأمانة فلو قال المغصوب منه للغاصب أو دعتك . بـريء مـن الضمان فكان المغصوب في يده أمانة قبل أم لم يقبل[30]

وعلى ضوء ما تقدم يتبين لنا أن ما يتم ويظهر أثرة بالإيجاب وحده في الفقه الإسلامي يطلق عليـه في عصرنا الحاضر الالتزام بالإرادة المنفردة ، إذن مدلولها معروف في الفقه الإسـلامي منـذ نشـأته . أمـا الاصطلاح اللفظي ليس إلا من صنع فقهائنا المعاصرين استعارة من الفقه الوضعي الغربي .

رابعا : شرعية الإرادة المنفردة –الإرادة المنفردة مصدر عام للالتزام

آراء الفقهاء في صلاحيتها كمصدر عام للالتزام

(أ) : شرعية الإرادة المنفردة :

والأصل في جواز الالتزام بإرادة منفردة واحدة في الفقه الإسلامي قوله تعالى ((قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم))[31] والصواع في القاموس . المكيال الذي يكال به أو الذي يشرب منه وهذا المعنى هو المقصود هنا ليكون هو والسقاية شئاً واحدا . وزعيم : أي كفيل بأدائه إلى من يأتي به . والقصة أن يوسف عليه السلام عندما تأمر عليه أخوته حسدا له ، وأكرمه الله بأن صار أمين بيت المال لدى ملك مصر ثم جاء أخوته طلبا لبعض الحبوب فعرفهم وعمل على أخذ أخيه واستبقائه لديه بطريق دس السقاية في رحله ، وقال يوسف عليه الصلاة والسلام "إنكم لسارقون فأنكروا فقال لهم : لقد فقدنا صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير من الحبوب وأنا به زعيم وضامن . فقد التزم هذا التابع بإرادته المنفردة

(ب) : الإرادة المنفردة مصدر عام للالتزام :

ميدان الإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي واسع ونجدها تنتج آثارا قانونية في إنشاء الالتزام ،وإنتاج الآثار القانونية المختلفة . فقد تكون سببا لاكتساب الملكية كما هو في الوصية عند الفقهاء وقد تكون سببا لاكتساب حق الانتفاع كما في الوقف عند الاحناف ، وفي إسقاط بعض الحقوق المحضة بالاتفاق بين أهل العلم كما في إسقاط الشفعة وفي ابرام عقد قابل للإبطال كما في إجازة العقد الموقوف ، ، وكذلك في الطلاق المجرد والرجعه والنذر وما ماثل ذلك .

وقد تكون الإرادة المنفردة مصدرا وسببا للالتزام المالي والمقصود هنا الدين كما في الكفالة والهبة والنذر والوصية وقد تكون مصدرا وسببا للالتزام غير المالي كما في الطلاق والرجعه وإلغاء الوكالة وإسقاط الشفعة وغير ذلك .

آراء الفقهاء في صلاحيتها كمصدر عام للالتزام[32] .

أتفق الفقهاء على أن الإرادة المنفردة لا تصلح مصدرا وسببا عاما للالتزام في غير الأموال ولكن تكون سببا ومصدرا فقط على وجه الإجمال ، وفي بعض الأحوال وهي أحوال مقصورة ذكرها الفقه الإسلامي ونص عليها فمن قال حرمت على نفسي هذا الشراب أو اللباس أو الطعام وكل منها حلال عليه لا يترتب عليه الالتزام لأنه التزام في غير الأموال وسبب ذلك لو أننا الزمناه بقوله هذا لأدى إلى الفوضى والشدة والعسرة وإلى تحريم المباحات وهذا غير جائز شرعا لقوله تعالى((يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم))[33] وقوله ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات

ما أحل الله لكم))[34] ، وقوله عز وجل ((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق))[35] وعلى ما تقدم نرى أن من حرم على نفسه لباسا أو طعاما أو مباحا آخر وكان كل منها حلال له لم يلزمه تحريم ومن أمثلة ما كانت الإرادة المنفردة مصدرا فيه لغير الأموال ما يأتي :

1- إسقاط الشفعة : إذا أسقط الشفيع شفعته سقط حقه .

2- الإسقاط المحض الذي لا يحمل معنى التمليك ، وهذا النوع من الإسقاط عند الفقهاء معناه زوال الحق أو تلاشيه نهائيا ، وعدم نقله إلى غير المختص به سواء كان هذا الزوال بعوض أو بغير عوض ، وبمجرد صدور العبارة بإرادة صاحبها المنفردة فإذا قال الدائن للكفيل أبرأتك من الكفالة سقط حق مطالبته بالدين ، ولم يكن له إلا مطالبة المدين الأصلي .

3- الطلاق :المطلق يلزمه الطلاق وينحل العقد بينه وبين زوجته ويفرق بينهما بمجرد قوله لها (أنت طالق)[36] وأختلف الفقهاء في صلاحية الإرادة المنفردة كمصدر عام للالتزام في الأموال على قولين : الأول قول الجمهور:- الإرادة المنفردة لا تصلح أن تكون مصدرا عاما للالتزام المالي كما هو في الالتزام غير المالي وإنما هي مصدر إجمالي فقط وفي بعض الأحوال المنصوص عليها في الشرع استدلوا بقولهم ((إن من التزم بارادته المنفردة إنما هو متبرع لا يلزم بالمضي في تبرعه لقولة تعالى ((ما على المحسنين من سبيل))[37] ولأننا لو ألزمناه بارادته المنفردة في كل التزام لأدى به الأمر إلى أنه لا يحق له العدول عن التزامه ، وهذا خلاف الأمر بالمعروف الذي جرى في حياتهم العملية .

وأما الآيات والأحاديث التي أوجبت على الإنسان الوفاء بوعده وعهده . إنما هي لغرض النصح والإرشاد وبيان الأولى والأفضل مثلها كمثل الأمر بكتابة الدين فالتزام الملتزم بالوفاء هو أولى له وأفضل ، وله الأجر والثواب وإذا لم يلتزم بالوفاء فلا شيء عليه قضاءً وعليه الآثم في الآخرة هذا فيما عدا ما نص عليه الفقه الإسلامي .والقول الثاني لبعض فقهاء المالكية : إنها مصدر عام للالتزام المالي ، وهو التزام بالدين في جميع أحواله ، واستدلوا على قولهم أن هناك نصوصا كثيرة أوجبت التزام الإنسان بما صدر منه من عهد ، ومن هذه النصوص قوله تعالى((يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون))[38] وقوله تعالى ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا))[39] وقوله تعالى((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود))[40] وقولة تعالى ((والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار))[41] فهذه النصوص القرآنية تدل جميعها على وجوب التزام الإنسان بما يصدر منه من عهد وهو عام في كل التزام وعلى ذلك تكون الإرادة المنفردة مصدرا عاما في الالتزام المالي في جميع صوره وأحواله .

وفي نظري أن رأي المالكية هو الراجح والأولى بالقبول بدليل أن الإرادة المنفردة إذا صلحت أن تكـون مصدرا في بعض حالات الالتزام تصلح كذلك أن تكون مصدراً في غيرها إذ لا فرق بين إلـتزام والـتزام حتى تكون مصدراً في بعضه ولا تكون مصدراً في بعضه الآخر وعلى ذلك أرى أن الإرادة المنفردة مصـدرا عاما في كل التزام ومن أمثلة الالتزام المالي.

1- الكفالة : فالكفيل يلتزم بأداء الدين للدائن بدلا من المدين ولو لم يقبل المدين أو الدائن ، ومـن المعلوم أن الكفالة عند أهل العلم هي ضم ذمة إلى ذمة في المطالبة بدين أو عين أو نفس .

2- الوصية : فالموصي إذا التزم بالنزول عن شيء من ماله بعد وفاته لشخص ما أو لجهة من جـهات الخير ومات مصرا على وصيته لزمت الثلث أو زاد وأجاز الورثة هذه الزيادة .

3- النذر : إذا نذر الناذر بشيء يصبح الناذر مدينا بما نذر بمجرد قوله . فمن قـال : نـذرت لله أن أتصدق بعشرة جنيهات على الفقراء لزمه ذلك في ذمته بمجرد الانتهاء من عبارته [42]

- وخـلاصـة القـول :

أن الإرادة المنفردة يمكن أن يوضع لها قاعدة خاصة بها ، ويكون لها تطبيقاتها المختلفـة، وكمـا وضع للعقد قاعدته المشهورة وتطبيقاته الواضحة .

1- فالإرادة المنفردة كما رأينا مصدر من مصادر الالتزام شأنها شأن المصادر الأخرى كما أنها صالحـة لأن تكون أساساً لتصرفات شرعية تترتب عليها آثار شرعية .

2- كذلك للإرادة المنفردة مجالها الخاص بها كما أن للعقد مجاله الخاص به ، وذلـك أخـذاً بـالمعنى الخاص للعقد الذي اخترناه واعتمدناه .

3- وللإرادة المنفرده مجالها الواسع ، ونراها تنتج فيه آثاراً متعدده . وإن اختلفت سـعته بـاختلاف المذاهب الفقهية .

4- وارتضينا أن تكون الإرادة المنفردة مصدراً عاماً للالتزام في الأموال بجميع صوره وأحواله.

5- ورأينا التزمات وتصرفات تنشأ بالإرادة المنفردة في الفقه الإسلامي . منها ما يراد به التمليك أو حق من الحقوق . كالوصية ، والوقف،والجعاله ، والهبه ،والعارية ، والنذر، والرهن، والكفالة، ومنها ما لا يترتب علية تمليك .وأخيراً هذه صورة واضحة لقاعدة الالتزام والتصرف بالإرادة المنفردة رسمت معالمها من الفقه الإسلامي ، وهذا ما وفقني الله به لتدوينه في هذا البحث . سائلاً الموالى عز وجل أن يكون عملاً نافعاً خالصاً لوجهه الكريم .

؛؛؛والحمد لله رب العالمين ؛؛؛

الـهوامـش

(1): القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ـ دار المأمون ط4 ـ 1357هـ ـ مادة (صرف) وللاستزادة ينظر المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، وآخرون ـ دار الدعوة ـ تركيا ـ1989م ـ مادة (صرف) .

(2): المدخل للفقه الإسلامي – للمرحوم الشيخ : عيسوي احمد عيسوي طبعة الذكرى سنة 1976م ،(ص/377) والمدخل للفقه الإسلامي للأستاذ – محمد سلام مدكور– دار الأندلس ، ط4 – بيروت –1987م ، ص509 -- 510 .

(3):القاموس المحيط مادة (صرف).

(4): ومن هذه الروابط : 1– إلتزام الدين 2– إلتزام بالعين أو بالمحافظة عليها 3– إلستزام بالعمل 4– إلتزام بالتوثيق 5– إلتزام بالإسقاط ، وهذه الأنواع تشترك في بعض الأحكام ، ومع ذلك تختلف في كثير من الأحكام التي يختص بها كل فرد منها

(5) : مصادر الحق في الفقه الإسلامي للمرحوم الدكتور/ عبد الرزق السنهوري الطبعة الثانية ، مطبعة بولاق القاهرة 1984م (9/1) ، وكتاب التصرف الانفرادي والإرادة المنفردة ـ الشيخ علي الخفيف ـ عالم الكتب ـ بيروت 1990م ص15 وما بعدها .

(6) : الأشباه والنظائر ـ زين العابدين أبن نجيم الحنفي ، مطبعة سجل العربي ،ط3، القاهرة –1982م (211/2) وقواعد الأحكام_ أبن عبد السلام الشافعي ، مؤسسة النور ،ط2 بيروت 1971م ، 117/2.

(7) : وردت رسالة الحطاب كاملة نقلها الشيخ عليش في كتابه ((فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك)) مؤسسة النور – بيروت 1971م – (181/1–313)

(8) : المرجع السابق بند (7) .

(9) : مثال ذلك الوقف

(10) : ومثال ذلك الطلاق

(11) : ومثاله : الإبراء من الدين

(12) : العرف والعادة للأستاذ (أبو سنة) مطبعة بولاق مصر – 1989م ، ص/147 ، والنظرية العامة للموجبات والعقود للمحمصاني – دار الفكر – دمشق 1981م – ص 132 .

(13) : نظرية الالتزامات ـ الدكتور شفيق شحاته ـ مطبعة بولاق ط2 1988م – ص170–171 ، ومصادر الحق للسنهوري ـ مطبعة بولاق ط2 1984م – (28/1) .

(14) : القاموس المحيط ـ مادة (عقد) .

(15): شرح التوضيح على التنقيح – شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس ألقرافي ـ الفنية المتحدة – القاهره 1393هـ (123/2) .

(16) : فتح القدير – محمد بن علي الشوكاني ـ دار الفكر – بيروت 1983م – (7/5)

(17): شرح الصغير – الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (أبو عبد الله) – دار الفكر – بيروت 1979م ، (5/5).

(18): المهذب– إبراهيم بن علي بن إسحاق الشيرازي – مطبعة عيسى الحلبي ط6 1986م (255/1)

(19) : المغني – لابن قدامة الحنبلي – مطبعة دار الكتاب العربي – بيروت 1392هـ – (3/4) .

(20) : البحر الزخار الجامع لمذاهب الأمصار – للإمام أحمد بن يحي المرتضى– مطبعة السعادة – مصر(د.ت) (297/3) .
بيع الحصاه : من بيوع الجاهلية يعقدون على الأرض التي لا تتعين مساحتها ثم يقذفون الحصاه حتى إذا استقرت كان ما وصلت إليه هو منتهي مساحة البيع ، وأما بيع المنابذة هو : أن ينبذ كل من المتعاقدين ما معه ويجعلان ذلك موجباً للبيع دون تراضٍ منهما وهذا منهي عنه في الشرع ، ينظر المهذب (17/4) والبحر الزخار (311/3).

(21) : أحكام القرآن للجصاص عند تعرضه لشرح آية (يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود) (294/2 , 295) .

(22) : رد المحتار على الدر المختار بحاشية ابن عابدين – محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (231/4) .

(23) : التحرير للشيخ – زكريا الأنصاري– مطبعة بولاق – مصر 1982م (3/2).

(24) : المغني – لأبن قدامه الحنبلي – مطبعة دار الكتاب العربي بيروت 1392هـ – (4/4و5)

(25) : مذكرة الالتزامات (ص/41) من جهة نظري لا أوافق على هذا الرأي لأنه يجعل جميع العقود عبارة عن تصرفات صادرة من جانب واحد يسبب ما يقتضي به الفصل بين الإيجاب والقبول وهذا يتعارض مع تكوين العقد من الناحية الفنية إذ أن الأساس في ذلك هو تحقق الترابط الوثيق من الإيجاب والقبول وما يفيده كل منهما لأن نشوء كل منهما بإرادة صاحبه معلق على نشوء الآخر ولا يصلح كل منهما مستقلاً عن الآخر لأنه يحقق الغرض الأصلي الذي قصد إليه الموجب والقابل ألا ترى أنه لو صدر التزام القابل مخالفاً لالتزام الموجب لم يترتب على ذلك أثر ولم يكن هناك عقد .

(26) : حاشية الدسوقي – علي الدردير – دارا لأدب العربي – 1375هـ – (2/3)

(27) :بدائع الضائع– علاء الدين الكاساني – مطبعة عيسى البابي الحلبي – 1972م – (115/6).

(28) : الشرح للدردير – مطبعة عيسى البابي الحلبي – 1974م – (72/2) .

(29) : بدائع الصنائع – لعلا الدين الكاساني – (219/6).

(30) : حاشية الشلبي – على الزيلعي– دار الأدب العربي – 1377هـ – (63/6) .

(31) : ((يوسف – 72))

(32) : المدخل إلى الفقه الإسلامي – الدكتور/ محمد يوسف موسى – دار الفكر – 1988م – ص 337 وما بعدها .

(33) : [التحريم الآية 1]

(34) : [المائدة الآية – 87]

(35) : [الأعراف – 32]

(36) :(المهذب (2 / 85)

(37) : [التوبة – 91]

(38) :[الصف – 2،3]

(39) : [النحل – 91]

(40) : [المائدة – 1]

(41) : [الرعد– 25]

(42) : المهذب – إبراهيم بن علي بن إسحاق الشيرازي – مطبعة عيسى البابي الحلبي – ط6 – 1986م – (241/2) .

شعرية التضاد في النص المسرحي اليمني
قراءه في مسرحية التحدي (1) لمحمد الشرفي

أ.د. صبري مسلم*

يعد التضاد – وربما أطلق عليه مصطلح الصراع – من أسرار العمل المسرحي وقـوة تأثـيره . ويحيل الصراع في المسرحية إلى عنصر الحدث خاصة إذ يحتاج إلى أن يشبه بطريقة وبأخرى مـا يحصـل في هذه الحياة . فالحياة نفسها بتجاربها المتشعبة مسرحية بصورة من الصور ، والتجربـة الإنسـانية مكتظـة بالحوادث التي يمكن أن تنمو باتجاه قمة أو ذروة ، والحوادث موجودة من حولنـا دائمـا ، وفي انتظـار الكاتب المسرحي الذي يصطفي منها ما يروقه والذي ينظمها ويشكل منها مـادة مسـرحياته [2] ويبـدو مصطلح التضاد أكثر شمولا من مصطلح الصراع في تعبيره عن هذه العنـاصر المشـتبكة داخـل العمـل المسرحي ، والتي قد تصل إلى حد التناقض والتناشز بيد إنها تصب في آخر المطاف في مصب إثراء العمـل المسرحي وإكسابه شكله المتفرد .

---

*نائب عميد كلية الآداب والألسن – جامعة ذمار

ومهما تعدّدت مظاهر التضادّ فإنها يمكن أن توضع في إطار نمطين اثنين هما : التضادّ الفني والآخر الدّلالي ، بمعنى أن تتقابل بعض الأدوات الفنية في المسرحية كالحوار من جانب والحدث من الجانب الآخر أو تترادف الجملة الحوارية الشعرية في مقابل الجملة الحوارية التقريرية . وربّما وقف الحوار الذاتي (المونولوج)[3] نداً قويّاً للحوار الخارجي (الدايولوج) [4] وبما يشكل ثنائيات متضادّة تدخل في إطار التضادّ الفنّي – كما أسميناه – وأمّا التضادّ الآخر (الدّلالي)فأنه غالباً ما يعمل داخل وعي الشخصيّات ويحرّكها باتجاه الفعل المسرحي (الحدث) وهو تضادّ قد ينبع من رؤية خيالية طامحة لتغيير الواقع بمعنى إن هذه الشخصيات ترفض الواقع كما هو عليه وتبني على ما في المخيّلة من طموح وربّما أوهام سرعان ما تتهاوى أمام قسوة الحياة وصلادة إحساسها في كثير من الأحيان . وغالباً ما ينشأ الصراع من الاغتراب الحادّ بين الشخصيّة والتقاليد الاجتماعية المحيطة بها . والمهمّ جداً في هذا الشأن أن لا يطغى الهمّ المضموني على العنصر الفني ، ويتحوّل الحوار المسرحي إلى مجرد خطب مملّة . ولكي تجد هذه الأفكار ميدانها التطبيقي في نصّ مسرحيّ فأنّ هذه الدراسة استندت إلى مسرحية التحدّي لكاتبها الشاعر/ محمد الشوفي ، وعلى النحو الذي فصّلت به السطور اللاحقة .

منذ السطور الأولى لنصّ مسرحية التحدّي نلمس هذا التضادّ الفنّي بين ما يتطلّبه الحوار الذاتي (المونولوج) والحوار الخارجي (الدايولوج) من أجواء مسرحية خاصة موصولة بوظائف الحوار التي قد تتركّز في ثلاث وظائف "أولاها : السير بعقدة المسرحية أي تقدّمها أو تدرّجها وتسلسلها ، وثانيتها : الكشف عن الشخصيات ، وثالثتها : مساعدة التمثيلية من الناحية الفنية في أثناء إخراجها" [5] وهذه الوظائف تنسحب على نمطي الحوار ، بيد إن الحوار الذاتي يحتاج إلى عناية أدق ، دلك إنه يعتمد على شخصية واحدة ، تقف على خشبة المسرح وتلقي حوارها تماماً كما يلقي الشاعر قصيدة ، لذلك فإن أقصى الاهتمام بمثل هذا الحوار يمكن أن ينقذ المتلقي من الملل ولاسيما إذا ما بدأ به استهلال النص المسرحي . إلا أن الكاتب يحاول أن ينفذ إلى جوهر الصراع المحتدم في أعماق بطلة المسرحية عبر هذا (المونولوج) الذي استهل به مسرحيته :

" جميلة : ليته ينشغل عني ، ليتني لا أراه ، أي محنة وقعت فيها ؟ أين أنت يا أبي ؟ لماذا وضعتني في هذا المنزل وسافرت ؟ ألا تدري من أصبح عمي ، أخوك ؟ تعال وانظر أصبحت في ظله كالعصفورة في قبضة طفل شقي ، يعذبني بكلامه الجارح ، وأوامره غير المعقولة يطلب مني ما لا أستطيع الموافقة عليه ، أن أحتجب وألبس السواد أو أقطع دراستي الجامعية ، وألزم المنزل ، إنه يحمل لي كلّ يوم رأياً ونصيحة ضدّ أن أتعلّم وضدّ ضرورة التعلم للمرأة ، ويؤلب ضدي كل نساء الأهل ، ويدفعهن لمشاغبتي ، وتوجيه أقسى اللوم والتقريع إليّ . توسلت بالجميع لإقناعه بالعدول عن آرائه المجحفة بحياتي ومستقبلي إلا إنه مصرّ على ممارسة ضغوطه وتهديداته حتّى أنفذ له ما يريد (ثم تمثل حركاته وصوته)" [6] فنحسّ بأن هذا الحوار

الذاتي يعّوض عن سرد طويل يلجأ إليه كاتب الرواية أو القصة في حالات مماثلة في الفنّ القصصي ، ولكـنّ محنة المسرحي إنه ينبغي أن يوصل كلّ الجزئيات الضرورية لتأصيل الحدث والشخصيات عبر منفذ الحـوار بنمطيه (الخارجي والذاتي) وسرعان ما ينتقل محمد الشرفي إلى الحوار الخارجي إثر هذا (المونولوج) الـذي يبدو طويلا نسبيّا ولكنه ضروريّ

ومنذ المشهد المسرحي الأول – لم يقسّم الكاتب مسرحية التحدّي إلى مشاهد – فأنّـه يصعّـد الحدث الرئيس في المسرحية إلى أقصى مداه ، إذ يفضي الحوار الملغوم بين جميلة وعّمها (أبو جميـل) إلى أن يضرب العم ابنة أخيه بزجاجة مكسورة ، ويؤدّي هذا الموقف إلى حدوث جرح بليغ وتشـوّه في نصـف وجهها الأيمن ((تعود الأضواء تدريجيّا نجد جميلة وحدها في هيئة غير طبيعية وغرفتها في حالة فوضى ، آثـار تشوّه وجرح في نصف وجهها الأيمن تنتقل من هناك إلى هناك أو تقف فجأة بدون شعور ، وتارة تحـاول أن تتكلم ولا تقول شيئا أو تغرق في صمت مطبق ، تلبس السواد وتغطي رأسها ونصـف وجهـها بطرحـة (مقرمة) سوداء ، تتجه إلى أحذيتها تحتذي واحدة ثمّ تخلعها فجأة بأن ترميها من قدميها إلى إحدى الزوايـا بتأفف وعدم رضى تتجه إلى مرآتها ، وتتأمل في وجهها قليلا ثم تقلبها على ظهرها صارخة بقرف : لم أعـد أحتاجكِ ، أبتعدي عني أو انكسري إلى الأبد ، ثم تتجه إلى احد الرفوف تأخذ بعـض الدفـاتر والأقـلام تنشرها على الأرض ، وتأخذ كتاباً تقرأ فيه ، وتتمتم بصوت مسموع : حب وغزل وشعر ، وأنتِ يا كـل كتب الحبّ والغزل والشعر والفنّ والأدب لا قيمة لكِ ، ترميها ، تقف فجأة ، تحّرك عينيها هنا وهنـاك ، تهجـم علـى أواني الزهـور ، تركلـها بقدميـها بهسـتيريا ثمّ تتجسـه إلى النوافـذ ....) [2] .

ومن الواضح إنّ هذا المشهد يتطلّب مزيدا من الحوار الذاتي المعبّر عن طبيعة هذه الشخصية ومـن وحـي ظرفها القاهر إذ تنمو الشخصية باتجاه العقدة (وهي هنا العقدة المسرحية ويمكن أن تكون العقدة النفسـيّة في الوقت ذاته) وقد تكونت بفعل تأثير العاهة في وجه البطلة . ويظلّ (المونولوج)مهّماً بل ضرورياً كـي يعبّر عن تأثير العاهة وتوّغلها إلى أعماق الفتاة ، وكان لا بد من الإشارة إلى دور الزمن ومروره في غضـون هذا المونولوج " جميلة : (وحدها) وتّمر الأيام والشهور ، وثلاث سنين من عمـري وراء غرفـتي أسـامر الأشباح والظلام وأطياف الأحلام الضائعة ، قانطة ، يائسة . تعذّبتُ كثيراً ، وفكرت أكثر ، واكتشـفتُ أنني لا أتعذّب وحدي ، بل أعذّب أهلي ومعارفي معي ، ونزلتْ الإشاعات عـني أنـني انتحـرتُ ، أو اختطفتُ أو تزوجتُ بالاكراه شيخاً عجوزاً ، وتلمستُ جوانب نفسي وحالتي العقليـة وقـدرتي علـى مواصلة الحياة الطبيعية بشكل طبيعيّ وعاديّ ، فلم أجد ما يمنعني من القبول بواقعي الجديد ، والاقتناع بـه ، ولستُ أوّل امرأة ولا أخر امرأة ، وفتحتُ باب غرفتي وابتدأتُ أمارس الحياة الطبيعية ، داخل البيـت وخارجه . كان يسألني الأخرون عمّا وراء قناعي ، فأجيب أحياناً أنه ورم طارئ سـيزول أو أن القنـاع موضة ، أحببتها فاستخدمتها "[3] .

وحين ينتهي المشهد السابق يقّرر الكاتب قرارا صحيحا وهو أن ينهي دور (المونولوج) ويكتفي بالحوار الخارجي الذي يتطلّب حضور شخصيتين أو أكثر وهو يبدو أقلّ خطراً على عنصر تشويق المتلقي من النمط الأول (الحوار الذاتي)، بيد إنّ كليهما يؤدّيان الغرض ذاته ويستبقان في حلبة المسرحية الناجحة مثل فرسي رهان ، وإن كانت الغلبة في آخر المطاف للحوار الخارجي الذي يكسب المسرحية هيئتها المعروفة .

ومنذ السطور الأولى لهذا النصّ المسرحي نلمس نمطاً آخر من التضادّ الفنّي يتشكل من طبيعة الجملة الشعرية من جانب والجملة التقريرية من الجانب الأخر ، وهما تردان في نسيج الحوار ، ولكليهما وظيفته . والجملة الشعرية تحيل بطريقة وبأخرى إلى تاريخ المسرح وبداياته الشعرية " ومنذ أيام الكتاب المسرحيين اليونانيين أمثال ايسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدس وأرستو فانيس إلى أيام الكتاب العظام اللاتين وفي مقدمتهم بلوتوس وتيرانس ثم في عصر اليزابث ، هذا العصر الحافل بروائع المسرحيات الشعرية ، كان الكتاب يتخذون الشعر المسرحي وسيلة أساسية لكتابة مسرحياتهم)) [9] وليس من الضروري أن تكون الجملة الشعرية في إطار الحوار المسرحي موقّعة إذ قد تطبعها الصورة الفنية بطابع شعري فحين تقول البطلة عبر حوارها الذاتي مفصحة عن حلكة أيامها في كنف ذلك العم القاسي " أصبحت في ظله كالعصفورة في قبضة طفل شقي " [10] فأنها ترسم صورة تشبيهية دالة . أو إن البطلة تخاطب الشمس والقمر والنجوم قائلة " وأنت أيتها الشمس اغربي لا حاجة لي بضيائك وأنت أيها القمر ، أيتها النجوم لمن ترسلين أضواءك ، أعفيك من هذه المهمة ، عودي إلى أوكار الظلام ، واستريحي " [11] فأن جميلة تؤنسن القمر والنجوم وتدينها بوصفها شواهد قاسية على عاهتها في إطار استعاري يزيح الشمس والقمر والنجوم من إيحاءاتها الباهرة المضيئة ويحيطها بدلالات أخرى مضادة مستقاة من السياق المسرحي ومثل هذا الأسلوب يحيل بطريقة أو بأخرى إلى لغة الشعر ووسيلته في التعبير بالصورة الشعرية .

ويعود الكاتب محمد الشرفي إلى صورة تشبيهية أخرى يوظفها باتجاه ماضي الفتاة (بطلة المسرحية) ((لم أعد طالبة في الجامعة أتنقل كالفراشة بين الكتب والصفوف والدفاتر والأقلام ، ولم أعد تلك الوردة الجميلة التي تملأ جوانح هذا البيت بعطرها وأريجه ، ولا تلك الفتاة الحالمة بالحب والحياة ، تركض كالعصافير إلى المستقبل البهيج . الظلام الظلام)) [12] إن حلول جميلة – عبر ماضيها الزاهي وهي تسترجعه الآن – في إهاب فراشة حينا وفي كيان وردة حينا آخر ، له أكثر من إيحاء ، فهو يفصح عن مدى الانطلاقة التي كانت تتمتع بها في كنف أبيها وفي ظلّ تحقيق طموحها في أن تنفذ إلى معطيات عصرها وعلومه وثقافاته ، وهي تتنقل من معلومة إلى أخرى ، فضلاً عن إنها تعبق بالسعادة وتشع بالجمال وألوانه المستقاة من عطر الوردة وغضارتها وهيئتها .

ويعي الكاتب تكثيف الجملة الشعرية وتركيزها في الحوار الذاتي خاصة كي يعزز تأثيره ويوطد صلته بالمتلقي فلا يمل منه أو يشيح بانتباهه عنه . وربما وردت الصورة الكنائية في الحوار الخارجي وعلى لسان "أبو جميل" ، وهو يخاطب ولده و يصفه بأنه ممسوح الإرادة كناية عن تردده أو إنه ضائع الموقف إفصاحاً عن انتهازيّته – وإن لم تكن انتهازية سياسية بل يمكن القول بأنها انتهازية اجتماعية –. وقد ترد الصورة المنتمية إلى عالم الشعر عبر (دايولوج) جميل وهو يسأل جميلة " لماذا تسترجعين آلام الماضي ، وتلقين ، بتبعتها على من جاء يضع قلبه وحبّه بين يديك ؟ لماذا ، لماذا ؟ "[13] حيث تحتضن تساؤلات جميل المحمومة أكثر من صورة تعبيريّة تجسّم الآلام شريطاً يمكن أن يسترجع عبر الذاكرة الحزينة حدّ الفاجعة ، وتكنيّ عن الحبّ بتجسيم القلب والحبّ هديّتين يمكن أن نضعهما بين يدي من نحبّ .

وتنطلق جميلة انطلاقة شعرية في (دايولوجها) فترسم صورة تشبيهية عن الحبّ : " الحبّ كالجندي في المعركة يلبّي أوامر قائده وينفّذها دون أن يسأل أو يتردّد " [14] . وما هذا الأسلوب الشعريّ إلا استجابة لطبيعة الموقف الذي يحتاج إلى أن يتعزّز طلب البطلة الصعب من بطل المسرحية (جميل) . وهو طلب مبرّر في إطار حبكة المسرحية ولا يبدو مستغرباً حين تبغي جميلة أن يُحدث جميل عاهة في وجهه أسوة بها كي يتساويا في القبح ، ويكون زواجهما في هذه الحالة ناجحاً إذ تجمعهما العآهة في حضنها المشوّه .

ولكي تفصح جميلة عن إنّ حبيبها (جميل) لا يستطيع أن يغادر محطة التقاليد وإنه أعجز من أن يحطّم إسارها فأنها تعبّر عن ذلك بالكنايات والرمز إذ تقول "... لكنني الآن أراك قد خلعت معطف الفنان الإنسان ودخلت في معطف أبيك ، وابتدأت تخاطبني ألا تدري بماذا تخاطبني ؟ أنا أسمعك ، أنا أراك، أنا أشاهد تململ أعماقك ، وحركات شفتيك .... ومن خلال معطف أبيك ، أنت تفكّر في أن تتحدّاني... وستّهمني لديهم بما يتّهم الرجال النساء من عدم القدرة على التفكير وقصور العقل والثقافة القاهرة وأن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وأنها جبلت من عنصر الشّر ، وتؤلب حولي كل أسلحة القهر والاضطهاد " [15] فيزيح النصّ لفظ المعطف من دلالته المعجميّة ليكتسب إيحاءً جديداً يشي بالانتماء الثقافي ، ومعطف الأب يعكس هيئة التقاليد ويجسّدها . وتململ الأعماق وحركات الشفتين يفصحان عن الضجر وضيق الصدر . وأما الضلع الأعوج فأنه كناية موروثة عن الفطرة السيّئة للمرأة والجبلّة الشرّيرة . وتزاح الأسلحة عن هيئتها المعروفة وانتمائها إلى الحديد والمعادن الصلبة كي تنتسب إلى معاني الظلم والقسوة والاستبداد .

ومثل هذه الصور الشعرية مبثوثة في نسيج الحوار بنمطيه (المونولوج والدايولوج) ، وهي تشبه شموعاً تضيء جنبات النصّ المسرحي وتعزّز تأثيره ، وهذا لا يعني أنّ الجملة التقريرية في الحوار مما يمكن الاستغناء عنه إذ إن الحوار عامة له وظيفته في تنمية الحدث المسرحي والصعود به إلى ذروة الصراع ومن ثَم يتدرج في النزول إلى أن يصل إلى خاتمة الحدث ، فضلاً عن مهمته في الكشف عن أعماق الشخصيات

ومن خلال حديثها عن نفسها أو حديث الآخر عنها . وهو بهذا المنظور يحتاج إلى الجملة الشعرية كما يحتاج إلى الجملة التقريرية وفي هذا الشأن سئل أندرسون عن السبب الذي جعله يبدأ مسرحيته الناجحة (ماري ملكة سكوتلانده) بالنثر ثم ينهيها بالشعر فأجاب : " يبدو أنه من الأقرب للطبيعة أن يكتب الحوار بالنثر إلى أن تبلغ المسرحية مستوى معينا من الانفعال لكنني أجد من المحال بعد أن أكون قد بلغت هذا المستوى أن أكبح جماح قلمي عن الكتابة بالشعر ، لأن الشعر وسيلة أقرب إلى الطبيعة من النثر للتعبير عن الانفعالات العليا ، أضف إلى ذلك أنني لا أستطيع أن أجد سببا ، مذ كانت أعظم المسرحيات في التاريخ كله قد كتبت بالشعر للإقلاع عن هذا التقليد ، حتى إذا بدا أنه تقليد لم يعد مألوفا في وقتنا الحاضر " [16]

وثمة من يرى في الحوار عامة قسيما للفعل المسرحي (الحدث)والصراع الذي ينطوي عليه الحدث غالبا . فالحوار قد يوصف بأنه " المظهر الحسي للمسرحية ، وأما المظهر المعنوي لها فأنه الصراع "[17] . ولكنهما (الحوار والحدث) قد يتضادان ومن نمط التضاد الفني أو يتناشزان حين لا يرقى الحوار إلى مستوى توتر الحدث وسخونيته وقوة إيقاعه . إن الأزمة بل الفاجعة التي وجدت بطلة المسرحية نفسها فيها حين تشوه وجهها الجميل . إثر ضربة قاسية وبزجاجة مشروخة بيد ضمها يتطلب حوارا متسارعا متوترا تكثر فيه التساؤلات وتقصر فيه الجمل وينقطع بعضها قطعا واعيا يقصده النص ، وكما هو شأن هذا (المونولوج) " كل الأشياء لا قيمة لها ، المرايا ، قوارير العطر ، الملابس ، الزهور ، الكتب ، الشمس ، القمر ، النجوم ، الجداول ، الحدائق ، والحياة كلها لا قيمة لها ، القيمة ، كل القيمة للظلام ولا شيء غير الظلام له قيمة ، وهو الحبيب والصديق ، وهو الماضي والحاضر والمستقبل هل تسمعني أيها العم الكريم ؟ هل تعرف قيمة الهدية التي قدمتها لي بالأمس ؟ الهدية الكبيرة ، الظلام . هاأنا أيها العم الكريم بفضلك في غمرة الظلام ، في هذا المنزل وراء جدران أربعة أفترش الصمت والملل والكآبة وأتوسد الخيبة واليأس والألم" [18]. هذا الحوار يستقي من جرح بطلة المسرحية النازف في حين تتطبع محاولاتها لا قناع ابن عمها جميل بحوار مختلف هدفه أن يتناظر جميل مع جميلة في عاهة يخلقها هو بإرادته في وجهه الغض ، ولذلك يأتي حوار جميلة طويلا نسبيا وجمله وافية ومشتملة على قدر من المنطق الخاص بالمشهد المسرحي " أسمح لي بأن أصارحك ، إن هذه الأسئلة تدل على مرحلة العمى والتشوه ، وأنت تحمل هذه المرحلة ، وتحمل مقدماتها ونتائجها بوعي وبدون وعي ، وأنا والآخرون نحملها ونعانيها ، العمى في البصر والبصيرة موجودان والتشوه في القلب والقالب موجودان فينا وفي الآخرين ، إننا نرى ولا نرى ، نحس ولا نحس ، نعي ولا نعي ، ومع ذلك نغالط أنفسنا ونزيف الحقيقة بالكلمات المعسولة والعواطف الزائفة والأغطية والملابس الملمعة المزوقة وبالمساحيق الملونة ، ونعيش أو نتعايش كلنا على هذا الوعي الزائف أو الزيف الواعي أو الحقيقة الزائفة ، ستقول ليس في وسعنا أن نغير أو نبدل هذه الحياة ، وأقول لك في وسعنا كيف ؟ ومتى ؟

عندما تعرف بالدقة والفهم المستوعب الواعي كل أجزاء وتفاصيل حقيقتي وحقيقتك حلوة كانت أم مرة ، وأن تكون هذه الحقيقة مقبولة من كلينا بحلاوتها ومرارتها وبالتساوي ، لا أنت أكثر قدرة على تذوق حلاوتها ومرارتها ولا أنا أقل تحملا واستساغة وتذوقا " [19] . وهنا يغتنم محمد الشرفي فرصة هذا الموقف كي يفصح عن ذهنه المسكون بهموم المجتمع ورؤيته الخاصة في هذا الشأن وهي منعكسة على وعي فتاة مفجوعة بعاهتها وفي إطار سياق مسرحي يسمح بمثل هذا الحوار الذهني ولا يقفز على المستوى الثقافي والاجتماعي والنفسي للشخصيتين كليتهما (جميل وجميلة) لا سيما إنهما جامعيان ، ويفترض بأنهما قد تمثلا زخما من الأفكار التي تخص مجتمعهما وبما ينسجم مع طبيعة الفعل المسرحي وما يعكسه من حدة قصدها النص فأثمرت مثل هذا الحوار .

وقد لا ينفع الحوار النثري ولا الحوار الموشى بشذرات الشعر في التعبير عن واقع الحدث ولا سيما قبيل خاتمته فيحل بديلا عنهما البكاء الصامت والدموع المتألقة المفصحة عن أقصى الأسى على هذا التشوه في وجه الحياة المرموز إليها بوجه جميلة : " جميلة : أصدق أنك تغيرت ، هناك ، أنظر (تكشف عن وجهها فجاة) لا أرى ضرورة أن تعيش مع هذا الوجه القبيح . يحدق في وجهها قليلا ، يكتئب ينكس رأسه وتسيل دموعه "[20] . إن هذا التضاد الظاهري بين الحوار والحدث يستحيل إلى لحمة وسداة في نسيج المسرحية حين يتواءمان بيد إنهما يتناشزان إذا لم يلب الحوار سخونية الحدث فيسخن معه ، وحين يبردان فأنهما يبردان سوية وحسبما يقتضيه منطق المسرحية الخاص .

وأما التضاد الدلالي فأنه قد يبدو أكثر وضوحا عبر منظور الشخصيات وأعماقها بل إن الفكرة – وكما عبر إدوارد شلدون – تتطلب نمطا خاصا من الشخصية ، وهذه بدورها تتطلب نمطا خاصا من الحدث) [21] وبعبارة اخرى صاغتها ليليان هلمان " إذا عنيت بأمر شخصياتك العناية الواجبة فإن الحوار والفعل (تعني الحدث) سيعنى كل منهما بأمر نفسه " [22] . وهي تقصد إن السياق المسرحي الذي يضع فيه المؤلف شخصياته يتيح له أن يوجه بقية العناصر الفنية وأبرزها الحوار والحدث وجهة تتسق مع هذه الشخصية بحيث لا تبدو الشخصية على غير فطرتها أو سجيتها التي انتقاها لها الكاتب المسرحي . وإذا عكسنا على هذا شخصية جميلة فإننا سرعان ما نلمس هذا التضاد الحاد بينها وبين التقاليد ، وهو ما نستنتجه منذ السطور الأولى لهذه المسرحية وعبر حوارها الذاتي والخارجي على حد سواء . ولا نبتعد عن طبيعة مسرحية التحدي إذا ما قلنا بأن جميلة رمز للحياة التي قد تجرها بعض التقاليد البالية – كحجب المرأة عن التعليم – إلى الخلف فتشوهها ، ومن هذا المنطلق ذاته يمكن أن يكون العم (أبو جميل) تجسيدا للجانب المعتم من التقاليد . وحسنا فعل الكاتب محمد الشرفي حين جعل جميلة لا تنتمي إلى هذا العم مباشرة ، فهو ليس أبا يحس بأن جميلة جزء من كيانه ، وهي ليست ابنته وامتدادا له بل إنه طارئ في حياتها ويمكن الاستغناء عنه بل التخلص منه في ظل ظروف أخرى ، ولكنه سلف الرجل الذي تحبه

(جميل)وتود أن ترتبط به طوال حياتها . وخشية جميلة قائمة في أن يستحيل جميل نسخة أخرى من أبيه ويعاملها بالأسلوب الموروث ذاته .

وكما يحصل في الحياة تماما تنطلق كل شخصية في طبيعة طرفها الخاص وبناء على تكوينها الثقافي والنفسي ، لذلك فأن هموم جميلة تبدأ بهذا التضاد الحاد بين رغائبها وما تتطلبه بعض التقاليد البالية من سلوك يجافي طبيعة الإنسان في أن يتفتح ويتعلم حتى وإن كانت امرأة لها وظيفتها وطبائعها في إطار المجتمع الشرقي المتحفظ . ولكن محنة جميلة تنمو في اتجاه آخر إثر عاهة الوجه التي ألحقها بها عمها ، إذ تنكمش على ذاتها وتتسلل العاهة إلى ذاتها ، وهذا ما أراد الكاتب محمد الشرفي أن يكرسه إذ إن ظروف المرأة الشرقية يمكن أن تترك عاهة قبيحة ينطبع بها وجهها ، وقد انتقى النص المسرحي نصف وجهها مكانا للضرر عن وعي حيث إن رؤيتها في هذه الحالة ستكون مسطحة بالضرورة وفي كنف الظرف القاهر الذي وضعت فيه لأن الرؤية الطبيعية المجسمة لا تكون إلا بنصفي الوجه حيث نرى الناس والأشياء من حولنا على طبيعتهم وهذا ما لم يتح للمرأة كما رآها نص مسرحية التحدي . وإذا عكسنا صورة العاهة فاننا لا نبتعد عن منطق النص ، صحيح إن العاهة وحسبما أوردها الفعل المسرحي بدأت في الوجه (الخارج)وتسللت إلى داخل الفتاة بيد إن العاهة يمكن أن تبدأ من الأعماق (الداخل) وتنعكس على الوجه (الخارج) ، فمعايشة الجدران والسجن المؤبد الذي قد تجد المرأة الشرقية نفسها فيه لا بد أن ينعكس على وجهها على هيئة عاهة لا فكاك منها ، فضلا عن إن هذه العاهة ذات المستوى (الشكلي في مقابل الباطني)لا بد أن تخلق روحا انتقامية في اللاوعي بحيث تسعى المرأة إلى تدمير هذا الكائن (الرجل) وهو في أوج حاجته إليها بحيث تطلب منه أن يكون بمستوى عاهتها ، وليس أقل من ان يعانيا تحت خيمة القبح والتشويه حسب منطق النص المسرحي . وهذا ما عبر عنه حوار جميلة سواء أكان ذاتيا أم حوارا خارجيا "

جميلة : هل تقبل ؟ أم لا ؟

جميل : ولماذا هذا كله ؟ إنه تشويه إضافي مضاعف لوجه الحياة .

جميلة : حتى نتساوى .

جميل : في التشوه .

جميلة : وفي القبح ، أي لنكون مثالا لوجه الحياة القبيح والجميل ، لماذا تكون المرأة وحدها بدون الرجل رمز القبح أو رمز الجمال ؟ وأنت كفنان يجب عليك ان توظف فنك للطرفين المتناقضين من وجوه الحياة

جميل : لكنك بهذه الرؤية الجديدة التي استولدت هذا الاقتراح أو الطلب الغريب المعجز لا ولن تحصلي على الحب الحقيقي ولا معنى الحب الحقيقي لا معي ولا مع غيري .

جميلة : لا يهمني أنت ولا يهمني غيرك ، اريد أنا لذاتي ، لنفسي ، أن أحبك بقناعة كاملـــة وأن أمتلـك وتملكني قناعة كاملة بأنك تحبني لذاتي وشخصي . ولذلك لم اجد إلا ذلـــك الطلـب دليـلا وبرهانا وشاهدا مبررا لتأكيد الحب بيننا وتأصيله واستمراره .....كل الناس يرددون كلمـات الحب والإعجاب للمرأة أو للمبدأ أو للموقف ولكنهم يتجاهلون ويتناسون ما وراءهـــا مـــن مسؤولية ، وحجم هذه المسؤولية " [23]

وعلى صعيد شخصية العم (أبو جميل) فإن طبيعة التضاد تأخذ هيئة آخرى ، وهو تضـــاد مـــبرر ايضا ، إذا ما أخذ في إطار التكوين الثقافي والاجتماعي لشخصية (أبو جميـــل) الموصولـــة بسلســـلة مـــن الانتماءات التي تسوغ له سجن المرأة وإبعادها عن مظاهر الحضارة ومراكز التعليم التي يرى فيها مفسـدة للمرأة ومسخا للصورة كما ترسمها التقاليد للمرأة . وقد جابه هذا التحدي القائم بالأسلوب الذي يـــراه مناسبا ، وهو ضرب المرأة وإجبارها على أن تتكيف لأفكار الرجل ورؤيته على أساس إنها الطرف القـاصر والضعيف في معادلة الحياة . بيد إن هذا الضرب يخرج عن مهمته التأديبية ليخلق عاهة تغير أفكار المـــرأة باتجاه التدمير والشر . ولم يشأ الكاتب أن يفرغ شخصية (أبو جميل) من عنصر الخير بل إنه اشار إلى ندمـــه ومحاولته تصحيح الخطأ الذي أرتكبه بخطأ آخر وهو أن يقرن بالزواج بين ولده (جميل) وابنة أخيه الآبقـــة – كما يراها – كي تستقر الحياة وتتواصل في إطار وجهة نظره الخاصة المنبثقة من طبيعة ظرفـــه الاجتمـــاعي والثقافي والنفسي والمستقى من مجمل حواره :

" ابو جميل" (متظاهرا بالندم والحزن) ورغم ما حدث فأنني أشعر بالحزن والندم على ما جـــرى وحـــدث لجميلة ، ولو كانت مؤدبة في مخاطبتي وتعرف قدري كعم مثل أبيها ما حدث لها ما حدث .

جميل : لكن اسمح لي يا ابي بأن أرد عليك ولا تعتبر ذلك خروجا عن الطاعة أو تحديا لك .

أبو جميل : قل ما تريد ، أنا أعرف عواطفك نحو جميلة .

جميل : أولا : ما كان أبوها (عمي) ولا أنا نظن أنك ستغير ما عهدناه فيك من مواقف ومبادئ تجاه الحيـــاة والإنسان ، ومن نظرة حضارية تجاه الحاضر والمستقبل ، وأنت الذي شجعتني على دراسة الفن والتخصـص فيه باعتبار الفن والرسم يعيد تشكيل الحياة البائسة والقبيحة أحيانا تشكيلا جميلا ومتفائلا كغيره من فـــنون الأدب والشعر ... أبو جميل (مقاطعا) : ياولدي أنا ما كنت أريد تشويه وجهها ، كنت أريد منها فقـط أن تحتشم وتكتفي بدراستها عند المرحلة الثانوية ... والمرأة يا ولدي لا بد أن تكون معها حازما وإلا انفلتـت وتمردت "[24]

وربما بدا على شخصية (أبو جميل) مظهر آخر من مظاهر التضاد وعـبر هـذه الأزدواجيـــة في التعامل مع ثقافة المرأة التي تشكل خطرا عليها من وجهة نظر بعض التقاليد الـــتي يجســـمها أبـــو جميـــل بشخصه وآرائه ولكن هذه الثقافة ذاتها لا تشكل خطرا على ولده الشاب (جميل) إذ سعى أبو جميـــل إلى أن

يكمل ولده تعليمه . وبمعنى آخر ازدواجية الرؤية إلى الثقافة المعاصرة ، فهي تهدم كيان الفتاة ولكنها تبني شخصية الشاب . إنها لازمة للرجل يحتاجها حيث كان ولكنها كاللعنة إذا ما انتسبت إلى المرأة إذ تزودها بأسلحة فاتكة دونها أسلحة الدمار الشامل .

ويعيش جميل (الشاب) تضادا من نوع آخر يستنتج من طبيعة شخصيته فهو لا يستطيع أن يتحدى التقاليد أو لنقل بعضها المهترئ الذي يحرم الفتاة من التعليم ، وقد رمز المؤلف إلى هذا الإنتماء بشخصية الوالد (أبو جميل) الذي جسد هيئة التقاليد وأنسنها . وهذه التقاليد ليست سهلة إذ إن الانقطاع عنها يحرم الشاب(جميل) بطل المسرحية من هدوئه واستقراره المادي وهو يعني ضمنا التشرد الذهني والإغتراب عن المجتمع الذي يهبه إتزانه وركيزته وجذوره . إذن فهو مضطر إلى أن يهادن هذه التقاليد وأن يرضى بها على مضض ، بيد أن الضريبة التي ينبغي أن يدفعها كبيرة ، فالحياة اليوم تتطلب منه سلوكا آخر لا سيما إن هذا الشاب خرج إلى مجتمعات أخرى ورأى النساء هناك – الأوربيات منهن تحديدا– وكأنهن مخلوقات أخرى تختلف عن المرأة كما عهدها في بلده ، لذلك فهو لا يريد المرأة الآن ومن وحي ظرفه الجديد على نمط أمه أو جدته ، وهو في الوقت ذاته لا يستطيع أن ينسلخ عن هذا النمط تماما . بحيث يتنكر له وينصرف عنه إلى النمط الأوربي الذي رآه وعايشه أثناء اغترابه من أجل التعلم . وهنا يتفاقم التضاد بين الصورة المتخيلة للمرأة وكما كونها في واقعه الجديد والصورة الواقعية للمرأة كما هي عليه في بلده لا سيما إن الكاتب جسم مساوئ الواقع على هيئة عاهة تستقر على وجه الفتاة التي يحبها . ويعبر عن هذا التضاد بمجموعة تساؤلات ترد في حواره مع جميلة:" ماذا تخافين ، وممن؟ ولماذا؟ إن كنت خائفة من مستقبلك معي فأطلبي أية ضمانات معقولة ، إن كنت تخافين أن أنصرف عنك إلى فتاة أو امرأة أخرى ، فاقترحي أي تعويض أو جزاء أو عقاب وبالغي فيه ، أجل بإمكانك أن تبالغي ولو فوق حدود المنطق والمعقول والمتعارف عليه بين الناس ، أما طلبك بأن نتساوى في التشوية والقبح فلا يعصمني ولا يحول بيني وبين الناس ، الرجل كل رجل قادر أن يغطي عيوبه الجسدية والمعنوية بماله أو بجاهه أو بمصلحة مشتركة ، أو بضرورة ضاغطة يحاصر بها النساء ، ولا يقف أمامه عائق وإلا لماذا يتزوج الشيوخ الكبار بصغار الفتيات وتقبل المرأة أن تقبل معركة الضرار والضرائر بدون مبرر معقول [25] ولا نستغرب مثل هذا الحوار من متخصص بالفن التشكيلي أكمل دراسته العليا في هذا الشأن . ويعني النص انتقاء هذه الشخصية ووضعها في مثل هذا السياق المسرحي إذ إن ثقافة جميل وطبيعة توجهاته الفكرية واهتمامه الذهني تجعله أكثر حساسية من سواه إزاء الأوضاع التي وجد نفسه فيها وكان رد فعله مبررا ومعقولا . ولو رسم النص شخصية أخرى بديلة لشخصية جميل تشغلها اهتمامات أخرى لما توقعنا منها مثل هذا الموقف ، ولما انساب الحوار من فمه باتجاه اقناع ابنة عمه بأن تعدل عن الرغبة في الانتقام لا سيما إنه هو

شخصيا موضع هذا الانتقام مع إنه لا ذنب له في كل ما حصل للبطلة ، إنما جريرة أبيه وعليه هو أن يدفع ثمنها .

وحين يصل حواره مع جميلة إلى طريق مسدود يلجأ إلى حوار محموم تحتضنه تساؤلات مريرة :"أصارحك أنني في حالة بين العمى والتشوه فهل استطيع أن أختار إحداهما ؟ وهل العمى أفضل أم التشوه أفضل ومن أكون أنا في إحدى الحالتين؟ ومن أنت معي الآن؟ ومن ذا ستكونين معي وأنا معك إحدى الحالتين ؟ وهل أنا أغالط نفسي بهذه الأسئلة ؟ أم أغالطك أم أنني أهذي " [26] إن مثل هذه الحالة التي وصل إليها بطل المسرحية تعكس أقصى الصراع في ذاته ، وهي متوقعه في إطار الظرف النفسي الخانق الذي وضعه فيه النص بحيث يكاد الآن يفقد صوابه . لقد نمت شخصيته هو أيضا باتجاه العقدة النفسية ويكاد يقترب من عقدة جميلة وداخلها الذي شوهه ظرفها كي يبدو مطابقا للصورة التي أرادتها له .

وإذا استعرنا مصطلح الشخصية النامية أو المدورة –كما يسميها أ. م فورستر[27] فإن هذا المصطلح ينطبق على شخصيات هذه المسرحية إذ يضعها الكاتب في سياق مسرحي تستجيب له وتتغير على ضوئه . وإذا استثنينا شخصية ام جميل وشخصية والد جميلة إذ ظهرتا بوصفهما شخصيتين نمطيتين أو مسطحتين [28] فإن الشخصيات الرئيسة (جميلة، جميل، أبو جميل) تنمو وحسبما رسمه لها النص المسرحي ووضعه من أحداث وظروف . مما يشي بأن الشخصية النامية في المسرح مطلوبة شأنها شأن الشخصيات النمطية المسطحة ولا سيما في المسرحيات الجادة كمسرحية التحدي التي نحن بصدد التوغل إلى عالمها . وربما لا تحتاج المسرحيات الهازلة المتجهة صوب التسلية حسب – وهي التي تدعى (الملهاة) – [29] إلى شخصية نامية ولكنها حين تعتمد على نواة فكرية لا بد لها في مثل هذه الحالة من الشخصية النامية التي تبدأ لاهية وتنتهي جادة أو أنها تنمو في الاتجاه المعاكس إذ تبدأ جادة وتنتهي لاهية وحسبما يقرره طابع العمل المسرحي وجوه الخاص . وإذا عدنا إلى المهاد التاريخي للمسرح فأن شخصية البطل التراجيدي نموذج للشخصية النامية التي تتحول بعد ارتكاب الخطأ القدري إلى شخصية أخرى تتضاد مع بداياتها [30] وهذا لا يمنع من وجود شخصيات نمطية تتطلبها المسرحيات ذات الطابع التراجيدي بيد أن الشخصية النامية وعلى وجه العموم أقرب إلى طباع الإنسان وردود أفعاله فمن منا لا يغيره الموقف الانفعالي الحاد والحدث الجلل حين يقتحم حياته ؟ ولذلك يقول كونراد عن البطل التراجيدي: إنه واحد منا وهو ليس بالضرورة شخصا فاضلا أو بريئا من ارتكاب ذنب عظيم وإنما هو إنسان يذكرنا بشدة إنسانيتنا[31]

وإذا كان جمهور المسرح في معظم المجتمعات و حتى الأوربية منها [32] ينشد التسلية والإمتاع حسب في كثير من الأحيان فأن التسلية قد لا تتعارض مع الأفكار الطريفة وفنية عرض المكابدات التي يعيشها الإنسان بأسلوب ينأى عن المباشرة والتقرير ، وينطبق هذا على عدد غير قليل من الأعمال المسرحية في الشرق والغرب على حد سواء [33] ، الأمر الذي يحيل إلى وظيفة الأدب والفن عامة في أن

يعلم وعلى طبق من الإمتاع وفي الوقت نفسه يمتع وعلى مهاد من الإضافة التربوية المخفوفة بغلالة من الفن الشفيف [34] ونلمس هذه الرغبة حد الحماس في نص مسرحية التحدي التي تخلص لهدفها في أن يفيد منها المتلقي العربي ، فهي تنطبق بشكل أخر على كثير من المجتمعات المنغلقة على ذاتها والتي تدفع ضريبة هذا التضاد بين الأمس واليوم (التقاليد في مقابل متغيرات العصر ومتطلباته) ولذلك كانت المسرحية ومنذ عنوانها التحدي تنم عن هذا التضاد ، وهو تضاد قد لا يفضي إلى انتصار أحد الطرفين المتضادين ، لأنه في صورته الأولى تضاد فني يبدو وعبر أكثر من هيئة ومنها تقابل الحوار الذاتي إزاء الحوار الخارجي والتوازي البين بين الجملة الشعرية والجملة التقريرية في إطار الحوار عامة . وحضور الحوار قرينا للفعل المسرحي (الحدث) ونموه باتجاه الصراع ، كل هذه المظاهر الفنية وإن بدت متضادة ظاهريا فإنها تتآزر – بغض مسرحية التحدي –فيما بينها لتعزز في آخر المطاف ما أراد الكاتب أن يبوح به بل أن يعلن عنه في هذه المسرحية . ويعي محمد الشرفي أن يرسم الشخصيات معبأة بالتضاد وعلى أكثر من وجه بحيث تجسد الدلالة المضمونيه التي كانت نواة لهذه المسرحية وهو يختم مسرحيته بأسلوب النهاية المفتوحة التي لا تقدم حلولا جاهزة بل تفتح أفاقا أمام ذهن المتلقي كي يفترض الحلول التي يراها مناسبة إذ يشارك مع المؤلف في اقتراح طريق الخلاص من هذه الأزمة الحاسمة الساخنة التي تمر بها بعض المجتمعات في ووطننا العربي الواسع.

لم يعتمد محمد الشرفي على نص سابق ولم يقتبس أحداث المسرحية من قصة كتبها سواه ، كما يفعل بعض كبار الكتاب المسرحيين إذ يلجأ إلى قصة أو رواية ويمسرحها [35] بل كان مبتكر القصة ومسرحها في آن واحد وعلى أمل أن ينتبه إليها المخرج الفنان بحيث يكيف أجواءها وعلى الوجه الذي تلائم فيه خشبه المسرح لا سيما أنها لا تحتاج إلى ديكور خيالي أو فخم فضلا عن احتضانها لزخم من الأفكار الحية الراهنة ، إذ يسعى وجه من وجوه الحياة (الرجل) إلى الانفتاح والتعلم ويتعلق به الوجه الآخر (المرأة) مثل جزء مشلول مترهل يشده إلى الخلف فيوقف مسيرته ويعطل تقدمه .

ولا بد لهذه الدراسة أن تشير إلى أن محمد الشرفي مهد لهذه المسرحية الناضجة من بداياته الأولى التي كان فيها الهاجس الاجتماعي والسياسي بينا ، وقد وصفت خطواته المسرحية بأنها قفزات على درب المسيرة المسرحية اليمنية " فذلك دور رائد يضطلع الكاتب النابه بمسؤولياته الكبيرة ، ماضيا في طريقه الصعب ، يجتاز فيافي الواقع ويطوي خطى الدرب المسرحي بمتناقضاته الغريبة محاولا أن يتناسى أن النص المسرحي قد أعد أساسا لكي يمثل على خشبه المسرح ، وأن لذة العطاء تبلغ ذروتها عند الكاتب حين يحيل الأفكار والأحداث إلى شخوص تملأ المسرح حركة وحياة . وتعد مسرحيته الأولى (في أرض الجنتين) والتي أحسنت الأوساط الأدبية استقبالها ، تعد أول مسرحية يمنية تختصر البدايات الشاحبة لهذا الفن الوليد، وتقفز إلى حد المقارنة بأعمال كبار الكتاب المسرحيين"[36] ويشيد الدكتور عبد العزيز المقالح بهذه

التجربة المسرحية (في أرض الجنتين) ويورد مقاطع منها في كتابه أوليات المسرح في اليمن [37] كما انه يقف عند مسرحية شعرية أخرى للشاعر هي (العشاق يموتون كل يوم) حيث يتوغل إلى مفاصلها ويخصص لها ثلاثين صفحة في كتابة المذكور [38] .

وينطلق محمد الشرفي من وعي لدور المسرح ووظيفته عبر تجاربه المسرحية المتنوعة. فالمسرح ((نقد الأخطاء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتعريتها أو فضحها بأسلوب فني وأدبي متمكن ونفاذ وآسر ، ذلك هو النقد البناء وبالتالي هو وظيفة المسرح الأولى بمختلف مدارسه وشعبه التراجيدي والكوميدي – أي مسرح المأساة والملهاة –وما بينهما أي ما يسمى [بالتراجيكوميدي] ولم يختلف على أهمية المسرح ودوره الأدبي والثقافي في أي مجتمع من المجتمعات القديمة والحديثة ولذلك صار مادة هامة في نشاط المدارس والجامعات ومن ضمن مناهج التربية والتعليم التي تخطط لها وترعاها كل عام ومن هناك ، من ساحات المدارس والجامعات تبرز أو تبدأ في البروز مواهب المخرجين والممثلين والكتاب ، ومن هناك أيضا يخرج هواة الفن بمختلف أشكاله وألوانه ومن هناك أيضا يبدأ تنوع الحياة وتتشكل وجوه المستقبل بأحلامه البهية وجماليات إبداعه المنتظرة [39] . وحضور وسائط الأعلام العملاقة وأساليب الاتصال المعاصرة يجعل المسرح اكثر خطرا لاسيما أن العلم أتاح للمسرحية الناجحة أن تنتقل إلى أنحاء المعمورة وزواياها عبر شاشة الصور المتحركة وقدرة الإلكترونات على اجتياز المسافات بحيث تغدو غرف الجلوس في جميع أرجاء العالم هي المدرج المسرحي الجديد .[40]

وبذلك يتجلى لنا وجه من وجوه الثقافة المسرحية اليمنية التي تصر على أن تصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه في ظل ظروف صعبة جائرة وإمكانات متواضعة . ولكن الإرادة القوية والموهبة الحقة تذلل الصعاب وتخلق النص الجاد الذي يضاهي النصوص العربية الجيدة بل العالمية – وهو ما ينطبق على مسرحية التحدي لكاتبها المسرحي الرائد والشاعر محمد الشرفي – ونطمح إلى أن يتبرى المخرج الفنان والممثل الماهر كي يحيلا هذا النص الناضح إلى أصوات وأضواء وألوان وحركة على خشبة المسرح الذي بدأ بطقوس سحرية ارتبطت باستنزال المطر واسترضاء القوة العليا المقدسة والاحتفاء بالفصول والاستعداد للحرب والتهيؤ للصيد وما إلى ذلك من طقوس [41] ويتواصل المسرح الآن مع تلك البدايات عبر أجوائه الساحرة التي تملك على الإنسان حواسه وتنفذ إلى قلبه وفكره معا .

الهوامش

1. محمد الشرقي ، مسرحيات ثورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1417هـ /1996م مسرحية التحدي من ص93 —ص 137
2. روجرم بسفيلد (الابن)، فن الكاتب المسرحي ترجمة دريني خشبة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة 1978، ص131
3. مجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت 1974،ص110
4. نفسه ص320
5. روجرم. بسفيلد ص230
6. مسرحية التحدي،ص95
7. نفسه ص99
8. نفسه ص102
9. روجرم. بسفيلد ص247
10. مسرحية التحدي،ص 95
11. نفسه ص99
12. نفسه ص100
13. نفسه ص117—118
14. نفسه ص122
15. نفسه ص123—125
16. روجرم. بسفيلد ص250
17. د.عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، ط7 القاهرة 1978 ص239
18. مسرحية التحدي،ص99—100
19. نفسه ص134—135
20. نفسه ص136—137
21. روجرم. بسفيلد ص170
22. نفسه ص171—172
23. مسرحية التحدي،ص115—122
24. نفسه ص103—104
25. نفسه ص119
26. نفسه ص134
27. أ.م فورستر ، أركان القصة ، ترجمة : كمال عياد جاد ، مطبعة الوحدة ، القاهرة 1960 ص51
28. نفسه ص51 . كما ينظر د/ صبري مسلم : المصطلح النقدي في دراستين رائدتين في الفن القصصي ، من بحوث المؤتمر النقدي الخامس لجامعة اليرموك ، كلية الآداب إربد 1994 ،ص7 فالشخصية التي لا يغيرها السياق القصصي

أو المسرحي وتنتهي كما بدأت هي شخصية مسطحة أو نمطية ، وعكسها تماما الشخصية التي تتغير تبعا لسياق الأحداث وهي التي تدعى بـ(المدورة أو النامية)

29. شلدون تشيني ، تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة ، ترجمة : دريني خشبة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة 1963 جـ1 ص326

30. مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش ، الكوميديا والتراجيديا، ترجمة د.علي أحمد محمود ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 1979 ص211

31. نفسه ص211

32. لويس فارجاس ، المرشد إلى فن المسرح ، ترجمة أحمد سلامة محمد ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، والهيئة المصرية العامة للكتاب /القاهرة دون تارية ص211

33. نفسه ص211

34. أوستن وارين ، ورينيه ويليك ، نظرية الأدب ، ترجمة : محيي الدين صبحي ، مطبعة خالد الطرابيشي ، دمشق 1972 ص34

35. روجرم. بسفيلد ص330

36. د.محمد محمود رحومة ، دراسات في الشعر والمسرح اليمني ، دار الكلمة صنعاء 1985 ،ص129 مقالة (من يطفئ النار التي أشعلها محمد الشرفي في صنعاء)

37. د. عبد العزيز المقالح ، أوليات المسرح في اليمن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1999 ص33–36

38. نفسه ص159–189

39. محمد الشرفي ، المسرح ، دروس من الماضي وتطلعات إلى المستقبل ، الثقافة اليمنية ، رؤية مستقبلية ، وزارة الثقافة والسياحة جـ1 ص141

40. روجرم. بسفيلد ص57

41. شلدون تشيني ،ص16

قصيـدة النـافذة
في الشعـــر اليمني المعاصر

قراءة بيانية في مجموعة (كتاب صنعاء) الشعرية نموذجاً

د. وجـداد عبد الإله الصائغ *

إن ما يهيمن على انتباهك وأنت تتجول في شوارع صنعاء وحاراتها هو نوافذها الأنيقة المضمخـة بعبق التراث . ولا يمكنك أن تتخيل صنعاء دون أن تستحضر نوافذها المطلة عليك من قلـب التـاريخ ، بزخارفها الملونة وأشكالها الهندسية الخاصة !

إن النافذة في هذه المدينة ليست أفقاً تزيينياً يشغل حيزاً مكانياً حسب بل إنـهُ رمـزٌ مـن رمـوز التواصل الحضاري مع الهوية والانتماء ، ومثلما اقترنت صنعاء (الواقع) بالنـافذه معلمـاً تراثيـاً ، فـإن صنعاء(الحلم) في مجموعة (كتاب صنعاء)(1) الشعرية للشاعر عبدالعزيز المقالح اقترنت دلالياً بـ(النـافذة) ، وإذا كان للنافذة خارج النص مستوى جمالي شكلي مستوحى من هندستها وطريقة بنائها ومـن وظيفتـها وكونها عتبة توصل بين مكانين (داخل /خارج) فإن لها داخل النص مستوى دلالياً يكمن خلـف الشـكل الظاهري لها وهو الذي تتولى هذه الدراسة مهمة التوغل فيه وهتك حجبه ، وأداتها في هذا الصورة البيانيـة بانماطها الثلاثة (الصورة التشبيهية ، الصورة الاستعارية ، الصورة الكنائيـة)(2) وعلـى النحـو الـذي ستكشف عنه السطور اللاحقة بدءاً بلوحة غلاف المجموعة الذي جاء على شكل نافذة يطل مـن خلالهـا

* رئيسة قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمـار

الرائي على فضاءات صنعاء ونوافذها بخصوصيتها — وعبر صوتيها اللذين أنتظمـــا قصائدهـــا الســـت والخمسين وقد تقاسما الحيّز المكاني لكل قصيدة منها فأما الأول فهو صوت موقع على وفق قصيدة التفعيلـــة ، وجاء الآخر الذي نحن بصدده على هيئة قصيدة النثر وهما صوتان تتوحد نبراتهما في محراب صنعـــاء الأم والحبيبة .

وتحتفي هذه المجموعة الشعرية بـــ(النافذة) بوصفها ملفوظاً انزياحياً يحرك الخيال ويســـتثير غريـــزة حـــب الاستطلاع سواء أكان الناظر عبرها في الداخل ويتوق إلى التواصل مع العالم الخارجي من خـــلال حـــيز النافذة أم كان في الخارج ويتلهف إلى أن يطلّع على ما وراء أستارها.

ويأتي جمع (النوافذ) و (الشرفات) و (الشبابيك) في القصيدة السابعة شواهد ناطقة دالة على زخـــم الحياة وحركتها وانبعاثها من عمق التاريخ في لحظة تنفلت من أسار الزمن لِتتجلّى من خلالها أبعاد مشـــتبكة للمنصرم والراهن والمستشرف في قول الشاعر :

أين هو؟
أين قصر غمدان ؟
تتساءل عيون الزوار
ولا يأتيهم الجواب إلا في ساعة متأخرة من النهار
أو في ساعة متأخرة من الليل .
هو هنا
في المسافات الزرقاء الواقعة بين الأرض والسماء
حين تأتي الأمطار
يخرج على شكل قوس قزح
هذه نوافذه وتلك شرفاته
وهذه طيور بيضاء تحاول الاقتراب
من الستائر الملونة الموشاة بالذهب
شبابيك من الماء
وتماثيل من الضوء

يعكس استحضار الشاعر أنوات أخرى (الزوار) ضيقه بالآخر الذي يهمش انتماءه وتاريخه كما يفصح حواره مع الزوار عن ثنائيتي (الغياب/ الحضور) و (الرواي / المروي لهم) . فذلك القصر المطل علينا عبر عتبات الزمن اطلالاً – وقد أكدت غيابه تساؤلات الزوار : أين هو ؟ أين قصر غمدان ؟ — حاضرٌ عبر وعي الشاعر به إذ تحيل اشاراته (هو هنا) (هذه نوافذه) ، (تلك شرفاته) ، (هذه طيور..) إلى حركة يد

الشاعر وإيماءاته المتتالية باتجاه ذلك المكان المسكون بالحياة فهو قرين الخصب (الأمطار) ورديف السمو (المسافات الزرقاء ...) وموقد بهجة الماء والشمس معاً (قوس قزح) .

وتفلح الطيور البيض الرامزة للأجيال المتعلقة بتاريخ هذه البلاد في أن تجتاز أمكنتها الراهنة صوب ذلك المكان الأثيري ولتتماهى مع (أنا) الشاعر في قدرتها على استجلاء ذلك التاريخ العريق . كما توقد حركة الطيور وخفق أجنحتها فضاءات التوقع البصري للمروي لهم (الزوار) — والقارئ على حد سواء — باطلالة مباغتة من وراء تلك الستائر . وقد عزز هذا الحدس عنفوان الحياة الذي انعكس للناظر من خلال تأطير النوافذ لمهرجان الألوان الممتزج ببريق الذهب ونفاسة سطوعه .

وحين تمتزج تلك النوافذ بالماء — نسغ الحياة — فإنها تجلي تشبيها بليغاً (شبابيك من الماء) إيماءً بصيرورتها (مرايا) تعكس أبعاد المكان وحيويته من جانب ومن جانب آخر فإن هذه المرايا تعكس صورة الشاعر الباحث عن أناه في عمق التاريخ .

ويتخلّق من حضور الصورة التشبيهية البليغة (تماثيل من الضوء) أكثر من مستوى جمالي فاولها يشكل وثاقاً لونياً يتبلور من تواشج الضوء مع بياض الطيور وهو بياض يؤطر كلاً من الوان الستائر المستجيبة لحركة الحياة ودفق (نافورات الماء) المرموز لها بـ (شبابيك من الماء) ليفيض هذا اللون بدوره على جسد المكان بدلالته المشعة بالسلام والجمال . كما أن هذا المستوى الدلالي يفضي إلى مستوى ايقاعي يسميه البلاغيون (الموازنة) (*) وهو يتبلور من التناظر الايقاعي بين (شبابيك من الماء / تماثيل من الضوء) حيث تدغم في طرفي هذه الموازنة دعامتان من دعائم الحياة (الماء/ الضوء) افصاحاً عن حيوية وجود هذا القصر برموزه (شبابيك / تماثيل) وتوكيداً لحضوره الشاخص في مخيلة النص . وأما المستوى الثالث فانه يزيح النقاب عن هالة الغموض التي استدعاها تضاد الزمنين (ساعة متأخرة من النهار / ساعة متأخرة من الليل) إذ يشهد كل من الزمنين خفوتاً في سطوع الضوء بعد غياب النيرين كليهما لذا يكون بزوغ هذا الصرح المكاني ضرورة جمالية يستحضرها وعي الشاعر ويحيل بها الأفق المعتم إلى فضاء يزخر بالألق والنشوة .

وعبر عمر صنعاء الطويل الموغل في قلب التاريخ تكون النافذة دليل تفتُح المدينة وعلامة على نضجها ووعيها في القصيدة الثالثة التي نقتطف منها :

إن الميلاد الأول لصنعاء حدث قبل (8000) سنة .
وإنها خلقت من أضلاع الجبال المحيطة بها .
كان (غيمان) أول من نقش على جبينها هلال أشواقه
وأول من وهبها من ضلعه الايسر الأعمدة الفارهة .
أعطاها من جلده النوافذ المتربصة بالشمس منذُ عشرات القرون

وهي تطل على الوادي .

يطالعنا الميلاد وأجواؤه التي لا توجه مرجعية القارئ صوب الانتماء والامتداد بل أنها تستثير ذاكرته باتجـاه التوق إلى تخليق (الأنا الانثوية) بعد تفكير وترقب وفي سياق انزياح استعاري تشكل فيه صنعاء (المستعار له) انبثاقاً جديداً لا على سابق مثال ، كما يرهص لفظ (الاول) بميلاد آخر لصنعاء أكدتـه القرينتـان الاستعاريتان (أضلاع الجبال المحيطة) و (ضلع غيمان الأيسر) منحت الأولى صنعاء هويتها العريقة (قبـل 8000 سنة) ، وأومأت الأخرى إلى الميلاد الآخر المقيد بـ (منذُ عشرات القـرون) وتتواشـج هاتـان القرينتان في إطار تخالف وتآلف دلالي يعززه اصطفاء متخيل التشخيص الاستعاري جبل غيمان (المسـتعار له) عاشقاً متيماً يخرق به نسق (الجبال المحيطة) وعبر القرائن الاستعارية (هلال أشواقه) (وهبها من جلـده) ليسجل انحرافاً في مسار المشهد الشعري باتجاه بلوّرة فضاءات الوجد المتأتية من التماهي الانزيـاحي بـين (غيمان وصنعاء) من جانب ، ومن الجانب الاخر بين طرفي الاستعارة حيث يتضح عبر القرائن الاسـتعارية أكثر من بعد دلالي فاما القرينتان الاستعاريتان (النقش) و(الاعمدة الفارهة) فإنهما تؤشران أجواء الـتراث والانتماء التاريخي للمدينة ، وتومئ اللازمتان (جبينها) و (عيونها) — المرموز لها بـالنوافذ — إلى السـمو والجمال الموصولين بازلية تعاقبية الحياة (الهلال والشمس) ، وتعكس القرينتان (المتربصة) و (تطـل) نهايـة مغايرة لمستهل النص إذ يغدقان على صنعاء (المستعار له) مدلولاتهما البصرية فتتجلى حركة تشاكل حركـة العين وتنقلها بين الأفق والمهاد .

يتأسس البناء الشعري للنافذة في القصيدة الواحدة والخمسين من عناقيد الصور البيانية التي اسـتحضرت الواقع الساخن للمدنية في قول الشاعر:

حسناً

هذه طرق مقمرة

وشوارع تأخذ شكل المرايا

هنا حوانيت للحرير

وهناك مكتبات دواوين الشعر

سوق للزهور

وأخرى للاعشاب العطرية

على الناصية شاب يعزف الناي

وفتاة ترسم بالألوان واجهة بناية جديدة

لا مكان للعربات

حين تجوع تناديك رائحة المطاعم المتدلية من الشبابيك

تندغم الأمكنة المفتوحة (طرق) و (شوارع) و (ناصية) و (واجهة...) بامكنة توحي مسمياتها (مكتبات دواوين الشعر) و (سوق الزهور) و (سوق الاعشاب) و (حوانيت للحرير) بأن نوافذها استطالت فغدت واجهات وعتبات دلالية تضج بحركة الحياة من الداخل والخارج وهي أمكنة تشغل الحواس الخمس صراحة ووفق المخطط التالي:

حاسة البصر ← مقمرة ، مرايا ، الألوان ، العربات

حاسة الشم ← زهور ، عطرية ،

حاسة السمع ← يعزف الناي

حاسة الذوق ← اعشاب

حاسة اللمس ← حرير

وحين يرسم متخيل الصورة الاستعارية (النافذة) فإنه يستعيض عنها بـ (الشبابيك) التي تؤدي اشكالها المتشابكة(3) وظيفة فنية تراسلية تنصهر في بوتقتها أربع حواس تستدعيها القرائن الاستعارية: (تناديك ← حاسة السمع) ، (متدلية ← حاسة البصر) ، و (رائحة ← حاسة الشم) و(المطاعم ← حاسة الذوق) لتتبلور من امتزاج فضاءاتها حركة دلالية تنبثق من داخل الامكنة المنفتحة على الآخر عبر (نوافذها) إلى الخارج . ويشكل حضور الفعل (تجوع) حركة دلالية أخرى تتصالب مع هذه الحركة إذ تعين توق (المروي له) إلى الاندغام مع تلك الحياة المائرة المحتجبة خلف تلك (الشبابيك).

ويتخذ التشخيص الاستعاري في القصيدة الواحدة والأربعين من (النافذة) زاوية رؤية يطل من خلالها على عطاء فصل الربيع وما يغدقه من سحر مضاف إلى فتنة صنعاء إذ يرد :

برينة هي وملتصقة بجمال أزلي

تستيقظ على أصوات العصافير

وتنام على هديل الحمام

وأنغام المزامير القادمة من الضواحي القريبة

شتاؤها خجول دافئ

صيفها بارد وحنون

في مواسم الربيع يفتح الأهالي شبابيك منازلهم

في الصباح الباكر لإستقبال هدايا الورد والنسرين

يستهل متخيل الاستعارة المكنية هذا المقطع الشعري ببراءة المدينة (المستعار له) التي تؤشر سجيتها البيضاء وفطرتها الخيرة ، ولم يجعل الجمال إلا قريناً سرمدياً لها بيد أنه غير منفصل عن كينونتها وهو ما يؤكده اللفظ المستعار (ملتصقة) . وينفذ بعد ذلك الى فضائها الزمني (النهار والليل) المستقى من الفعلين

المستعارين (تستيقظ وتنام) وهما يكنيان عن عشقها للحياة بـ(أصوات العصافير) حيث يشيران إلى ولعها بالسلام بـ(هديل الحمام) ويومئان إلى شغفها بالجمال بـ(أنغام المزامير) ويتجه الانزياح الاستعاري صوب فصولها الاربعة بدءاً بشتائها المهيب ومروراً بصيفها الشفوق وهما سيان يتآنسان كي يعززا سمة الرحمة والالفة بين (المدينة / الأنثى) وطبيعة الزمنين (الشتاء/ الصيف) :الذين قد يقسوان على مدن الارض الأخرى ، بيد أنهما تحت أفق هذه المدنية الفاتنة يتلفعان بدلالات جديدة متعاكسة ـ إذ يكون الصيف (بارداً) والشتاء (دافئاً) ـ تمنح تلك المعشوقة فضاءً زمنياً طريفاً يوقد الدهشة والاثارة.

وتصل الصورة الاستعارية المكنية ذروتها حين تتلبث عند فصل الربيع فتطل الشبابيك المفتوحة على مصراعيها لأستقبال زائر العطر ، وقد كنى زمن (الصباح الباكر) عن البدء والوعد والميلاد ، وعكست (هدايا) الورد والياسمين انزياحاً استعارياً يجلي حركة انتقال التأثير السحري للشذا واللون الباهر صوب تلك المنازل واستقراره فيها كما يؤشر تغيب فصل الخريف بان متخيل الشاعر لا يطيق أن يرى الحلل الخضر القشيبة التي تتزين بها هذه المدينة وهي تفقد لونها وتغدو هشة تذروها الرياح .

وتحمل النافذة مرجعية تراثية ومعتقدات شعبية يشي بها جميعاً مطلع القصيدة السابعة والثلاثين:

في شارع الأبهر
تسهو الاقدام عن السير
وتنشغل العيون برؤية
التعاويذ المصورة على الشبابيك
طيور وفراشات
حيوانات وحشية تزين الأقواس

تطل (الشبابيك) عبر فضاءات سحرية تستدعيها (التعاويذ) التي يتلبث عندها النص وينفذ إلى جزيئاتها الناطقة (طيور ، و فراشات ، وحيوانات وحشية) . ولا ريب في أن تلك الصور المنقوشة على أقواس النوافذ تعكس للمتلقي الاشكال الزخرفية التي يضج بها ذلك المكان العريق (شارع الأبهر) زد على ذلك أنها تستثير متخيل القارئ باتجاه الابعاد النفسية لتلك النقوش المستمدة من الذاكرة الشعبية الزاخرة بخزين التجارب والذكريات المستقاة من طبيعة تلك (الفراشات والطيور والحيوانات) وما كونه عنها الانسان عبر العصور لتتخلق كناية تومئ إلى المرجعية التراثية –لأنسان هذه البلاد – التي واكبت طفولة الفكر البشري ومعتقداته وطقوسه وبدت منعكسة على زوايا هذا المكان – الذي ربما اشار(الأبهر) إلى بؤرة الاحساسات ومركز المشاعر (القلب) – فيشع ألقاً ينعكس على عيون المارة فإذا بـ (الاقدام تسهو عن السير) تحت تأثير السحر المنبعث من هذه الشبابيك وتعاويذها ونقوشها وألوانها .

وتكون (النافذة) قسيماً تشبيهياً للوحة فنية ذات هندسة خاصة تزين جدران (المنظر) و (المفـــرج)(4) في القصيدة الثامنة إذ يرد :

انك لا تستطيع الدخول إلى اللوحة
انها سطح جميل لا أكثر
أما صنعاء اللوحة الجميلة
فإنك لن تعرفها إلا إذا جاوزت السطح
وتخطيت الجدران والفضاء إلى الداخل
وإلا إذا وقفت في (المنظر)
أو تطلعت إليها من (المفرج)
إذ مشيت بعينيك خلف زجاج النوافذ
وتحسست بالنظر وبالقلب بقية اللوحات
ليس البرق
ولا قوس قزح
ولا ريشة سلفادور دالي
هي من أبدع هذه النوافذ
ولوّن هذه الجدران

يستهل النص بمهاد مكاني محدود يتكئ على اللوحة بطقوسها اللونية وظلالها الموحية وهو ينطلق منـــها إلى رحاب المهاد المكاني الواسع الذي يستوعب مدينة صنعاء ويأتي الاقتران بين المهادين في غضـــون صـــورة تشبيهية تمثيلية تنتمي إلى تجليات المحكي الشعري الذي يتجاوز (السطح والجـــدران والفضـــاء) ، وهنـــا يتضافر المهادان في اطار حركة بصرية تتجه من خارج اللوحة إلى داخلها إلا أن هذه الحركة تصطدم بـــواو العطف والأداة (إلا) لترتد بحضور (المفرج) و (المنظر) حركة الرؤية من داخل تلـــك الامكنـــة وعـــبر نوافذها إلى الخارج ليتمدد النظر أفقياً وعمودياً وهو يستكشف أبعاد اللوحة ، ويمنح الفعلان المســـتعاران في (مشيت بعينيك) و (تحسست بالنظر) الانزياح الاستعاري أبعاداً تراسلية تماهي بين قدرة النظر علـــى الانطلاق وتوق النص في أن تحفر تلك التفاصيل لها مكاناً في الذاكرة ، ويكسر حضور (القلب) (المســـتعار له) توقع القارئ إذ ينفلت هذا اللفظ الرامز للعاطفة الجياشة باللوحة خارج سلطة الحواس لتبقى مســـتقرة على جدار الروح ، فضلاً عن أنه يفتح كوة باتجاه (المسكوت عنه) الذي شاء الشاعر في أن يحفز المتلقـــي على تشكيل المتن الغائب لا سيما حين يجعل خاتمة هذه القصيدة مفتوحة إذ يوقد الاستدراك بـــ (ليـــس) فيضاً من التساؤلات التي تدور حول كينونة ذلك الذي (أبدع هذه النوافذ ، ولون هذه الجدران) ؟ .

ويشكل (البرق) و (قوس قزح) حركة ضوئية متضادة ففي الوقت الذي يبشر البرق فيـه بهطـول الغيث ، فإن (قوس قزح) ضوء كاشف عن انثيال المطر المتعاشق مع أشعة الشمس ، ولكن هذه الثنائيـة تتواشج في اطار حركة دلالية تتضاد مع ريشة (سلفادور دالي) إذ يكون (البرق) و (قوس قزح) كلاهمـا قطباً تحتضنه الطبيعة المعطاء في حين تكون ريشة سلفادور دالي — التي تحمل ذاكرة حافلة بحضارة الفـن — هي القطب الآخر المضاد بيد أن هذه الثنائية تنسجم في خضم حركة الغاء وتهميش خارج سلطة الـذات وتعزز هذا التوجه الايقاعية الدلالية لتكرار النفي (ليس ، لا ، لا) لتتخلّق كناية كبيرة تشع مـن عمـوم القصيدة تؤشر موقع الناظر للوحة صنعاء إذ يتحتم عليه أن يجتاز مستوى السطح كي يتماهى معها روحـاً وانتماء وهي كناية تفلح في أن تنتقل بـ(أنا) (المروي له) من مجال بصري (العـين) إلى مجـال بصـيري (القلب) وفي نسيج شعري يغيب سلطة الزمن لتكون هذه المدينة لوحة باهرة متألقـة في كـل الازمـان

وتستوعب (النافذة) في القصيدة الرابعة ثلاثة انعكاسات بصرية إذ يرد في قول الشاعر :

يستطيع الفقرُ أن يكون جميلاً وناصعاً
إذا داومَ النظر إلى وجهة بمرآة النظافة
وأستحوذ عليه ما أبقت القرون
من ترف الذوق وأرصدة الجمال
هذا ما تتحدث به ألوان الطيف
التي تقذف بها النوافذ الزجاجية من البيوت الصنعانية
إلى الشوارع المعتمة
وفي ضوئها تتلألأ الأقدام
وتتصاعد سحابات من البخور

يتمظهر الأول في انعكاس (وجه الفقر على المرآة) ، وتتجلّى في إضافة المرآة إلى النظافة صورة تشـبيهية بليغة تلمح رغبة النص في أن يخلق مواجهة مباشرة بين الفقر المتأنسن وأناه ليمنحه سانحة الكشـف عـن وجهة الناصع الجميل المطمور تحت أسمال الفاقة . ويومئ البعد الزمني الممتـد في (قـرون) إلى اسـتبطان ركائز ذلك الجمال الروحي ومسوغاته الموصولة باستيعاب الأرث المعرفي والثقافي المكنى عنه بـ (تـرف الذوق) و (أرصـدة الجمـال) ، وتؤكـد القرينتـان الاسـتعاريتان (تـرف) و (أرصـدة) أجـواء الثراء النفسي .

وأما الانعكاس الثاني فإنه يبلور من (ألوان الطيف التي تقذف بها النوافذ الزجاجية مـن البيـوت الصنعانية إلى الشوارع المعتمة) كناية تومئ إلى أن الفاصل الحسي (زجاج النوافذ) لا يشكل حاجزاً بين الامكنة المغلقة المضاءة (البيوت) والامكنة المفتوحه المعتمة (الشوارع) بل أنه يرهص بالإنعكـاس الثـالث

والأخير الذي تضمنه (في ضوئها تتلألأ الأقدام) إذ يكشف انعكاس الوان الطيف على (الأقدام) الرامزة للسعي الدائب والمكابدة عن ثنائية متضادة بين (الضوء/العتمة) بيد أن هذا الاحتدام يفضي إلى انهزام العتمة وخلق حالة اتساق بين ألوان الطيف المنبثقة من زجاج النوافذ والخطوات الموقعة لتلك الاقدام ويشكل التشبيه البليغ الذي استوعبه السطر الأخير حركة دائرية لمعطيات حاستي(البصر) و(الشم) مستقاة من هبوط ألوان الطيف و (تصاعد سحابات من البخور) وقد منحت السحابات (المشبه به) المحكي الشعري دلالاتها المكتنزة بالخصب والخير العميم الذي يغمر (البيوت الصنعانية المضيئة) و (الشوارع المعتمة) على حد سواء .

وتومئ القصيدة الثالثة الى أحياء صنعاء القديمة ومن خلال صورة ثنائية رمزت اليها النوافذ الصدئة إذ يقول الشاعر:

عبر المدى
ومن خلال النوافذ الصدئة
تصافح العين المآذن والقباب المغسولة
باللون الأبيض
وتحدّق في بيوت عتيقة كأنها الذكريات
الصلوات تنهض ببطء
وفي الأحياء الخلفية يمر الضوء متثاقلاً
في أزقة منقوعة بالحنين والبكاء
الأطفال يتحسسون برموش أعينهم نصف المغلقة
بقايا اللوز والزبيب الذي يسقط سهواً
من ناطحة سحاب يسكنها أمير جديد
البيوت تتكئ على بعضها
والعصافير الواقفة على حافة النوافذ ترتعش
وتمتص الثرثرات
في انتظار فاتحة الندى

نطل مع النص على تلك الأحياء العريقة ــ إبان البلاج الصبح وهو زمنٌ باح به النص الغائب - فنرى (مآذنها) و(وقبابها) . ويؤذن اللون الابيض الصريح ببزوغ ضوء الفجر الذي تصطبغ به تلك الأمكنة المقدسة . وقد وهب الفعل المستعار (تصافح) حركة الرؤية (العين) فضاءً تراسلياً ، كما أنه أفصح عن

ولع تلك (الانا / الساردة) بالأجواء الصوفية . ويرتبط تسلل الضوء باتجاه البيوت العتيقة في متخيل التشبيه المرسل [5] بالذكريات وما وجه الشبه الجامع بينهما إلا التجارب والخبرات التي عاشها إنسان هذه الأمكنة وعبر فضائها الزمني الممتد الى احتضان الآباء والأجداد ومن سبقهم ، وتتبلور من السطرين السابع والثامن استعارة مكنية مركبة تومئ بانقشاع العتمة الوئيد عن أمكنة متخمة بالحرمان . كما يفلح اللفظ المستعار (البكاء) في أن يستثير مرجعية القارئ باتجاه هذا الفعل الذي يعكس لحظة الهزيمة القصوى . كما تنجح القرينة الاستعارية (منقوعة) في أن تمنح تلك الاجواء المعتمة سمة لمسية تؤكد فضاءات الانغمار والاشتمال حد غياب الحياة .

وحين تنطلق الصورة الكنائية من البيوت العتيقة المنكمشة على بعضها لتتلبث عند الامكنة الفارهة الشاهقة المرموز لها ب(ناطحات السحاب) فأنها بدءاً توحي بالتناشز الدلالي بين المكانين لتفضي الى بؤرة النص التي تؤشر تضاداً حاداً بين (الغنى / الفقر) كما يحيل استحضار الصغار الى ثنائية (الترقب / السهو) و (الجوع / التخمة) ، وسرعان ما تقرن الكناية هؤلاء الصغار المحرومين بالعصافير وهم يصطفون حافة (النوافذ) أمكنة لوقوفهم وفي أطار حدس طفولي تستثيره طعوم (اللوز و الزبيب) فضلاً عن أن هذه النوافذ هي التي تمدهم بالاحاديث الممتزجة بالندى قرين الطفولة والمعادل الفني لغضارة عودهم حيث يستحيل الندى مطراً غريزاً ويغدو الصغار رجالاً وفي إطار حركة دائرية تؤكد حتمية غياب الليل والجدب وأزلية سطوع النور.

وتلوح نوافذ صنعاء المشرعة على كل الاتجاهات في القصيدة التاسعة التي يقول فيها الشاعر :

تذكروا دائماً
أن أخطاءها الذهبية
أفضل من صوابكم العقيم
ونوافذها المفتوحة على كل الاحتمالات
أقدر على التعبير من أفكاركم الموصدة

توحي (النوافذ) هنا بالانفتاح على كل الرياح والرؤى ونبذ الإنغلاق الذهني والتعصب الفكري ، وهي سجية جبلت عليها صنعاء فصارت سمة من سماتها .

وحين يغيب الشر نهراً كان يغسل (أقدام المدينة) فإن النافذة تستحضر صورة ذلك النهر وفي إطار توثيق يمتزج فيه الحلم بالتاريخ إذ نسمع صوت الشاعر في القصيدة السابعة عشرة يقول :

وكلما مررت بالنهر الجاف
رأيت على وجه الجسر سؤالاً

لم تستطيع العين التقاط فحواه
وبعض النوافذ المطلة تشهد
إنما تستطيع رؤية الماء وهو يركض
في طريقه إلى الصحراء

توقد النوافذ المشرفة على (مجرى النهر الجاف) ارتجاجاً دلالياً في لوحة المكان — التي تشهد انهزاماً لزمن ملفع بتألق النهر وسخاء هباته إزاء انتصار الغياب والجدب — عبر استحضارها لزمن خاص يهتك حجب الغياب إذ يبلور الفعل المستعار (تشهد) تورية تستوعب معنيين فأما الداني فإنه يؤشر الرؤية البصرية التي تتواصل مع النهر الغائب كياناً والحاضر عنفواناً وتاريخ حضارة وأما القاصي فإنه يومئ إلى ان هذه النوافذ هي شهود عيان على فاجعة الغياب .

إن المفارقة الحقيقية لا تكمن في استحضار النهر الغائب واستعذاب دفقه والاستئثار به ، وانما تكمن في حركة النهر السريعة — المشار إليها بالفعل المستعار (يركض) — باتجاه الصحراء التي يثيرحضورها فيضاً من التساؤلات منها : هل يترشح المعنى البعيد للفعل (يشهد) فتكون النوافذ واحدة من الذين شهدوا حدث الفقد وإذ يفضح الفعل (يركض) هيئة ذلك النهر المحاصر وهو يرود تخوم اليأس مرتعبا باتجاه الصحراء قرينة الهلاك والفناء ؟ إم أن الفعل (يركض) يفتح باباً باتجاه سجايا هذا النهر وهباته إذ يهبّ مسرعاً باتجاه الجدب كي يمنح الصحراء اخضلالاً واخضراراً . إن إقفال اللوحة بمفردة الصحراء تجعل لوحة النوافذ تنفتح على أكثر من احتمال .

وقد لا تطل النوافذ إلا على خواء مرير في القصيدة السادسة والأربعين حيث يرد:

لم تعد الحارات ترقص وتغني
في الفضاء رصاص
على الأرض دمعٌ ودماء
أبواب مخلعة
نوافذ تشكو الفراغ
لغة مجهولة خاوية بلا لون ولا مطر
وجوه غريبة
أشجار نافرة
جنون ، أذعان ، احتضار
حصان في عينيه حزنٌ عتيق
وأشواق إلى تخوم ملأى بالبروق والنوافذ

تصطرع في فضاء الامكنة الأليفة (الحارات) حالتان احداهما في رحم الماضي تكشف عن الفرح الشـديد وهي حالة تستدعيها مخيلة الشاعر في مقابل الراهن المفزع الذي أفاض النص في رصد تفاصيلـه. فتلـك الحركات المنتشية الموسقة المرموز لها بـ (الرقص والغناء) قد تجاوزها زمن النص منذ ملفوظـه الأول (لم تعد الحارات ..) إذ تداخلت طقوس الغبطة مع حركات الفزع والهلع إزاء الفضاء المتخم بهدير (الرصاص) وإزاء مأساة اغتيال الأرض (دمع ودماء) . ولكي يقرب النص الأجواء الكابوسية الـتي بـاغتت تلـك الحارات فإنه يستحضر (الأبواب والنوافذ) كي تكون شفرات تبوح بالفجيعة إذ تشي كناية الـ (ابـواب مخلعة) بغياب السكينة إذ لا يكون البيت مكاناً مغلقاً أميناً بل أنهُ مكانٌ قابل للاقتحام والهتك . وتفضـح الاستعارة التشخيصية (نوافذ تشكو الفراغ) عن صوت مخنوق يبوح بالعدم والخواء . ولا تكون الاشـجار — وفق متخيل استعاري — إلا قسيماً استعارياً لانسان هذه الأرض (المستعار له الغائب) المتجذر في تربتـها والمشرئب باغصانه صوب الضوء والخلاص . وقد أفلحت القرينة الاستعارية (تـسـافرة) في اعطـاء هـذه الاشجار المتكاثفة (المستعار منه الحاضر) هيئة مرتبكة حانقة تتسق مع التصعيد الدرامي للمشـهد . وقـد صبت القرائن الاستعارية الأخرى (جنون) (اذعان) ، (احتضار) في المصب ذاته إذ عـززت هـذه المحنـة واذكتها .

وينبئ حضور (الحصان) وما يفيض به من رموز تستثير الذاكرة العربية عن استشراف للمسـتقبل الذي يهمش الراهن المتخم بـ (الوجوه الغريبة) و (اللغة المجهولة) باتجاه أمكنة مترعة بالخصب والحركـة وقد كُني عنها بـ (البروق) و (النوافذ) . فكما أن البروق هي وعد بالغيث والنماء فإن النوافذ هي وعـد ضمني بالغبطة والحياة.

وتستعير (النافذة) في القصيدة الخامسة والعشرين من الباب سجاياه في اطار انزياح استعاري يرصد وطـأة الحدث على المدينة الامنة :

وحين حكمت الكائنات المتحجرة هذه المدينة
وحطمت الهراوات قناديل الفن
أغلقت المنازل نوافذها
حتى لا تطير الألحان

تطل (المدينة) و (منازلها المفتوحة النوافذ) من خارج زمن النص أي قبل لحظة السرد الشعري بيد أن هـذه النوافذ توصد بحضور (الكائنات المتحجرة) التي تطبع الامكنة بسماتها المغلقة المستقاة من طبيعة (الحجـر) فيزهق حضورها المباغت عنفوان الحياة المرموز له بـ (القناديل) و (الالحـان) ، إذ تتشـظى الصـورة التشبيهية البليغة (قناديل الفن) ليطبق ليل نفسي لا يومض فيه إلا بريق الهراوات توكيداً لاجواء الانغلاق على الهلع والعتمة . وينجح الانزياح الاستعاري في منح النافذة (المستعار له) دلالات جديدة ، فحـين لا

تكون البيوت إلا أقفاصاً وإلاحان عناديل مكبلة مسلوبة الفضاء ، فإن النافذة بدورها تكون بوابة سـجن تحول دون تحليق الالحان وانطلاقها وقد أكد الفعلان المستعاران (أغلقت) و (لا تطـير) أجـواء الكبـت والحرمان .

ويكون غياب (النافذة) في القصيدة التاسعة والعشرين رديفاً لأحساسات الأنقباض وعدم الارتيـاح وهو ما لا يمكن أن يتخيله الشاعر إلا على صعيد الحلم الذي يقترب من هيئة الكـابوس في حـواره مـع صنعاء :

سامحيني إذا كنتُ قد رأيتك في الحلم
بلا نوافذ
وبلا أبواب
وقد وقف عند كل باب من أبوابك السبعة
خنزير يصفع بذيله وجوه الحمام
وسامحيني إذا كنت قد رأيتك
في حلم آخر
جثة هامدة ترفل في أكفانها

يزاح الفعل المستعار (سامحيني) صوب أجواء الإصغاء والصفح التي تتحلّى بها صنعاء (المسـتعار لـه) – وتؤكد هذا المعنى الصياغة التركيبية للاستهلالة (إذ يتقدم فعل الشرط (سامحيني) على أداة الشرط وفعلـه) – ، زد على ذلك أنه يعكس أحساس الشاعر بالذنب إزاء هذه الرؤيا الكابوسية التي عبّر عنـها النـص بتكرار هذه اللفظة مرتين(سامحيني سامحيني) وتكرار لفظ الحلم مرتين أيضاً ، وهو هنا يأتي مشبعاً بالمفـهوم الشعبي للحلم إذ أنه حدس وتنبؤ بالمستقبل لذلك يخشى الشاعر من تحققه ، ولان هذا الحلم (الكـابوس) يلح على الذاكرة فإن ايقاعية تكرار (سامحيني إذا كنت قد رايتك في الحلم) مرتين قد خلقت هالة نغميـة تستوعب توافقاً انزياحياً يتيح تنضيداً دلالياً للمسكوت عنه ووفق المخطط التالي :

رأيتك بلا نوافـذ ولا أبـواب ◄———— رأيتك جثة هامدة
خنزير يصفع بذيله وجه الحمـام ◄———— ترفل بأكفانها

فأما التوافق الأول فانه يواشج بين حالتين تؤكدان أن النوافذ والابواب قرائن للحياة وغيابها يعـني الموت المؤكد المكنى عنه بـ(الجثة الهامدة) . وأما التوافق الآخر فانه يصطبغ باللون الأبيض المفعم بالحيـاة (وجوه الحمام) إلا أنهُ يتقهقر في طرف المعادلة الأول أمام وحشية العتمة المكنى عنها بـ (خنزير يصفـع بذيله) بيد أن بياض الكفن الرامز للموت على طرف المعادلة الأخر يحمل نكهة تضاد حاد بـين الفعـل

المستعار (ترفل) الموصول بالزهو والحياة والقرينة الاستعارية (اكفانها) التي ينطوي ملفوظها على عتمة الاندثار والموت .

ولأن الفضاءات ملغمة فإن (النوافذ) ترد منغلقة ومتجردة من أبعادها الترائية والتزيينية الضاجة بالألوان والعنفوان ويبقى الحمام وايحاءاته مقصياً عن عتباتها يقف عند أبواب المدينة الموصدة

وتحت سلطة الأجواء الكابوسية وهيمنتها فإن القصيدة التاسعة والأربعين تكني عن غياب النوافذ بـ(الزنازن) إذ يصلنا عبرها حديث الشاعر مع صنعاء وبإسلوب الحوار الخارجي (Dialogue) (٥):

مدي شراع عينيك بعيداً بعيداً
إلى ما وراء (غيمان) و (مأرب)
.....
لا يستطيع هذا الظلام أن يحول
دون طلوع الشمس مرة ثانية
قصائد الشعر الصاعدة من الزنازن
تحمل الربيع إلى الأرض الجديدة
وتسافر خارج تضاريس الخوف

توقد طبيعة الفعل المستعار (مدي) فضاءات الرجاء ، وتجلي الشوق في خرق جدث الحاضر باتجاه الآتي المترع بالعنفوان إذ يصعب على مخيال الشاعر أن يرى (صنعاء / المعشوقة) تكابد وقد غامت (عيناها) لطارئ الحزن الذي ألم بها لذلك تكون الصورة الاستعارية المكنية ذات الطابع البصري استهلالاً لاستشفاف أمكنة جديدة وفضاءات مدهشة (إلى ما وراء غيمان ومأرب) تفرج الهم عن ذلك (القلب) المبهض بالمعاناة ، وتزيح طارئ العتمة الذي أطبق عليه ، وقد أفلح التشبيه البليغ (شراع عينيك) في منح تلك (الأنا) القدرة على التوغل في أعماق الأمكنة حد الانغمار والاشتمال ، كما استطاعت ايقاعية التكرار المتخلقة من (بعيداً ، بعيداً) في أن تعكس توق النص في أقصى الانطلاق وأفسح الرحاب . ولا يقف متخيل الاستعارة المكنية في انطلاقة صنعاء عند تجاوز حدود الامكنة بل إنهُ يدعوها لأن تتجاوز عتمة حاضرها في السطر الشعري الثالث إذ يتكشف زمنان متضادان (الظلام/ الشمس) يهب اصطراعهما حركة لونية يطغى فيها لأول وهلة اللون الاسود الرامز للظلم والشر على بصيص اللون الأبيض الموحي بالعدل والخير . بيد أن حضورقول الشاعر (مرة ثانية) يؤكد معادلة الحياة وسجيتها ومنطقها إذ سرعان ما تنفتح النوافذ على مصراعيها لاستنشاق النور الساطع المقترن على صعيد رمزي بـ (قصائد الشعر الصاعدة من (الزنازن) فهي النبض الذي لا يحتاج لكي يتجاوز الامكنة الموصدة (الزنازن) إلى نوافذ إذ

تتسلل مع الأثير من شقوق الجدران الصفيقة المكنى عنها بـ (تضاريس الخوف) حاملة ايقاعاتها الثائرة وعنفوان بوحها كي يتحقق بكفاحها رؤية صنعاء (المعشوقة) وهي تتجاوز سكونية الراهن وباتجاه أمكنة مفتوحة (ارض جديدة) وأزمنة مترعة بالخصب (الربيع) حيث لا حدود ولا حواجز ، وفي اطار صورة كنائية مشفرة تؤشر إيمان النص بقدرة الكلمة الثائرة على النفاذ عبر أصلد الجدران واعتى الاقفال .

وحين تنام المدينة في القصيدة الخامسة والاربعين فان (النافذة) المفترحة هي الحلم الذي تتوق اليه :

كانت المدينة المسكونة بالخوف
والفقر والجمال
قد رات في المنام انها تعانق البحر
وان الضوء لم يعد ينتحر على النوافذ

ثمة ليلٌ نفس يتسلل من النص الغائب ليطبق على تلك (المدينة) مشكلاً فضاءاً دامساً يجثم على تلك الذات المستغيثة بالاحلام جسوراً توصلها إلى مستقبل ينفض الجدب والهلع عن كاهلها بيد انه مستقبل يهمشه الراهن المعاش ولأن متخيل الاستعارة التشخيصية شاء أن يبرز سلطة الليل فان تلك (المدينة) (المستعار له) المسكونة بالجمال تستحيل بحضوره وبغياب (النوافذ) زنزانة مقفلة يكرس عتمتها الراهنة الفعل المستعار (ينتحر) الذي يسلب تلك (النوافذ) ألقها فتغدو مطفأة تماماً كجدران تلك المدينة المسكونة بالخوف والفقر .

وبعد ، فإن النافذة قد أطلت عبر قصيدة النثر -- التي شاطرت قصيدة التفعيلة حيزها المكاني — في مجموعة (كتاب صنعاء) للشاعر عبدالعزيز المقالح بسمات جديدة تخلقت بحضور الانزياح البياني من تشبيه واستعارة وكناية . حيث استثمر النص عبقرية التشخيص الاستعاري الذي يعد عماد قصيدة النثر في هذه المجموعة ، والأساس الذي وقفت عليه ، إذ لا تبدو لنا النافذة فيها إلا إنسانة تحمل في ذاكرتها تاريخ الانسان اليمني وهويته وتطلعاته عبر العصور وهي تتكلم ، وتشكو ، وتشهد ، وترى ، وتنادي ، وتتربص ، وتطل ، و ....و لا تقف الاستعارة التشخيصية عند هذه الحدود بل تتجاوزها إلى انسنة الجبل ، والنهر ، والشارع ، ... وحسبما يقتضيه السياق الشعري .

وثمة احتفاء بالصورة الكنائية وما يتشعب منها من ترميز ، وتلويح ، وتعريض ، وايماء ، وإشارة ، وتحضر الصورة التشبيهية بأنماطها المتنوعة ولا سيما التشبيه البليغ والتمثيلي والمرسل . وقد تضافرت عناصر الصورة البيانية المشفرة بأنماطها الثلاثة في أن تجلي فضاء النافذة الذي تتراءى من خلفه نبرات صوت الشاعر وملامح وجهه فضلاً عن انها أفلحت في أن تعكس عالمين يبدوان متضادين هما (خارج النافذة/ داخل النافذة) بكل تفصيلاتهما وفي اطار حركة دلالية متضادة تتصالب حيناً ، وتتضاد حيناً ، وتتماهى ثالثة .

غدت النافذة في معظم القصائد فضاء انتظار وترقب وتوقع كما أنها جاءت قرينة الحرية والحيـــاة وتغييبها يعني غيابهما .

شكلت(النافذة) بؤرة دلالية تُشرك متخيل المتلقي في صياغة بنية (المسكوت عنـــه) ومـــا شـــكلها الظاهر المزدان بالألوان والمزركش والموغل في العراقة إلا مفتاح سحري لفك مغالق النص الغائب إذ أنهـــا تهب فضاء النص قدرة الانطلاق صوب أمكنة جديدة تتيح الانفتاح على رؤى زمنية مدهشة سواء أكـــانت هذه الرؤى راهنة أم أنها تستشرف المستقبل أم تسترجع الماضي القريب أو البعيد معاً .

وإذا كانت النافذة موصولة بحاسة البصر خاصة خارج أفق المتخيل الشعري ، فإنها في هذه المجموعـة قد تراسلت مع بقية الحواس التي انصهرت في بوتقة رؤية النص إزاء الحياة والكون .

الهـــوامـــش

(1): عبد العزيز المقالح ، كتاب صنعاء ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، 2000م

(2) ينظر : د. حفني شرف ، التصوير البياني مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1973م ، ص 19 . وللإستزادة ينظـــر د . وجـــدان عبدالإله الصائغ ، الصورة البيالية في شعر عمر أبي ريشة ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1997م ، ص 180

(3) : ينظر : القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط5 ، بيروت ، 1980م ، ص 522 .

(4) : تعد المفارج الصنعانية من أجمل المفارج وأكثرها أناقة في اليمن ، فالمفرج الصنعاني قد يبنى فوق سطح المنزل أو يكون من غرف الطابق العلوي الواسعة والعالية وتكون نوافذه منخفضة ولها مصاريع يستمتع الجالسون في المفرج عند فتحها بمناظر الأجزاء العلوية للمنازل والجبال المحيطة بمدينة صنعاء . ينظر : شيلاوير ، الدلالات الاجتماعية والطقسية لجلسات القات ، اليمن كما يراه الآخر ، دراسات أنثروبولوجية مترجمة ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء 1997م ، ص81 وما بعدها .

(5) : ينظر : القزويني ، ص510.

(6) : ينظر : مجدي وهبه ، معجم المصطلحات الأدبية : مكتبة لبنان 1974م ، ص110.

موقف الرأي العام العربي من التسلط التركي 248 – 251هـ 862م –865م

أ. د. عـادل محي الدين الألـوسي •

تـوطـئة :

تسلل الترك وهم عنصر اجنبي دخيل الى جسم الدولة العربية الاسلامية بعد الفرس تحت ظـــروف طارئة املاها الواقع السياسي والعسكري بعد الاحداث المأساوية التي شهدتها بغداد في المدة من 193– 198هـ وما تمخض عنها من شعوبية نافس فيها الدخلاء الفرس العرب الاصلاء اجتماعيـــاً وسياســياً وثقافياً وزندقه تطاولت على مبادئ الاسلام الحنيف بقصد تحريفه ، وبالتالي هدمه ، ازاء ذلك جـــاءت رغبة الخليفة المعتصم بالله في تكوين جيش قوي لايحمل عقد تلك الاحداث، والترك الذين وقع اختيـلوه عليهم عنصر يحمل صفات البداوه والجندية والولاء لشخص المعتصم الذي اغدق عليهم مختلف النعـــم والرتب ، فكان ان انتقل بهم الى سامراء لجعلها عاصمة جديدة للخلافة العباسية والتي صارت مرتعـــاً

• عميد كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمـــار

لهم ولابنائهم وتدريجياً تحول هؤلاء الاتراك ولاسيما القادة العسكريين منهم الى مراكز قوه تتدخل في شؤون الخلافة وفي صنع الاحداث وفي تقرير السياسات والمواقف حتى صارت الخلافة العباسية حبيسة اهوائهم وطموحاتهم وصراعاتهم الشخصية وهو ما انعكس على شخص الخليفة الذي لايكون إلا بموافقة هؤلاء القاده الاتراك ، ولم يبق امام الخليفة وهو فى دوامه هذه الصراعات إلا الشعب بإعتباره القوة الحقيقية المساندة للخلافة في صراعها ضد التسلط الاجنبي ، وقد تحمل اهل بغداد العب الاكبر جراء هذا الصراع وآثاره السلبية في ضياع هيبة الخلافة وكثرة الفتن واضطراب الامن وغلاء الاسعار الى درجة تضور الناس جوعاً كما تروي مصادرنا التاريخية [1].

سأحاول ان اقف عند جانب من هذه المواقف التي وقفها الرأي العام العربي وهو يعلن سخطه وتذمره من التسلط الاجنبي سواء كان فارسياً او تركياً وقد حددت مقالتي بمدة قصيرة لاتزيد عن ثلاث سنوات من 248–251هـ لتكون أنموذجاً لما آلت اليه الخلافة العباسية وهي تئن من ثقل السيطرة الاجنبية التي القت بكلكلها على المجتمع العربي لتعمل فيه تمزيقاً وتفريقاً وتجزئة وانقساماً وفقراً وطبقيةً وبالتالي ضعفاً وهزالاً والله من وراء القصد .

محاولات جريئة للاستقلال :

بمقتل المتوكل على الله سنه 247هـ –861م على يد القاده الاتراك ، دخلت الخلافة العباسية في دوامة من الصراعات مع عدد من القادة المتسلطين ، يأتي الخليفة بمشورة منهم وقد ينفذ بعض رغباتهم ولكن سرعان ما ينقلب عليهم وفي نفسه عزيمه اكيدة في تقليص نفوذهم والتخلص منهم وبالتالي الاستقلال بالخلافة بعيداً عن اهوائهم ومصالحهم الشخصية وهو طموح مشروع طالما راود اذهان خلفاء بنى العباس في هذه المرحلة .

هذا الخليفة المنتصر بالله الذي اعتبره القاده الاتراك صنيعهم وطوع ايديهم يضيق ذرعاً بتصرفات وصيف وبغا الصغير والتهم أحمد بن الخصيب ، ولا أدل على ذلك من وصفه لهم بـ (قتلة الخلفاء) [2] وانه مصمم على القصاص منهم بقوله (قتلني الله ان لم اقتلهم وافرق جمعهم)[3].

وعبر المنتصر بالله عن حاله وغلبة الترك على أمره بما نقله ابن العبري لما اجبر المعتز والمؤيد على خلع نفسيهما من ولاية العهد نزولاً عند رغبة الاتراك (اترياني خلعتكما طمعاً في ان اعيش حتى يكبر ولدى وابايع له ، والله ما طمعت في ذلك ، ولكن هؤلاء – واوماً الى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد – الحوا علي في خلعكما ، فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتي عليكما ، فمتى تريانى صانعاً ، أاقتله ؟ والله ماتفي دماؤهم كلهم بدم بعضكم)[4].

لم تقف الخلافة العباسية في صراعها هذا لوحدها بل ان الرأي العام العربي والاسلامي ســـاندها ، فقد تجمع العامة ومعهم الجند بيان العامة واعلنوا سخطهم واحتجاجهم على مقتل المتوكـــل علـــى الله مطالبين بقطع الايدي التي نالت منه ، ولشدة هياجهم تزاحموا وتدافعوا ومات بعضهم من جراء ذلـــك [5] . وكجزء من هذه المساندة الشعبية نطق الشعر ليرمي بسهامه اولئك المتســـلطين وعلـــى وجـــه التحديد الوزير الامعة احمد أبن الخصيب.

قـــل للخلـــيـــفة يابن عم محمد ... اشـــكـــل وزيـــرك انه ركـــال
قـــد نـــال من اعراضنا بلســـانه ... ولرجله عنـــد الصـــدور مجـــال [6]

وبعد مقتل المنتصر بالله سنة 248هـ/826م ، أجمع رأي القادة الاتراك الثلاثه وبغـــا الكبـــير بغـــا الصغير واوتامش ومعهم احمد بن الخصيـــــب على ان تكون الخلافة في احد ابناء المعتصم بالله ليبعـــدوا عن اعينهم شبح المتوكل ولسان حالهم يقول (متى ولينـــا احداً من ولد المتوكل طالبنا بدمـــه واهلكنـــا ولايبقى منا باقية) [7]. وعليه فقد اختاروا أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا (لاتخرج الخلافة مـــن ولـــد مولانا المعتصـــــم ، ثم بايـــعوه وهو ابن ثـــماني وعشرين سنه ، ويكنى ابا العباس)[8] وهو المســـتعين بالله (248–251هـ/862–865م) الذي فرضت عليه مقتضيات الحال مسايرة القـــادة الاتـــراك وتلبيـــة طلباتهم الشخصـــــية التي لاأول لها ولا آخر ، وهو يردد : وما حيلة المضطر الا ركوبهـــا ، ولكـــن المستعين بالله شأنه شأن اسلافه تبرم من استفحال امرهم واستحواذهم على مؤسسات الدولة المهمـــة وفي مقدمتها بيت المال الذى صـــار ما فيه بأيديهم ، وفي نفسه رغبة في الضرب على تلـــك الايـــدي الـــتي طالت الخلافة واغتصبت منها كل شئ . ولتحقيق هذا النـــزوع الاستقلالي نفذ سياسة ضـــرب القـــادة الاتراك بعضهم ببعض لزرع الشقاق بينهم واضعافهم وبالتالي تصفيتهم والتخلص منـــهم ، فبـــدأ اولاً بايغار صدر وصيف وبغا ضد اوتامش ومن ثم مقتل الاخير [9] ، بعده جاء دور باغر الـــذي حـــل محـــل اوتامش في قيادة الجيش والذي اصطـــرع مع كتلـــة وصيف وبغا،والب اتباعة (على قتل المستعين بـــالله ومبايعة على بن المعتصم او ابن الواثق ، فنقعـــده خليفـــة حتى يكـــون الامر لنا، كما هو لهذين اللذيـــن استوليا على امر الدنيا ، وبقينا نحن من غير شئ)[10] . إلا ان الدائرة دارت عليه وقتل مما أحدث هياجـــاً اضطر معه المستعين الى ترك سامراء والانحدار الى بغداد [11] ليحتفظ لنفسه بشرعية الخلافة ويتمسك بهـــا [12] ونتيجة اصراره في عدم العودة الى سامراء تخلى عنه وصيف وبغا ، وبـــذلك كشفا عـــن حقيقتـــهما ومالا الى جنسهما التركي ، اما مـــوقف محمد بن عبدالله بن طاهر عـــــامل العراق وهـــو مـــن بقايـــا الفرس ، فقد كان انتهازياً جباناً ، فبعد ان رحب بالمستعين ووعده بالوقوف معه بإعتباره الخليفة الشـــرعي

، إلا انه سرعان ما قلـب عليه ظهر المجن بعد ان رجحت كفه المعتز بالله ومعه جند سامراء ، وبعـد ان رابه موقف اهل بغداد وبعض الخراسانيه والعيارين الى جانب الشرعـية التي يمثلها المستعين ، مدافعـين عن بغداد التي حصنوا اسوارها ، وحفروا الخنادق حولها ، وفتحوا السدود بإتجاه سامراء لمنـع وصـول جندها [13] .

قال حفيد طـاهر بن الحسين للمستعين : لابد لك من خلعها – أي الخلافة – طائعاًاو مكرهـا) . ازاء هذا الموقف الشعوبي الجبان اضطر المستعين بالله الى القبول بالنفي الى واسط ، ثم ان الاتراك لم يقـر لهم قرار الا بعد ان قتلوه على يد سعيد الحاجب الذي وصفه المستعين لما قدم الى واسط بقوله (قد جـاء جزار بني العباس)[15] وهكذا فقد جاءت محاولة المستعين بالله التحرريه لتسجـل موقفاً جريئاً وقفتـه الخلافة العباسية من التسلط الاجنبي التركي ، عبأت من خلاله الرأي العام العربي ولاسيما اهل بغـداد الذين تحملوا القسط الاكبر من تبعات هذا الصراع واثاره .

الرأي العام العربي يشجب التسلط التركي :

كرد فعل للاحداث التي المت ببغداد على ايدي القادة الاتراك وما اكتنف هذا الصراع الدمـوي من مواقف شعوبية وانتهازية ومواقف اخرى مشرفة وقفها اهل بغداد ، فقد هب الرأي العـام العـربي معرباً عن شجبه للانتهاكات المفضوحة التي قام بها الجند الاتراك بحق العرب اولاو بأهل بغداد ثانياً ، مـن خلال حـركات ووثبات اتخذت طابـعاً شعبياً معادياً للتسلط الاجنبي ، ففي سنه 249هـ ، اتخذ اهـل بغداد مـن مقـتل عمـر بن عبـدالله الا قطـع وعلي بن يحي على يد الروم (وكانا نابين مـن انيـاب المسـلمين ، شديداً بأسهما ، عظيماً دفاعهما عنهم في الثغور التي هما بها)[16]، فرصة لاعـلان سخطهم على سيطرة الاتراك وتلاعبهم بمصائر الناس ، وقد عـبر الطبري عن ذلك بقولـه : (وعظـم مقتلهما في صدورهم مع قرب مقتل احدهما من مقتل الاخر ، ومع ما لحقهم مـن استفظاعهم مـن الاتراك قتل المتوكل واستيلاءهم على امور المسلمين ، وقتلهم من ارادوا قتله من الخلفاء ، واستخلافهم من احبوا استخلافه من غير رجوع منهم الى ديانة ولانظر للمسلمين ، فاجتمعت العامة ببغداد بـالصراخ والنداء بالتغير وانضمت اليها الانباء الشاكرية ، تظهر انها تطلب الارزاق ففتحوا سجن نصر بن مـلك ، واخرجوا من فيه)[17] . وكلهم عزيمة على محاربة الروم ومقارعة الاجنبي الذي تسلط على رقاب الناس.

اما اهل سامراء فقد وثب نفر منهم معلنين تذمرهم وكرههم للاجنبي ففتحوا السجن بها واخرجـوا من فيه وتصدى لهم (وصيف وبغا ومعهم عامة الاتراك ، فقتلوا من العامة جماعة ، والقي على وصيـف قدر مطبوخ فأمر وصيف النفـاطين ، فقـذفوا ما هنـالك من حوانيت التجار ومنازل النـاس

بالنار)[18] وقد أكد الطبري هذه الحادثة بقوله : (فانا رأيت ذلك الموضع محترقاً وذلك بسامراء عند دار اسحاق) .[19]

وفي نفس السنه تظلم يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسن العلوي ، محتجاً على غلظة واهانه اصابته على يد عامل الكوفة من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر ، واتخذها مناسبة لاعلان معارضته للتسلط التركي ولتردي الاوضاع الاقتصادية على ايديهم ،فجمع جمعاً كثيراً من الاعراب من أهل الكوفة والانبار وتمكن من الاستيلاء على مافي بيت مال الكوفة والتي قدرت بألف وسبعين درهم ، وفتح سجنيها واخرج ما فيهما وسار بهم الى بستان قريب من الكوفة واتخذها وكراً له (واجتمعت على نصرته جماعة من الاعراب واهل الطفوف والسيب الاسفل وظهر واسط)[20]. ومع ان عامل العراق محمد بن عبدالله بن طاهر ، تمكن من قتله واسر اعداد من اتباعه الا انها كانت وثبة عربية معادية للتسلط الاجنبي ، ولا ادل على ذلك من الحقد الدفين لاولئك الغرباء الذين مثلوا بجسده الطاهر واذلوا كل من ناصره ووقف الى جانبه ، روى الطبري : (انه لما ورد رأس ابي الحسين الى دار محمد بن عبدالله بن طاهر ، وقد تغير فطلب من يقور ذلك اللحم ويخرج الحدقة والغلصمة فلم يوجد ، وهرب الجزارون الاحد عمال السجن الجديد وكان من الخرمية الذباحين يقال له سهل بن الصفدى ، فإنه حاول ان ينصبه بباب الجسر الا ان الناس من اهل بغداد منعوه من ذلك ولسان حالهم يقول : (22)

يابني طاهر كلوه وبيساً ... إن لحم النبي غير مري

ان وتراً يكون طالبه الله ... لوتر نجاحه بالحري

وفي الاردن من نفس السنه احتج نفر من اهلها وتجمعوا حول رجل من بني لخم ، تمكن من جني الخراج والصمود مع اتباعه بوجه المحاولات التي استهدفت القضاء على حركته المعادية للتسلط التركي الى ان اقدم مزاحم بن خاقان في جيش من الاتراك تمكن من تفريق شمل المحتجين ونفى معظمهم الى خارج الاردن [23].

اما أهل حمص ، فقد اثارتهم الاحداث التي تواترت على اسماعهم من هنا وهناك وبالذات ما حدث في بغداد على يد الجند الاتراك، فوثبوا على عاملهم التركي كيدر بن عبدالله الاشروسني بحجة سوء المعاملة التي عاملهم بها ، ولتهدئة هياجهم عين والياً جديداً هو الفضل بن قارن الذي كان مصيره مثل سابقه ، فقد قتل سنه 249هـ [24] وتقدم اهل حمص الى دمشق وحاربوا عاملها التركي توشري بن طاجيل الذي حاول الالتفاف حول حركتهم الا انه لم يتمكن ، واستمر الحال لصالحهم الى ان حاربهم موسى بن بغا الكبير في جيش تعداده سته الاف من الجند الاتراك وتمكن منهم[25] . وقد استمرت حركات مدن الشام تترى واحدة بعد الاخرى ،ففي المعره تزعم يوسف بن

ابراهيم التنوخي المعروف بالقصيص جماعة من تنوخ وساربهم الى قنسرين وتحصن بها وناصرته قبائل بني كلب في حمص ، ولم يهدأ لهم بال الا بعد ان عين القصيص واليا على اللاذقية وما جاورها بعد ان عزل محمد بن المولد التركي عنها [26].

واحتج عرب ديار ربيعه بزعامة ابو العمود الشاري على سوء الاوضاع في ظل السيطرة الاجنبية ، وفي طبرستان سيطر الحسن بن زيد وناصره اهلها لسوء معاملة لحقت بهم من عاملها محمد بن اوس البلخي الذي(فرق ولده في مدن طبرستان وجعلهم ولاتها ، وضم الى كل واحد منهم مدينة منها ، وهم احداث سفهاء قد تأذى بهم وبسفههم من تحت ايديهم من الرعية واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبدالله بن طاهر – وهو اخو محمد بن عبدالله عامل العراق انذاك وكان على طبرستان – سفههم وسيرهم فيهم وغلظ عليهم سوء الرهم فيهم ...)[27].

واجتمعت الى الحسن بن زيد مع طبرستان الرى الى حد همذان [28] . وفي الحجاز ، قام عربها من قبائل بني عقيل بحركات معادية للتسلط الاجنبي التركي وقطعوا الطريق بين جده ومكه وقتلوا حاكمها. [29]

ولما خلع المستعين بالله عن الخلافة ، احتج عامل فلسطين عيسى بن الشيخ ولم يعترف بالخليفة الجديد المعتز بالله الذي نصبه القادة الاتراك بعد ان خلعوا المستعين . [30]

وقف الشعر الى جانب الشرعية التي اغتصبها الاتراك فجاء شعرا ساخرا ناقما ، من ذلك قول أحدهم : [31]

خلع الخلافة احمد بن محمد ... وسيقتل التالي أو يخلع
ويزول ملك بني ابيه ولا يرى ... احد تملك منهم يستمتع
ايها بني العباس إن سبيلكم ... في قتل أعبدكم طريق مهيع

وقال آخر : [32]

أني أراك من الفراق جزوعا ... أضحى الإمام مسيرا مخلوعا
وتجانف الأتراك عند تمرد ... أضحى وكان ولا يراع مروعا
فنزا بهم ونزوا به وتعاورت ... أيدي الكماة في الرؤوس نجيعا
فأزاله المعذار عن رتب العلا ... فثوى بواسط لا يحس رجوعا
باع بن طاهر دينه عن بيعة ... أمسى بها ملك الإمام منيعا
خلع الخلافة والرعية فاغتدى ... من دين رب محمد مخلوعا

الهـــوامش

(1)– الديار بكري: حسين بن محمد (ت842هـ) (تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس) بيروت بلا ج2–ص24.

(2)– ابن العمـــــراني : محمـــــد بن علـــي بن محمـــــد (ت 580هـ).(الانباء في تاريخ الخلفاء) لايـدن 1973، ص122.

(3)– ابن الكازروني : ظهير الدين على بن محمد البغـدادي (ت697هـ) (مختصر التاريخ في أول الزمان إلى منتهى دولـة بني العباس) بغداد 1970 ، تحقيق د.مصطفى جواد ، ص19

(4)– ابن العبري : غريغورس ابو الفرج بن هارون الملطي (ت 685هـ) (تاريخ مختصر الدول) المطبعـة الكاثوليكيـة بيروت 1958، ص146.

(5)– ابن الاثير: عـــز الديـــن بـــن الحســـن عـــــلى بـــن الحســـين (ت630هـــ) (الكـامل في التـاريخ) تصحيح عبدالوهاب النجار ، مصر 1357هـ ج5،ص306

(6)– المسعودي: ابوالحسن على بن الحسين (ت346هـ) (مروج الذهب ومعادن الجوهـــر) دار الاندلـــس 1981 ج4 ،ص48 . ايضاً ابن الطقطقي : محمد بن على بن طباطبا (ت 709هـ) . (الفخري في الاداب السلطانية) بـيروت 19676ص 239.

(7)– السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت911هـ) (تاريخ الخلفاء ...) تحقيـــق محمـــد محـــي الديـــن عبدالحميد ، بغداد 1983،ص358.

(8)– الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد ابو الفضـــل ابراهيـــم ، دار المعارف بمصر سنة 1974ج9 .ص256.

(9)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص264.

(10)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص–280279.

(11)– مسكويه :ابوعلى احمد بن محمد (ت 421هـ) (تجارب الامم ..) ج6 ،لايدن 1871، ج6 ،ص576.

(12)– فاروق عمر فوزي : الدكتور ، (الخلافة العباسية) دار الحكمة بغداد 1986، ص365.

(13)– المصدرالسابق نفسه . العيارون والشطار– طوائف شعبية امتهنت النهب واللصوصيـــة ، انتظمـت في حركـات معارضة اسلوبها الفوضى وطابعها السرية ، وللمزيد يراجع كتابي (الرأي العام في القرن الثالث الهجري) بغـداد 1987، ص91 وما بعدها .

(14)–الطبري ،ج9، ص344.

(15)– ابن الجوزي : جمال الدين بن الفرج(ت 597) . (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) حيدر ابـــاد 1357هـــ ، ج5 ص72.

(16)– الطبري : ج9 ،ص262.

(17)– المصدر السابق نفسه .

(18)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص262–263.

(19)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص263.

(20)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص267.

(21)– المصدر السابق نفسه ، ج9،ص269.

(22)- المصدر السابق نفسه ، ج9،ص270.

(23)- اليعقوبي : احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت284هـ) (تاريخ اليعقوبي) النجف 1358هـ ج3،ص219.

(24)- ابن كثير : عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت744هـ) (البداية والنهاية في التاريخ)
مطبعة السعاد بمصر بلا ج11 ص2.

(25)- الطبري :ج9 ،ص259.

(26)- اليعقوبي : ج3 ص220 ومابعدها.

(27)- الطبري : ج9 ص271.

(28)- المصدر السابق نفسه ج9ص275.

(29)- ابن الاثير :ج5،ص330.

(30)- اليعقوبي :ج2،ص222.

(31)- الطبري : ج9 ،350 .

(32)- المصدر السابق نفسه ج9، ص351.

نظرية البطل في التاريخ دراسة في فلسفة التاريخ وتفسيراته

د. ياسين طه طاهر العسكري *

تمهيـــد

من الذي يصنع أحداث التأريخ ويؤثر في مَساره الأفراد أم الجماعات ، الحكام أم الشـــعوب ؟ هـــذا التساؤل كان محور النظريات والتفسيرات التي ظهرت، والتي تتصل بالتأريخ ودروسه وأحداثه، ونظريـــة البطل في التأريخ واحدة منها، وَجدت عند فلاسفة (الحتمية الاجتماعية) الذين شددوا على أهمية وجـــود البطل ودوره، بل أن البعض من الفلاسفة عبروا عن مفهوم جديد، وهو (رجـــل الأحـــداث) أو صـــانع الأحداث في التأريخ، وقد بالغ بعض الفلاسفة في دور البطل في صنع هذه الأحداث، ومنهم (تومـــاس كارليل) في كتابة (الأبطال). و(سدني هوك) في كتابة (البطل في التـــأريخ)، ويعـــود الســـبب في هـــذا الاختلاف في النظريات التي تناولت تفسير أحداث التأريخ، إلى مفهوم التأريخ نفسه، فأنه لا يمكن تحديـده

* رئيس قسم التاريخ ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمـــار

بمرحلة زمنية محددة ومعينة على العكس من بقية العلوم الطبيعية والاجتماعية، كما اختلفت هذه المدارس في: هل أن التأريخ علم أو فَن؟

وكان التأريخ في نظر ابن خلدون (ظاهر وباطن) إذ قال (هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق في القرون الأولى، وفي باطنه هو نظر وتحقيق للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها، فهو لذلك أصيل في الحكمة أو الفلسفة.) [1]

ومهما تعددت آراء المدارس الفلسفية في تفسير التأريخ، فأنه يظل واحداً من أبرز المنشطات للعقل الإنساني، وهو كذلك سجل لكل عوامل التطور الاجتماعي والاقتصادي والحضاري للمجتمع فضلاً عن أهميته في دراسة أحوال الجماعات والأشخاص الذي يأخذ إذا ما كان دوره تاريخياً صفة (البطل).[2]

ولابد من التأكيد على نقطتين أساسيتين:

أولهما: إن العرب هم أول من أطلقوا لفظة التأريخ قبل الغربيين على العكس مما ادعّاه (روز نثال)، وأول عربي مؤرخ أطلق كلمة التأريخ هو (عوانه بن الحكم الأخباري الكوفي) المتوفى 765م في كتابه (كتّاب التأريخ) وكتب هيثم بن عدي المتوفى 821م كتابه (تأريخ الإشراف الكبير) ولابن الكلبي المتوفى 819كتابٌ باسم (كتاب التأريخ). [3]

وثانيهُما: يتطلب من العرَب إعادة كتابة تأريخهم، وهناك الكثير من المبررات حَول ذلك، في مقدمتها تحريو التأريخ العربي من الأثر السيئ لمدرسة الاستشراق الأجنبية، التي نظرت إلى تأريخنا على أنه تأريخ حروب وصراعات وليس تأريخ حضارات وإبداع وليس فيه دورٌ (للأبطال) الذي يأخذ أشكالا عديدة (العالم المبدع) و(القائد الفاتح) و (الحاكم الفيلسوف العادل) و (القائد الوحدة).

التفسيرات الخاصة بالتاريخ ودور الفرد فيه :

لمعرفة صورة البطل في التأريخ، لابد من تحديد طبيعة التفسيرات الخاصة بالتأريخ، فهي تختلف من مدرسة إلى أخرى، وتنظر إلى التأريخ من رؤية خاصة بها، وتطرح مبرراتها في ذلك، وتجعل منها الأساس في تحديد هذا المفهوم، وتعبر هذه المدارس عن رؤيتها في تفسير أحداث التأريخ، وسنحاول بإيجاز التعريف بها وصولاً إلى نظرية (البطل في التأريخ).

لقد ارتبطت هذه التفسيرات بشخوصها، والتي عبّرت عن هذا التشخيص بما يخدم أهداف الحركة التي أسسها ذلك الشخص أو قيادها كالصهيونية والنازية والفاشية وغيرها من الحركات الهدامة.

فالتفسير الإسلامي يركز على المنطق الجوهري للتأريخ وهو أن الله سبحانه وتعالى، وهو (خالق التأريخ) وهو الذي يحدد نهايته، وإن إرادته هي محور الزمن الكلي المطلق، وهو عالم بكل شيء ، وهناك الكثير من

الآيات القرآنية التي تؤكد على ذلك منها قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم ... الله خالق كل شيْء وهو على كل شيء وكيل). (4)

وإن ما ورد في القرآن الكريم من القصص والأحداث التاريخية يشير إلى ذلك، كما أن ما عرضته الآيات القرآنية لم تنصب على (الأنبياء) حسب وإنما أيضاً اتجهت إلى أقوام وجماعات مختلفة لها دورها في العملية التاريخية. (5)

أما التفسير المسيحي للتاريخ، فقد أكدت المسيحية على أن (الله حَاضر في التاريخ)، وتصورت هذه الديانة أن (الله في صورة ثالوث) (الأب، الابن وروح القدس) وهذا التصور ربَط بين (الصيرورة التاريخية بالمشيئة للإلهية) (6)

ويَرى القديس اوغسطين (إن أحداث التأريخ هي رهن بالعناية الإلهية، وكل ما يحدث هو بمشيئة الله) وقد أوضح عن هذه النظرية في كتابة (مدينة الله) الذي تناول فيه طبيعة التاريخ وعلاقته بالزمن المتغير والمتحرك، وتتعاقب الأشياء من غير أن تتكرر، لأنه لا يقول بنظرية (الدور). (7)

ويرى القديس بوسيه أن (الله هو الذي يحرك الأحداث وكل شيء راجع إليه، وإنه يتدخل تدخلاً مباشراً فيما يسمى بالمعجزات التاريخية). (8)

أما التفسير الاجتماعي، فيؤكد على الاعتبارات التي احتلها المجتمع ودور الجماعات في الدراسات التاريخية، ومن أبرز ممثلي هذا التفسير (الفارابي وابن خلدون وديكارت) فقد بحث الأول عن (المدينة الفاضلة) الذي دَعا فيها الإنسان إلى أن يعمل لتحصين نفسه أولاً، وتحصين الآخرين في مدينته ثانياً، وحدد ابن خلدون الخط العام لمسيرة المجتمعات البشرية وحددها (بالبداوة، الملك والحضارة) التي عدّها (غاية العمران). (9)

وهناك نظرية (التحدي والاستجابة) لتوينبي الذي يعتقد بأن الدراسة التاريخية ألحقة هي دراسة (تأريخ أمة) بعينها، وهذا يعني أن ينصب البحث التاريخي على (المجتمعات) وليس على (الأفراد). وذكر أن ظهور الحضارات كان نتيجة استجابة لتحدٍ صادر إما عن البيئة المادية وإما عن الوسط البشري وإما عن كليهما، فالقوانين الطبيعية تمثل تحدياً للإنسان. وإن الإنسان حقق الحضارة ليس نتيجة مواهب بيولوجية عليا أو بيئية جغرافية، وإنما استجابة لتحدي موقف ذي صعوبة خاصة، وكل جماعة جابهت التحدي الذي عاشته الطبيعة. (10)

ويقوم جانب (التحدي) إزاء الجانب (المستجيب)، وتكون قوة الاستجابة طبقاً لدرجة الضغط أو (ردة الفعل)، وقد يكون التحدي عنيفاً إلى درجة ينهار أمامه الطرف الآخر. (11)

وتتماثل مع هذه النظرية نظرية أخرى تعرف بنظرية (المصير) والتي يتحدد مفهومها بأنها (شعور الإنسان بداية إزاء قوة إنسانية أخرى تتحداه، وتجعل وجوده في خطر، حينئذ تنبثق الطاقات الكامنة فيه من أجل تأكيد وجوده). (12)

أما التفسير الجغرافي للتأريخ، فأن أصحاب هذا التفسير يرون أن أهداف التأريخ ووقائعه ارتبطت منذ أقدم العصور بالبيئة والظاهرة الجغرافية، وإن (الأرض بأشكالها المختلفة تبدو بمثابة المسرح الذي قامت عليه الوقائع التاريخية). (13)

ويقول منظرو هذا التفسير أن (تفكير الإنسان وعمله يحدثان في وسط جغرافي معين ومحدد وليس في فراغ، مما يوضح طبيعة المجهود البشري بدرجاته المختلفة). (14)

وعلل (شارل دي مونتسكيو) التأريخ بأسباب جغرافية مثل المناخ والأحوال الجغرافية، وهو من أبرز من دعا إلى نظرية المناخات، إذ ربَط ما بين البيئة الجغرافية وطبيعة البشر التشريعية والقانونية، وطرح ذلك في كتابه (روح القوانين) الذي أصدره عام 1728م. (15)

ولكن نظرة مونتسكيو إلى المناخ ليست برؤية صحيحة، إذ عَّد أن المناخ البارد يولد أناسا يتميزون بالقوة والشجاعة، أما المناخ الحار فيولد أناسا ضعفاء البيئة والسلوك، ليصل إلى القول أن الغربين هم صانعوا الحضارة في حين إن الآخرين الذين يعيشون في المناطق الحارة هم مستهلكو لحضارة هؤلاء، من غير أن يدرك أن الحضارات القديمة كاليمنية والبابلية والمصرية وغيرها هي في مناطق حارة، ولكنها كانت تتميز بالقوة والإبداع.

وهناك التفسير الأسطوري الذي يحدد علاقة الفرد بالطبيعة، فالأسطورة الكونية تصور علاقة (الفرد بالظواهر الكونية) والأسطورة التعليلية هي ولادة الإحساس بعاطفة شعورية بين الإنسان والبيئة، وهي وليدة التأمل الموضوعي للإنسان لظاهرة تحتاج إلى (تعليل). (16)

وتكشف الأسطورة الحضارية عن صراع الإنسان مع الحياة، ومن خلال الأسطورة الرمزية تطورت لتكون وسيلة للإبداع الفني والشاعري. أما التفسيرات الأخرى لحركة التأريخ ودور الفرد فيه، فنهي مختلفة فالتفسير الصهيوني لحركة التأريخ فيؤكد بأنه لم يحصل لدى اليهود اقتناع بوجود أي تقدم متواصل في التأريخ، فهناك أوقات للرفاهة وأخرى للشدائد، وعَد (سفر الجماعة) (التأريخ وأحداثه واحداً لا يتغير على مَر الأزمان). (17)

كما أن فكرة (نهاية التأريخ) قد شابها نوع من الغموض، ولم يدركوا شيئاً عن أسفارهم التوراتية عن الخلود في الحياة الأخرى. (18)

وتؤكد كتبهم أن (المؤامرة) هي قوام تأريخهم، حتى في موقفهم تجاه الهم (يهوه) والاعتماد في حياتهم على (الخفاء والعنف والقدر) ويؤكد البروتوكول الأول للصهيونية على مبدأ القوة (سلطة الذهب) و (الحق يكمن في القوة) وغيرها. (19)

وهذه الفكرة معادية للجميع ولكل الأديان السماوية، وتعد العدو الحقيقي للبشرية. (20)

كما أن تأريخ الحركة الصهيونية يتميز بالعنصرية العرقية يفعل نظرية (شعب الله المختار) والتي تزرع في أعماق كل يهودي، وبأنه المفضل الوحيد عند الخالق. (21)

ويقول إن (السياسة لا تصنع إلا من فوق). (22)

ويتفق التفسير النازي مع الصهيوني للتأريخ من خلال نظرته العنصرية، فهو أيضا قائم على تمجيد العنصر الآري، حيث يقول هتلر (لقد كان الآري ولا يزال الإلهي الذي يهيئ السبل أمام البشر، فشرارة العبقرية الإلهية انبثقت دائما من جبينه المشرق). (23)

ويسلب هتلر حق الشعوب الأخرى في البناء الحضاري إذ يؤكد (بأن الشرق الآسيوي ليست لديه حضارة، لأن الذي وضع أسسها الفكر الإغريقي والتكتيك الألماني) (24)

ويضع الألمان مكان اليهود، ويكون له سلطان أمته، ويكون لأمته سلطان العالم، ولهذا كانت نهاية هذا الفكر محتومة، وقد حدد هتلر غاية التأريخ بأنه (تعليم الألمان ما ينبغي لهم عمله لتأمين مستقبل أفضل). (25)

ومن مظاهر التفسير العنصري الأخرى التي ظهرت في أوربا في بداية القرن السادس عشر والسابع عشر، وبلورت نظريتها حول (عدم تساوي الأجناس البشري) ورؤية هؤلاء العنصريين وجود غرائز فطرية عدة تحملها الأجناس. (26)

واقترن التفسير الفاشي (بموسليني) مثل النازي الذي ارتبط بهتلر، وارتبطت أحلام موسليني باستعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية، وجعل البحر المتوسط بحيرة لاتينية، وقامت كل من الفاشية والنازية على تمجيد (الدولة) على حساب (الفرد) ولكن من خلال تركيز السلطة بيد (الفرد الزعيم). (27) لهذا نجد أن هذه التفسيرات للتأريخ، أخذت أشكالا متعددة، بعضها يركز على الجماعات ودورها، والأخر يركز على الفرد ودوره.

نظرية البطل:

أصبحت نظرية البطل مفهوما تاريخيا لدى بعض المؤرخين وقد تجسدت في كتاباتهم وتبنى الكثير من المؤرخين العرب هذه النظرية وخاصة الذين يركزون على دراسة (سير العظماء)، ومنهم المؤرخ المصري المعروف (عبدالرحمن الرافعي) الذي نشر (16) مجلدا عن تأريخ الحركة القومية المصرية، وقد

اتسمت رؤيته بالتركيز على دور الفرد، والمبالغة في دور عظماء التأريخ في تحديد مسار الظواهر التاريخيـة، ومن هذه الشخصيات التي كتب عنها (مصطفى كامل، أحمد عرابي، والخديوي إسمـاعيل) إذ قـال عـن الأخير (كانت شخصية إسماعيل ذات أثر بالغ في تفسير مسار الحركة التاريخية، فلو خلت من عيوبها لجعـل من مصر يابانا أخرى ولصارت على يده دولة من أقوى الدول المستقلة وأعظمها شأنا). [28] ولكن جـاء تحديد مفهوم نظرية البطل بشكل أوضح عند فلاسفة الحتمية الاجتماعية وأكثر تحديدا عند توماس كـاريل وسدني هوك.

مفهوم البطل عند فلاسفة الحتمية الاجتماعية:

ارجع بعض المؤرخين نظرة البطل أو الرجل العظيم في تفسير التاريخ إلى عهد الإغريق الذين أرسـلوا قواعدها، كما سادت هذه النظرية عند الرومان، و من ثم بقت حتى القرن التاسع عشر ، و بهذا عدت مـن النظريات البارزة التي أثير حولها جدلا" بين المؤرخين و المفكرين و فلاسفة التاريخ، وأثـيرت تسـاؤلات حول إعطاء الأولوية للفرد أم المجتمع في صنع الأحداث التاريخية و الحضارية، و قد اختلفت حول مفـهوم الرجل العظيم. ومع ذلك فأن هذه التساؤلات تقر بوجود خصائص تميز الرجل العظيم عـن غـيره مـن الرجال العاديين الذين يحفل بهم التاريخ .[29]

قامت نظرية البطل عند كارليل على فكرة كون البطل التاريخي هو التاريخ الطبيعي لعنصر البطولـة الكامن لدى الأمة، والتي يظهر، كون أن أسلوب استقبال تلك الأمة للفعل التاريخي للبطل يؤثر على مـدى صحتها، وقدرتها على الإنجاز الحضاري، بل يشكل الأبطال لديه عبر التأريخ نبضا حيا ودائمـا، فـالبطل عنده (ما هو إلا وهج في أمة ما). وبذلك نظر كارليل للتأريخ على أنه حصيلة لما أنجزه الإنسـان مـن أعمال في هذا العالم (هو في أعماقه تأريخ الرجال العظام الذين عاشوا وعملوا في هذا العـالم، وأن جميـع العوامل في التأريخ، إنشاء الرجال العظام، هي عوامل طفيفة الأثر لا يعتد بها). [30]

أما مفهوم البطل عند سدني هوك فيمثله قوله (فقبل كل شيء يجب أن نميز بين بطل الفعل التـاريخي وبين بطل الفكر، ذلك أن الآراء شائقة عن الرجال العظام أو الرجال البارزين ونـادرا مـا نفـرق بـين الصنفين). [31]

ويعرف هوك البطل في كتابه فهو يقول بأنه (الفرد الذي نستطيع أن ننسب إليه – ولنا في ذلك مـا يبرر عملنا – نفوذا طاغيا مؤثرا في تقرير مفصل أو حدث ما، ربما اختلفت عواقبه اختلافا عميقا عما هـي علية لو أنه لم يتعرف فيه بالشكل الذي تعرف فيه، ولقد يعترض أمرؤ أحيانا على ذلك الرأي بدعوة أنـه ليس هنالك اتفاق عام حوله (أهمية) أي مفصل أو حدث أو عاقبة).

ثم يستشهد هوك ببعض الأمثلة فيقول (إن بعض الأفراد يقولون إنه ليس من المهم بالنسبة إليهم سواء أن تبقى الهند حره أو لا تبقى، أو أن يكسب المعسكر الديمقراطي الحرب أو يخسرها، أو أن تكون الحكومة العالمية المقبلة ديمقراطية الشكل أو فاشيستية، على أن علاقة كل ذلك بالمسألة هي علاقة طفيفة الأهمية، إذ لا يمكن للمرء الهرب من هذه المسألة مهما كان نوع الشيء الذي يعتبره هاما، والسؤال الذي يترتب على ذلك هو: هل كان خليق بالشيء الذي نعتبره هاما أن يحدث على كل الأحوال مهما كان نوع الفرد الذي ظهر في الأحداث التي أدت إلى ذلك الشيء ؟ أو هل من الصحيح إطلاق القول إن فردا ما كان بصورة رئيسية مسؤولا عن وقوع ذلك الحدث الهام أو عدم وقوعه؟ إن ذلك يقودنا إلى الفارق الرئيس ألا وهو الفارق بين البطل كرجل الأحداث في التاريخ وبين البطل كصانع الأحداث في التأريخ.) [32]

وسوف نبين بشيء أكثر إيضاحا عن مفهوم البطل في نظرة سدني هوك في المبحث الخاص به، هناك تساؤلات عديدة تواجهنا دائما وتحتاج إلى إجابات واضحة، من الذي يصنع أحداث التأريخ ويؤثر في مساره، الأفراد أم الجماعات؟ الحكام أم الشعوب؟ هل الأحداث هي التي تصل إلى درجة من التأثير والفاعلية في خلق ساسة وقواد بلغوا مرتبة البطولة؟ أم أن هذه الأحداث حصيلة خسارة أسهم فيها شعب بجميع أوجه نشاطه ولنفرض أن التأريخ من صنع أفراد فهل هذا الفرد الذي بلغ مرتبة البطولة ابن عصره أم أنه صانع عصره؟ هل أن مجتمعه هو الذي أنشأه وأظهره رفعه إلى مرتبة البطولة أم أنه هو الذي رفع مجتمعه إلى أن يتصدر أحداث العالم. [33]

أن مقياس البطولة في منهج كارليل محدود في التعريف بين (البطولة الحقة) و(البطولة الزائفة) ومع هذا فأنه نادى بحكم الصفوة أو النحبة، إذ نظر إلى الجماهير نظرة دونية ودعاها بالقطيع أو الأتباع أو الخدم، كما أنه لم يعترف بوجود أية اختلافات نوعية في خلق البطل، فالعظماء بنظره ينتمون أساسا إلى نوع واحد، كما تحدث بحماس من غير تفريق بين أحد وآخر.

ومن شروط كارليل لتحديد هوية البطل العظيم (أن يتصف بالروح الجادة والشجاعة والقدرة على العمل والإنتاج والبصيرة النافذة والإخلاص وقوة الإرادة والتفكير العميق والأصيل). [34]

ولا بد لنا أن نتناول مفهوم البطل عند فلاسفة (الحتمية الاجتماعية) الآخرين والذين ينتقدون كون البطل صانع التأريخ ومعجزة العصر، فهم يعدون البطل من صنع مجتمعه وأنه نتيجة حتمية للقوى الفعالة في هذا المجتمع، ومن هؤلاء (هيجل وسبنسر وماركس وانجلز وبليخا نوف وغيرهم) لقد ذهب أصحاب هذه الفلسفة إلى أن الرجال العظام أو الأبطال بإمكانهم التأثير في ملامح جزئية من الأحداث التاريخية ولكنهم لا يستطيعون التأثير في الاتجاه العام لتلك الأحداث، لأنهم هم أنفسهم نتاجها وغرقها، فلا مجال للقول إن البطل معجزة عصره، لأن ذلك ما هو إلا تمجيد ساذج قد يشبع عقول الصغار أو عواطف

المراهقين أو مشاعر جماهير يعوزها الوعي التاريخي الناضج [35]، ويقول أنصار نظرية الحتمية الاجتماعيـــة (إن البطل لا يستطيع التأثير في التأريخ ما لم يكن الزمن مواتيا له وما لم تكن الظروف مهيأة لظهوره، فضـلا عن أن البطولة يحددها نوع العالم الذي ينشأ فيه البطل أو الزعيم، فمن المتعذر أن ينشأ عباقرة الفكـــر في العلم والفلسفة والأدب والفن في أمم على درجة كبيرة من التخلف، وهل كان نابليون إلا فكرة لو أنه قـد نشأ بين الهنود الحمر مثلا ؟.) [36] . وأنه عوضا عن التركيز على البطل بصفة مجردة منفصلة عن الظواهـر، ينبغي دراسة القوى الاجتماعية في تطورها والتحديات والتهديدات التي تواجهها أمة ما، والتي ينبثق عنـــها ظهور البطل أو الرجل العظيم . [37]

ويعد الفيلسوف هيجل من القائلين بنظرية الحتمية الاجتماعية (فالشخصيات العظيمـــة في التـــأريخ بنظره لم تكن مجرد أفراد ذوي (قدرات خارقة) بل كانوا كذلك أدوات تحقق بها ومن خلالها المجتمعات الـتي وراءهم أغراضهم غير الواعية). [38]

وهنا يغدو الرجل العظيم بنظر هيجل ليس تابع الأحوال المادية أو الاجتماعية أو البيولوجية بل أنـه في المقام الأول تعبير عن روح زمنه أو روح حضارته.

ولقد كان هيجل واثقا عندما رأى نابليون قرب بلدة يينا **(Yena)** بأنه كان يرى (روح العالم علـى ظهر حصان) ولكنه كان أكثر اقتناعا بأنه لو لم يكن هنالك نابليون لكان هنالك شخص غيره ينفذ تعـاليم (دهاء العقل) مترجلا عوضا أن يكون ممتطيا صهوة جواد، ويقول هيجل (إن الرجل نطفة كامنة في رحـــم الزمان قذفت بها الروح الباطنة ليحدث ميلاده تغييرا شاملا في كل ما حوله). [39]

ويقتضي سياق الأفكار في الماركسية أن تبنى نظرية الحتمية الاجتماعية لظهور البطل وأن تولي اهتمامـا لهذا الموضوع، إذ ذهب انجلز إلى أن الضرورة تحكم مسار التأريخ وظهور الأبطال هم في صميمها ضـرورة اقتصادية، إذ يتخذ التطور الاقتصادي دور الدافع المحرك بفضل التعارض بين قوى الإنتاج من جهة وبـين العلاقات الإنتاجية أو أشكال الملكية من جهة أخرى.

قد عارض كارل ماركس نظرية كارليل القائمة على فكرة النخبة، ورأى أن الشعوب هي وراء صنـع الأحداث التاريخية وهي تصنع التأريخ وهي أبطاله. [40]

البطل في صورة الرسول (ص).

عاش كارليل ستة وثمانين عاما قضاها في وضع التآليف بين فلسفة وتاريخ وترجمـة واشـهر مؤلفاتـه كتاب ''الأبطال'' وكتاب ''الثورة الفرنسية''..الخ. وكتاب الأبطال هذا يمتاز بشرحه عبـادة البطولـة وتقديس عظماء الرجال شرحا وافيا (واحسن ما جاء في ذلك الكتاب فصل عن المصطفى (صلى الله عليـه وسلم) وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك هدفا لأقلام الكثيرين من الغربيين ولاسـيما أهـل

القرن الثامن عشر، قرن فولتير أعني (قرن الإلحاد والكفر يرمونه جهلا وكنودا بقوا ذع الهجاء وقـــواذف الذم). (41)

ويعد كارليل من أبرز الكتاب والمفكرين الذين دافعوا بحماس ومبالغة عن دور الأبطـــال أو الرجـــال العظام في صنع الأحداث التاريخية، وقد تميزت كتاباته في هذا المجال بالرومانتيكيـــة وأســـلوبه اقـــرب إلى الخطابية منه إلى الأسلوب الفلسفي، وكان واقعا بآرائه تحت تأثير بعض المفكرين والفلاسفة الألمان. (42)

(ويحلل كارليل عناصر العظمة في البطل فيرجعها إلى ثلاثة أسباب:

1-الإيمان بأن البطل قد اختاره الله.

2-الإيمان بالجبرية التي يعبر عنها البطل برسالته، فلقد كان كرمويل يعتبر نفسه أداة في يد العناية الإلهية وكان 'لينين' يرى نفسه أداة تسيرها المادية.

3-أن يتحلى البطل بالشجاعة). (43)

وينتقد كارليل القول (إن البطل ابن عصره أو وليد مجتمعه) بقوله: إنهم يقولون عن البطل انـــه ابـــن عصره، أي أن عصره هو الذي أوجده، وينسبون كل شيء إلى عصره، ولكن عرفت عصور تصرخ عاليـــا تنادي مطالبة بالعظماء ولكنها تفتقدهم: أين البطل؟ انه ليس هناك، أين الزعيم؟ ولا زعيم لم تبعـــث بـــه العناية الإلهية، على أن البطولة كما يتصورها الناس تنحصر في المجالين السياسي والعسكري، ولكن كـــارليل وسع من مفهومها حتى شملت أفرادا نعدهم عباقرة أو عظماء ولا نسميهم أبطالا، لقد ذكر في كتابه ســـتة مظاهر من البطولة ليست البطولة السياسية والعسكرية إلا إحداها، ويقسم كارليل – كتابه ''الأبطـــال'' إلى ست محاضرات، المحضرة الأولى – البطل في صورة اله – والمحاضرة الثانية – البطل في صورة رســـول، ويعد في نظر مترجم الكتاب من احسن الفصول. (44)

وسوف نركز بشرح بسيط عن هذه المحاضرة، فيقول كارليل عن الإسلام والرسول (صلى الله عليـــه وسلم) ما يلي ((في هذا الطور الجديد لم ير الناس في بطلهم إلها بل رسولا يوحي من الإله... لقد اصبـــح من اكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن أن الدين الإسلام كـــذب وان محمدا خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة فأن الرسالة الـــتي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة أثنى عشر قرانا)). (45)

ثم يتطرق كارليل إلى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ ولادته .. زواجه .. ابـــرز الأحـــداث التي مرت على الرسول (صلى الله عليه وسلم).. نشره للدعوة الإسلاميه فيقول في صفحات أخرى (نظـــر محمد وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم ومزاعمـــهم وقضايـــاهم – نظر إلى القفار والصحاري بعقلية البصير الصادق وعينه المتوقدة الجلية إلى لباب الأمر وصميمه فقـــال في

نفسه: الوثنية باطل وهذه الأصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب، أخشاب لا تضـر ولا تنفع وهي منكر وفظيع وكفر لو تعلمون إنما الحق أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له). (46)

ويذكر كارليل عن عبقرية وعظمة الرسول(صلى الله عليه وسلم) ومقدرته في مواجهة خصومه وتمكنه من نشر الدين الجديد فقال (وجاء محمد وشيع النصارى تقيم أسواق الجدال وتتخبط بالحجج الجائرة ... لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له أن يبتلعها لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فأنها حطب ميت أكلته نار الإسلام فذهب والنار لم تذهب). (47)

إن كارليل دافع عن الإسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعماله ولكن بعض المؤرخين المنصفين عد هذا الفصل بحاجة إلى دراسة دقيقة مرة أخرى، رأن وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) باعتباره بطلا في صورة رسول – مع بقية الصور البطولية الأخرى تجعلنا أمام تساؤلات: كيف نضع الأنبياء بمصاف الكتاب والساسة.. الخ وعلى العكس من ذلك كيف نضع القادة والشعراء بمصاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء، وأن كارليل يستعرض في بقية المحاضرات صور البطولة، ففي المحاضرة الثالثة الشاعر باعتباره بطلا " دانتي وشكسبير"، والمحاضرة الرابعة البطل كالقسه " لوثر ونوكس" وفي المحاضرة الخامسة – البطل الكاتب باعتباره بطلا " جونسون وروسو" وأخيرا المحاضرة السادسة الملك باعتباره بطلا "كرمويل ونابليون". (48)

لقد نالت نظرية كارليل في البطولة على مع اختلاف بعضهم في تفسيرها – انتقادات متعددة، كما لم تجد أفكاره استجابة تذكر في المجتمعات الغربية للأسباب التالية:

1- إن أسلوبه إنشائي خطابي يعبر عن رد فعل انفعالي إزاء من يبخسون قيمة الأبطال أو يعدونهم من صنع مجتمعاتهم. (49)

2- إن الأسلوب الإنشائي بما فيه من مبالغات وتهويلات يؤدي عادة إلى الوقوع في متناقضات، لقد حمل على نظرية التفويض الإلهية.

3- إن أفكاره جاءت مناهضة لروح العصر لاسيما في أوربا، إذ تقف المجتمعات الديمقراطية من نظرية البطولة موقفا فيه شيء من الحذر والتشكك. (50)

إن إلقاء نظرة على بعض مؤلفات كارليل تعكس نظرته في تمجيد البطولة في التأريخ ففي كتابه "تأريخ الثورة الفرنسية" نعت هذه الثورة بالنعوت السلبية، كما غدا كمن يحذر بريطانيا في ذلك الزمن ويستحثها على المسؤولية الاجتماعية. وفي "الحاضر والماضي" يحاول صياغة (يوتوبيا) اجتماعية منتظرة، كما رسم في كتابه "حياة ورسائل أولفر كرومويل" صورة القائد المطلوب، أما في كتابه "تأريخ فردريك العظيم" فيقدم هذا الشخص بوصفه حاكما وملكا نموذجيا. وبهذا لم يعكس

كارليل اتجاها فلسفيا في طروحاته التاريخية أو اكتشاف أي برنامج سياسي محدد، ولم يبد التأريخ في نظـره صوره نسقية، بل هو خلاصة لمجموعة لا حصر لها من السير الشخصية، وبغير العظماء بحسب اعتقـاده أن يوجد تأريخ بل إن التأريخ في نظره لا يتألف من سلسلة من الأحداث، لكنه يتألف من أفعال وأعمـال، ومن هنا ارتأى أن الرجل العظيم مسؤول عن كل أحوال ظهوره وفاعليته. (51)

وهكذا مع اعتبار كارليل ممثلا لنظرية البطولة صانعة التأريخ فأنه قد استدرك على ذلك استدراكين:

(الأول: إنه لم يقصر البطولة على السياسة والحرب ولكنه أطلقها على أفراد يعدون ممثلين لمختلف جوانب الحضارة ولذلك أقترب من النظرية المقابلة، الحضارة صانعة التأريخ.

الثاني: إنه لم يجد السياسة والقواد تمجيدا مطلقا، ولكنه كان على وعي بالفرق بين البطولة الحقة والبطولـة الزائفة، ولكنه لم يميز بينهما بتحليل علمي دقيق، فذلك لأنه لم يتبع المنطق الرصين ولن يحكم العقل). (52)

وإنما جاءت عباراته كما أشرنا سابقا إنشائية خطابية، إنه يقول: ليست العظمة بالجلية... فلا تقاس عظمـة الرجال بتيجان الملوك ولابصليل السيوف ولا بأخبار عمن تردد الصحف أخبارهم صباح مساء فما ذلـك إلا أكذوبة وعرض زائل...

نظرية البطل ـ عند – سدني هوك :

سدني هوك، ولد في مدينة نيويورك وتلقى تعليمه، وفي سنة 1923م تخرج من كلية المدينة، ثم حصـل على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة كولومبيا. مارس التعليم مدة خمس سنوات، إذ عـين مدرسـا للفلسفة في جامعة نيويورك، حصل على انواط وجوائز كثيرة تقديرا لعمله في حقل الفلسفة. وألف كتبـا عديدة منها ''البطل في التاريخ'' الذي نحن بصدد تناول بعض فقراته، ومن خلال دراسة الكتاب يتضـح إنه كان أكثر دقة وشمولية في تحليل نظرية الرجل العظيم مقارنة بكتاب كارليل '' الأبطال ''، وإن أسلوبه أكثر رصانة، إنه أسلوب فلسفي، على العكس كارليل الذي كان أسلوبه إنشائيا خطابيا.

يقول هوك في ذلك الكتاب (إن مصير الشعوب يبدو في فترة من الحروب والثورات معلقـا بمـا يقـرره شخص واحد وربما عدة أشخاص قلائل). (53) ولهذا يطرح هوك لهذه الحالات عدة مسائل اعتقد بأهميتـها لدراسة دور البطل في التأريخ أهمها إن دراسة الأبطال يعطينا فكرة عدم إمكان الاستغناء عن الزعامـة في كل حياة اجتماعية وفي كل شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي كما إن تأريخ كل أمة يقدم في الدراسات التربوية والتعليمية بشكل مؤثر من صنع الأفراد العظام سواء أكانت حقيقية أم خرافية، فضـلا عـن أن الناس يتطلعون في خضم مقتضيات الفعل السياسي إلى من ينقذهم. (54)

إن كتاب سدني هوك – البطل في التأريخ – يحتاج إلى دراسة دقيقة وواسعة فهو غني بمادته وتحليلاتـه الفلسفية ولا يمكن لبحث مختصر أن يغطي هذا الكتاب في فصوله الأثني عشر، ولكننا سنتوقف عند بعـض

الفصول وبعض الأفكار والآراء المهمة التي وردت في الكتاب، ففي الفصل الأول – تحت عنوان – البطـل باعتباره حدثا ومعضلا وكما أشرنا سابقا في المبحث الأول – يذكر هوك عن عدم إمكانية الاستغناء عـن الزعامة في كل الحياة الاجتماعية، وهو يركز على الزعماء السياسيين في الأمثلة التي يوردها، وهو ينتقـد بعض الزعامات فهو يقول (.. ومنذ اللحظة التي يصل الزعيم إلى الحكم تطبل أجهزة الدعاية وتزمر لجـهده باعتباره السبب المباشر في كل الإنجازات الوضعية، فإذا ما اخضبت المواسم، فأن الفضل في ذلك ينسـب إليه أكثر مما ينسب إلى عوامل ''الطقس''. (55)

ويعارض هوك الجبريين الاجتماعيين في موقفهم من نظرية البطل فهو يقـول: ((لايستطيع القـائلون بالجبرية الاجتماعية من جميع الشيع أن يكتبوا التأريخ دون الاعتراف والإقرار بأن بعض الأفراد في بعـض اللحظات الحرجة يلعب دورا حاسما في إعادة توجيه الموجة التاريخية هذا على الرغم من إحكامهم النظريـة القائلة إن كل فرد مهما كان مقامه ليس إلا قشة تطفو على وجه موجه تاريخية)). (56)

لقد احتفظ التأريخ بأمثلة حية لقادة تاريخيين ودولة موحدة وأجيال مبدعة أغنت الحضارة ودفعت بهـا إلى الذرى، حتى بدت لنا مراحل الصعود الحضاري، ,كأنها مراحل بطولة جماعية فـذة دفعـت التـأريخ ورسمت مساره الصاعد، حين حول القادة. التجزئة والضعف والتخلف إلى وحدة وقوة وتقـدم وانتصـار وظفر بعد انكفاء وتخلف فرضته القوى الأجنبية المعتدية. (57)

وذكر هوك في كتابه أيضا، أن للمجتمع الديمقراطي '' أبطاله'' ورجاله العظام، فهو ليـس بمنجـاة مـن الأزمان السياسية الحادة أكثر م نغيره من المجتمعات وهو غالبا ما يفتقر إلى مرشحين للدور البطولي، إلا إنـه ينتقيهم وفق المعيار الخاص به، وحيث تكون الديمقراطية حكيمة فأنها تتعاون تعاونـا قلبيـا مخلصـا مـع زعمائها، وفي الوقت ذاته تراودها الشكوك في الصلاحيات المخولة لهم، إن هذه الناحية تؤلـف وعضـلا عسيرا يجب حله إذا أريد للديمقراطية ألا تتحول كما حدث في الماضي إلى مدرسة تخرج الطغاة.

ويتناول هوك في الفصل الثالث '' أبطال الفكر''، وخاصة أبطـال الأدب والموسـيقى والتصويـر، ,أبطال الفلسفة والعلم، أبطال الديانات، وهو بذلك يلتقي مع كارليل في شمولية البطـل في التـأريخ، أي عدم اقتصار بحثه على البطل السياسي فقط، ثم يتناول في الفصل الثالث ''نفوذ الملوك''، وأمـا الفصـل الرابع والخامس فيخصصهما لدراسة المذهب الجبري الاجتماعي بشكل مفصل، ويستمر في الفصل التاسـع تحت عنوان ((رجل الأحداث ورجل صانع الأحداث))، الذي سوف نتوقف عنده ببعض الإيضاح، ففـي هذا الفصل أعطى هوك في تحليله للبطل في التأريخ فارقا بين البطل ((رجل الأحداث في التأريخ)) وبـين البطل ''صانع الأحداث في التأريخ ''، فالرجل الذي تحفل حياته في الأحداث التاريخية هو أي رجل أثرت أفعاله على التطورات التالية لها بشكل مغاير تماما للشكل الذي كانت خليقة أن تأخذه ولو لم تصدر تلـك الأفعال عنه، أما الرجل الصانع للأحداث فهو رجل أحداث لكن أفعاله هي نتاج طاقات وملكات وذكـاء

حاد وآراء قوية وشخصية بارزة أكثر مما هي نتاج حوادث عارضة ناجحة عن مركز، وبهذا التميز يحاول هوك ((أن يبين بأن البطل هو عظيم ليس فقط بسبب ما يفعله ولكن بفضل سجاياه وماهيته)). (58)

ويرى هوك أن البطل في التأريخ هو الفرد الذي نستطيع أن ننسب إليه نفوذا طاغيا مؤثرا في تقرير مفصل وحدث ما. ويورد أمثلة على بعض الشخصيات، فمثلا الإمبراطور قسطنطين عده رجل أحداث، ((وإن الرجل هو وليد الأحداث بمعنى، أنه يجد نفسه نتيجة تشابك الظروف تشابكا تعيسا أو سعيدا... لقد كان أعضاء لجنة السلامة العامة أثناء الثورة الفرنسية من رجال الأحداث كمجموعة ولكن روبسبير وسان جوست وحدهما كانا من صانعي الأحداث، إذ أدركا قبل كل شيء الخطر الناشيء من الوضع الجديد بعد خلع لويس السادس عشر)). (59)

ويرى هوك أن الشخص (صانع الأحداث) لا يستطيع أن يحقق شيئا لوحده، فهو يتكل على فريق ضيق من المساعدين والوكلاء الذين يؤلفون ''جهازا حاكما'' كما يتكل على فريق أكبر من السكان نستطيع أن ندعوه بطبقة اجتماعية.

وفي صفحات أخرى من الكتاب يقول هوك: ظللنا نناقش بصورة رئيسية موضوع رجال الأحداث وصانعي الأحداث في التأريخ ولكن ماذا نقول عن وضع النساء؟ وهل يكتشف التأريخ بشكل لا ينازع عن وجود امرأة أحداث أو امرأة صانعة للأحداث؟ إن مثيلات هؤلاء النساء متوافرات دوما، ولكن ما مدى. أهميتهن في تقرير شؤون العالم.

ويذكر هوك أربعة نساء شهيرات هن، كيلوباطرة، والإمبراطورة ثيودورا، ومدام دي يومبادور وكاترين الثانية إمبراطورة روسيا – ويتكلم عنهن بشيء من التفصيل ودورهن في الحياة السياسية (60) ، وفي الفصل الحادي عشر يتناول هوك موضوع الديمقراطية ويقول إن مشكلة الزعامة هي مشكلة معقدة إلى حد كبير... ويقول مثل صيني ((الرجل العظيم هو مصيبة عامة))، وأن الشعور الذي ينطوي عليه هذا المثل ليعرب بجدارة خبرة وحكمة عرق إنساني محب للسلام، فلو كان لضحايا الرجال العظام أن يتكلموا ليس فقط في الصين، بل كذلك في كل مكان، لرددوا صدى ذلك المثل الشعبي الحكيم بالدموع والتأوهات واللعنات ، لأن الأبطال في التأريخ قد شقوا، على وجه العموم، طريقهم إلى العظمة بالحروب والفتوحات والثورات والجهاد المقدس (61) ، أن الرجل العظيم قد يكون نعمة في بعض الأحيان، وقد يكون وجوده أبعد عن أن يكون دليلا على أننا سنتجنب مصائب عظمى، فالواقع أن الشعب يتضرع أمام الكارثة طالبا المنقذ، ويقول هوك: إذا كان لنا أن نستنتج، من الأفعال الشريرة التي أتاها الرجال العظماء بأن عظمتهم مصدر شرهم، فأنه يتعين علينا والحال هذه أن نشجب كل موهبة وطاقة وملكة نظرا لأن يساء فهمه غالبا.

الخلاصـــــة والاستنتـــاج

في نهاية هذا البحث نود بيان بعض الملاحظات باعتبارها خلاصة، إن النظرة الصائبة لتقديـــر دور الرجـــل العظيم والحكم التاريخي يقضي مراعاة اعتبارين: الأول تجنب الإدانة لفعل الرجل العظيم، والثـــاني تجنـــب المبالغة المفرطة في تقدير دور ذلك الرجل، هذا إذا سلمنا بأن التأريخ من صنع أفراد، وإن الأفـــراد هـــم الذين يؤثرون في الشعوب والمجتمعات، ويرفعون شعوبهم إلى القمة وصدارة الأحداث، كما عبر كـــارليل في حماس بالغ عن دور الأبطال حين قال: إن التأريخ العالمي.. تأريخ ما أنجزه الإنسان في العـــالم إنمـــا هـــو في صميمه تأريخ العظماء وما أنجزوه..)، وبينما يتطرف هؤلاء في تجاهل القوانين الموضوعية لحركة التـــأريخ، فأن الآخرين — وخاصة أنصار الحتمية الاجتماعية — يتطرفون من الناحية الأخـــرى — فيذهبـــون إلى أن الحتمية التاريخية تحقق نفسها دون تدخل الفرد، الذي لادور له على الإطـــلاق في التأثـــير علـــى حركـــة التاريخ.

إن الفرد الذي يحتل موقعا مؤثرا في السلطة يمكن أن يؤثر بدرجة معينة في بعض الســـمات للظـــاهرة التاريخية عند توفر شروط معينة تحقق لموقعه القيادي إمكانية هذا التأثير، ولكنه بالتأكيد لا يستطيع الفـــرد أن يؤثر تأثيرا يغير حركة التأريخ وظواهره الأساسية التي تتحكم فيها عوامل موضوعية، وإن الفرد هو إبـــن ظاهرة تاريخية، فالظروف الاجتماعية التاريخية هي التي تكون القائد والزعيم، وهي التي تعطيـــه إمكانيـــة التأثير على الحوادث، فصفاته الخاصة في النهاية تلعب دورا محدود التأثير في تسيير الحوادث التاريخية.

ولهذا يتطلب منا نحن العرب دراسة تجارب القادة التاريخيين الذين حققوا لمجتمعاتهم إنجازات تصـــل إلى التاريخية وهذا هو الهدف من بحثنا.

الهوامش

(1) الخضيري، زينب محمود / فلسفة التأريخ عند ابن خلدون / دار التنوير للطباعة بيروت 1985 ص 54.

(2) النوخي، عمر / مناهج البحث الاجتماعي / دار الثقافة — بيروت 1980 ص78.

(3) شاكر، مصطفى / التأريخ العربي والمؤرخين / دراسة في تطور علم التأريخ ومعرفة رجاله في الاسلام / دار العلـم للملايـين — بـيروت / ط3 — 1978 ص49.

(4) سورة الزمر / الآية / 62.

(5) الملاح، هاشم يحيى وآخرون /دراسات في فلسفة التاريخ / الموصل 1988 ص95.

(6) موسوعة الفلسفة المختصرة / ترجمة فؤاد كامل، عبد الرشيد الصادق / دار العلم- بيروت بلا ص 378.

(7) الجابري، علي حسين / فلسفة التأريخ في الفكر العربي المعاصر / بغداد 1993 ص 1-15.

(8) الشرقاوي، علي محمد / التفسير الديني للتأريخ / ط1. بلا ص 191.

(9) الظاهر، عبد الجليل / سيرة المجتمع / المكتبة العصرية— صيدا 1966 ص191.

(10) توينبي أرنولد / مختصر دراسة التأريخ / تعريب فؤاد محمد شبل / مراجعة محمد شفيق غربال / بيروت 1966 ص58.

(11) حتي، فليب / خمسة آلاف سنة من التأريخ الشرق الأدنى /بيروت 1985 ومحي الدين إسماعيل / توينبي ـ منهج التأريخ وفلسفة التأريخ / بغـداد 1977 ص 79.

(12) صبحي، أحمد محمود / في فلسفة التأريخ / مؤسسة الثقافة الجامعية — الإسكندرية بلا ص 243.

(13) عثمان، حسن / منهج البحث التاريخي / ط3 القاهرة 1970 ص33.

(14) جوردن، ايست / الجغرافية توجه التأريخ / ترجمة جمال الدين الدناصوري / القاهرة بلا ص 57.

(15) الباند. ج. ديد جيري / التأريخ كيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي / ترجمة عبد العزيز توفيق / القاهرة 1972 ص142-143.

(16) إبراهيم، نبيل / سلسلة الموسوعة الصغيرة / العدد 154 / وزارة الثقافة والأعلام بغداد 1979م ص 40.

(17) التأريخ كيف يفسرونه / مصدر سابق ص 85-89.

(18) الجميلي، محمد جابر / من العقائد والأديان /القاهرة 1971 ص 218.

(19) التونسي، محمد خليفة / الخطر اليهودي الماسوني في الوطن العربي / بغداد 1984 ص 48.

(20) النبهاني محمد موسى / النشاط الصهيوني الماسوني في الوطن العربي / بغداد 1984 ص 48.

(21) ابو عشمة / إبراهيم صقر / التمييز العنصري أبرز معالم الصهيونية / تونس 1984 ص 12.

(22) أمين بديعة المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية / بيروت 1974ص 145.

(23) هتلر، أدولف / كفاحي / ترجمة لويس الحاج / بغداد 1988 ص 163-164.

(24) المصدر نفسه ص 168.

(25) المصدر نفسه ص 234

(26) الصهيونية والعنصرية / أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية / بغداد 1976 ص53.

(27) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق ص 165-166.

(28) عيسى، صلاح / الثورة العربية / بيروت1972 ص35.

(29) الملاح، هاشم يحيى / دراسات في الفلسفة التأريخ / مصدر سابق ص 118.

(30) هوك، سدني / البطل في التأريخ / ترجمة مروان الجابري /بيروت 1959 ص24.

(31) المصدر نفسه ص152.

(32) المصدر نفسه ص 154.

(33) صبحي، أحمد محمود، في فلسفة التأريخ / الإسكندرية- بلا ص 63.

(34) الملاح، هاشم يحيى وآخرون / المصدر السابق ص 121.
(35) صبحي، أحمد محمود / مصدر سابق ص 68.
(36) المصدر نفسه / ص 69.
(37) المصدر نفسه / ص 69.
(38) الملاح / هاشم يحيى / مصدر سابق ص 122.
(39) هوك، سدني / المصدر السابق ص66.
(40) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق / 124.
(41) كارليل، توماس / الأبطال / ترجمة محمد السباعي / بيروت 1982 ص 21.
(42) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق ص119.
(43) صبحي، أحمد محمود / المصدر السابق ص64.
(44) كارليل، توماس / المصدر السابق ص 53-54.
(45) المصدر نفسه / ص 55.
(46) المصدر نفسه / ص 82.
(47) المصدر نفسه / ص 83.
(48) صبحي، أحمد محمود / مصدر سابق ص 64.
(49) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق ص 122.
(50) صبحي، أحمد محمود / مصدر سابق ص 66.
(51) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق ص 120.
(52) صبحي، أحمد محمود / مصدر سابق ص 65.
(53) الملاح، هاشم يحيى / المصدر السابق ص 118.
(54) هوك، سدني / المصدر السابق ص 13.
(55) المصدر نفسه ص 20.
(56) المصدر نفسه ص 22.
(57) الجابري، علي حسين /ص31.
(58) الملاح، هاشم يحيى وآخرون / المصدر السابق ص 125.
(59) هوك، سدني / المصدر السابق ص 163.
(60) المصدر نفسه ص 174.
(61) المصدر نفسه ص 227.

النهضة الأوربية بين مؤثرين الحضارة العربية والحروب الصليبية

د. حميد دولاب حنيدان *

قسم المؤرخون والباحثون في مجال التاريخ ، التاريخ العالمي الى عدة حقب زمنية ، أطلقوا على كل واحد منها عصرا ، ويمتد العصر الى فترة زمنية تصل الى قرن أو عدة قرون ، تكون السمات الأساسية فيه متشابهة ، مثل العصر القديم ، والوسيط ،والحديث ، والمعاصر . ولا يكتفي المؤرخون بهذا التقسيم بل يقسمون العصر الواحد الى عدة فترات زمنية . ويصعب علينا في الوقت ذاته أن نحدد بشكل دقيق باليوم والشهر والسنة بداية أي عصر من هذه العصور وكذلك نهايته ، حيث لا يمكن الانتقال من عصر الى آخر بشكل مفاجئ وسريع بل تتم عملية الانتقال هذه بشكل تدريجي وبطيء مع ظهور سمات جديده نطلق عليها مقدمات الانتقال من عصر إلى آخر ، وتنشأ هذه المقدمات في أحشاء العصر المنصرم وتهيئنا للانتقال الى العصر الجديد الذي يليه . ومع اعتماد المؤرخين أحداثا عالمية شهيرة تفصل بين عصر وآخر مثل سقوط روما عام 476م الذي شكل نهاية الإمبراطورية الرومانية المقدسة ومعلنا نهاية العصر

* أستاذ مشارك – قسم التاريخ – كلية الآداب والألسن – جامعة ذمار

القديم وبداية العصر الوسيط ويمثل سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين الأتراك عام 1453م نهاية العصر الحديث وتعد الحرب العالمية الأولى عام 1914 نهاية العصر الحديث وبداية التاريخ المعاصر الذي مازال مستمرا . فإن هذا التقسيم الذي يراد من ورائه تسهيل دراسة تاريخ كل حقبة على انفراد ، لا يشكل سور الصين العظيم بين عصر وآخر ، كون الأحداث التاريخية متداخلة ومرتبطة بعضها بالبعض الآخر . وكما ذكرنا فإن عملية الانتقال من عصر إلى آخر لا تتم إلا عبر مرحلة انتقالية لها سماتها الخاصة ، وقد تشكل هذه المرحلة الانتقالية عصراً بحد ذاته كما هو الحال بالنسبة لعصر النهضة الأوربية الذي شكل مرحلة انتقالية بين العصور الوسطى الأوربية والعصر الحديث من التاريخ الأوربي .

إن النهضة الأوربية لن تحدث في ليلة وضحاها في القرن الرابع عشر ، بل كانت امتداداً منطقياً لنضالات وكفاح الشعوب الأوربية ضد جور وظلم وتعسف واضطهاد الاقطاع والكنيسة في العصور الوسطى . فقد أثار الاستثمار الإقطاعي في أوربا في العصور الوسطى مقاومة شديدة من الفلاحين والحرفيين . وكان نضال الفلاحين في هذه المرحلة موجهاً ضد القنانة وغيرها من أشكال الخضوع والتبعية والاقطاعيين . وبظهور المدن دشنت موجة جديدة من الأحداث العاصفة التي رافقت تطور العلاقات النقدية ونقل البضائع . إذ خاضت هذه المدن نضالاً ضارياً ضد أسيادها الأقطاعيين في سبيل إدارتها الذاتية ، وفي سبيل تنظيم وتقليل الفرائض والأتاوات الأقطاعية . وبعد فترة من الزمن تأجج الصراع داخل المدن بين الباتريسيين (نبلاء القرون الوسطى) ونقابات الحرفيين الطامحة إلى المساهمة في إدارة المدينة . وأخيراً تأجج الصراع بين الفئة المسيطرة في المدينة ومعلمي الحرف من جهة والصناع المدعومين من الفئات الفقيرة من سكان المدن من جهة أخرى .

وغالباً ما كان النضال الجماهيري في الريف يجد المساندة من جانب فقراء المدن . ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر أجتاحت أوربا بكاملها تقريباً موجة من الانتفاضات الكبيرة التي قام بها الفلاحون وفقراء المدن ، مثل انتفاضة (الرعاة) عام 1251م والحركة الشعبية عام 1320م في جنوب هولندا وفرنسا ، والحركة التي قادها دولتشينو في إيطاليا في السنوات 1305–1307م والانتفاضة التي ترأسها أتيان مارسيل ، والتفاضة جاكيري في عامي 1357–1358م في فرنسا ، وانتفاضة آوت تايلير في إنكلترا عام 1381م وحركة يان هوس الثورية في بلاد التشيك في بداية القرن الخامس عشر . هذه الحركة التي تعد أعظم حركة في تاريخ أوربا في القرون الوسطى وقد كانت موجهة ضد الكنيسة الكاثوليكية وضد كبار الأقطاعيين وضد الإمبراطور الألماني وقد ساعدت هذه الحركة على تطوير الحركة الثورية في العديد من البلدان الأوربية .[1]

إن تطور العلاقات الرأسمالية في مدن إيطاليا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر قد بعثت إلى النور ظواهر جديدة في ميدان الإيديولوجية . فقد نشأت في ذلك الوقت ثقافة جديدة هي الثقافة

البرجوازية المبكرة ، المسماة ثقافة النهضة . تلك النهضة التي شملت مختلف جوانب حياة المجتمع الأوربي ، تلك الحياة الجديدة التي أصبحت مغايرة لطابع الحياة في العصور الوسطى ، والنهضة بجوهرها ذات طابع علماني انبعثت من المدن الأوربية المتطورة .

إن أوائل الأيديولوجيين البرجوازيين كانوا يظنون أنهم ينهضون بالثقافة اليونانية والحضارة الرومانية القديمة لذا سميت الحرة كلها بالنهضة . وقد أيقظ الإنتاج الرأسمالي الناشئ الاهتمام بدراسة الظواهر الطبيعية . وهذا ما يفسر تعاظم نهوض التكنيك والعلوم الطبيعية الذي كان قد بدأ في القرن الخامس عشر .

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر حدث انعطاف جذري في تطور العلوم الطبيعية ، فخلافاً لعقائد الدين السائدة آنذاك ، بدأت الدراسة الطبيعية استناداً إلى التجربة وأحرزت نجاحات باهرة بالنسبة لذلك الوقت في ميدان معرفة قوانينها . وتمت الاكتشافات العلمية في جو من النضال العنيد ضد النظرة الأقطاعية الكاثوليكية القديمة إلى العالم . ونشأت نظرة جديدة إلى العالم تطرقت إلى جميع وجوه حياة الإنسان الروحية ، إلى العلم والأدب والفن ، وكان ذلك إنقلاباً تقدمياً بالغ العظمة .

وهكذا نلاحظ أن أوربا بدأت تحت الخطى بأتجاه العصر الحديث ، والإبتعاد عن مخلفات وقيود القرون الوسطى من خلال الاهتمام الكبير الذي أولته للإنسان ، وحرية الإبداع ، والبحث العلمي ، وأفكار التجديد والنهوض من القرون الوسطى التي نادى بها العديد من الأدباء والفنانين والمفكرين والفلاسفة والمصلحين الذين شكلت آرائهم وأفكارهم وإبداعاتهم في مختلف المجالات حجر الأساس في النهضة الأوربية . فما النهضة ؟ ومتى بدأت ؟ وما عوامل قيامها ؟

معنى كلمة النهضة :-

إن كلمة (النهضة) اصطلاح حديث بدأ استعماله منذ عام 1830م ، والمعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح ما زال قيد الدراسة وموضع الجدل من أجل الوصول إلى معنى حقيقي أكثر دقة ووضوحاً . وتفسر كلمة (النهضة) بالعديد من التفسيرات وأعطيت العديد من المعاني ، وهذا يعود إلى اختلاف الدراسات التاريخية والفلسفية والاقتصادية والدينية والأدبية والفنية التي تناولت هذه المرحلة من التاريخ الأوربي . ومع هذا الاختلاف يكاد يكون هنالك إجماع حول وجود معنيين لكلمة النهضة ، معنى ضيق ، ويقصد به حركة التجديد والبعث والإحياء والنهوض للحضارة الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، أما المعنى الواسع لهذه الكلمة فهو ذو مدلولات واسعة تشمل تلك التغيرات التي طرأت على المجتمع الأوربي في حياته السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والثقافية ، والفنية ، والأدبية ، والدينية ، والقانونية ، التي سادت في العصور الوسطى . وقد رافق هذه التغيرات تحرر العقل الأوربي من قيود القرون

الوسطى ، تلك القيود التي كبلته زمناً طويلاً ، وشعور الإنسان بالحرية والاستقلال ومقدرته على الإبداع والتعبير عن أفكاره وأحاسيسه بالضد من هذه القيود ، وبشكل خاص تلك القيود وتلك القوانين التي أوجدها وابتدعتها وفرضتها الكنيسة من اجل إخضاع المجتمع لسلطتها الدينية وتوجيهه بحسب إرادتها ، مما تتطلبه مصالحها ، حتى وإن كان ذلك يتعارض مع مبادئ الديانة المسيحية .

لقد ظهرت حركة النهضة في بداية الأمر في إيطاليا ، لتوفر الظروف المناسبة لها قبل غيرها من البلدان الأوربية الأخرى ، وذلك قبل منتصف القرن الرابع عشر ، في حين لن تظهر في بلدان أوربا الأخرى إلا في وقت متأخر من الزمن ، واستمرت في بعضها الآخر حتى نهاية القرن السابع عشر [2].

وبما أن عصر النهضة يشكل مرحلة إنتقالية تقع بين العصور الوسطى والعصر الحديث ، فلابد لنا من الوقوف عند سمات هذه المرحلة .

سمات عصر النهضة :-

أولاً : ظهور الحركات الشعبية والديمقراطية التي تناضل ضد سلطة الأقطاع ، وسلطة الكنيسة ، باعتبارها اكبر مالك للأراضي ، وضد الكهنة والرهبان ، بوصفهم ممثلي الطبقة الحاكمة ، وضد الفرائض الأقطاعية وفرائض الكنيسة ، كما حدث في مدن الاتحاد السويسري ، وفي فرنسا ، وفي إنجلترا ، وفي بلاد التشيك ، في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

ثانياً : اتسمت هذه المرحلة ، بالتطور العلمي والثقافي وحرية البحث العلمي ذي الطابع التجريبي والعلماني ، بعد ما كان مقتصراً على الكنيسة وأوساطها في القرون الوسطى ، وخاصة في المدن الإيطالية المتطورة . ولكن في الوقت الذي بدأت فيه معالم المعرفة القديمة بالتلاشي لم تتكون بعد معرفة جديدة ، كون أساليبها كانت في مراحلها الأولى ، ولذلك فإن الفكر الأوربي قد سار باتجاهين : التردد والاستكانة أولاً والاندفاع والتسرع ثانياً [3] .

ثالثاً : ظهور الحركات الدينية الإصلاحية المناهضة للكنيسة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر .

لقد تميزت هذه المرحلة بظهور العديد من المفكرين والمصلحين ، وقيام العديد من الحركات الدينية والإصلاحية في أوربا الغربية مثل :-

1- حركة الأمراء المعادين والمعارضين لإتساع نفوذ البابوية ، وقد كان على راس هذه الحركة الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، الذي نشأ في صقلية في جو من الثقافة الإسلامية الذي خلفها العرب المسلمون ، والثقافة الغربية التي أدخلها النورمان ، فأجاد ست لغات بما فيها العربية ، وشغف بالعلوم والأداب ، ويعتقد أن عصر النهضة

الإيطالية قد بدأ في عصر فردريك الثاني وفي بلاطه بالذات ، وقد أتخذ فردريك الثاني خطـاً عدائياً للبابوية وركز على إبراز مفاسدها ، وكاتب أمراء أوربا يستنهضهم ضد الكنيسـة وبالبابا الذي يتدخل في كل شيء ، وتمكن من ذلك وجرح الكنيسة واسقط هيبتها [4] .

2- حركة الرهبان المسيحيين الأوربيين المتمثلة بالفرنسيكانيين والدومينيكانيين ، وجاءت تسـمية الحركتين نسبة إلى القدسين فرنسيس ودومنيك ، وكان همهما إصلاح الكنيسة من الأخطـاء والمفاسد التي تقوم بها .

3- حركة البروفيسور جون ويكلف ، الذي كان أستاذا مشهوراً في جامعة اكسفورد الإنجليزيـة ، وقد حظيت آراؤه الإصلاحية بتأييد فقراء القسس . وقام ويكلـف بترجمـة الإنجيـل إلى الإنجليزية ، لغة الشعب المحلية ، الأمر الذي كشف لعامة الناس الانحرافات والمفاسد الـتي تمارسها الكنيسة ، مما أدى إلى اتساع حركته ، الأمر الذي أثار غضب الكنيسة التي أمـرت بحبسه واصدرت بعد موته مرسوما يقضي بنبش قبره وإحراق عظامه .

4- حركة جون هس البوهيمي في بوهيميا ، الذي نادى بأن لا وساطة بين الإنسان والـرب إلا عن طريق الإيمان والعمل بما جاء في الكتاب المقدس . وهنا يلتقي هس وجون ويكليـف في هذا المبدأ ، وكانت الحركتان تسعيان إلى تقليص سلطة البابوية وإلغاء الدور الذي يقوم بـه القسيس بوصفه وسيطاً بين الفرد وربه .

5- ظهور عدد من الحركات الهرطقية ، مثل حركة السياطين ، التي ظهرت بعد الوباء الذي عـم أوربا خلال حرب المائة عام الإنجليزية الفرنسية ، ويعتقد أصحاب هذه الحركة أن لا نجـاة من هذا الغضب الرباني إلا بتطهير

6- النفس ، وذلك عن طريق تعذيبها بضرب الجسد بالسياط لمدة ثلاثة وثلاثين يوماً ونصف يـوم . وحركة الألبيجنسيان التي قامت في بلدة ألبي في جنوب فرنسا ، وحركة الوالدانسية في جنـوب فرنسا كذلك . وقد هدفت هذه الحركات الهرطقية إلى مقاومة البابوية وهدمها ، الأمر الـذي أدي إلى ظهور فكر جديد هو فكر النهضة الأوربية [5] .

رابعاً : ظهور القوميات :-

إن ظهور العلاقات الرأسمالية وتطورها اللاحق قد أثرا تأثيراً بالغـاً علـى النظـام الاجتمـاعي والسياسي في أوربا .

إن عملية تكون الأقوام كانت قد بدأت في حقبة تفسخ النظام المشاعي البدائي . (والقوم) هو عبارة عـن تشكيلة تاريخية ظهرت بعد العشيرة والقبيلة . ففي البلدان التي كانت تتطور فيـها علاقـات العبوديـة أخذت الأقوام تتكون جنباً إلى جنب مع نشوء نظام الرق . أما في البلدان التي تجنبت نظام العبودية ، فقـد

البشرية بوجه عام ، والحضارة الأوربية بشكل خاص . فهم من حملوا المشاعل الفكرية والعلمية التي أنارت ظلمات أوربا القرون الوسطى ، من خلال ذلك الموروث الحضاري الفلسفي والفكري والعلمي الغزير الذي أنتقل إلى أوربا ، واسهم مساهمة فعالة في قيام نهضتها . مثل فلسفة أبن رشد التي عملت على تعريف أوربا لأول مرة بأرسطو الحقيقي ، وحملت إليها نظرية ابن رشد في الفصل بين الدين والفلسفة على أساس أن كلاً منهما يشكل بناء مستقلاً بذاته ، تؤسسه أصول ومبادئ خاصة به ، وقد نتج عن ذلك صراع شديد في أوربا بين الفلسفة والكنيسة ، وبين العلم واللاهوت ، وكانت النتيجة انتصار العقل واستقلال العلم . وكان للحسن بن الهيثم والعالم الفلكي الأندلسي نور الدين أبي إسحاق البطروجي أكبر الأثر في النهضة العلمية في أوربا . فقد رأى أبن الهيثم طريق الحقيقة في العلم وتحديدا في علوم المنطق والطبيعيات ، وكانت اتجاهاته نقدية عقلانية ، وكما كانت أبحاث ابن الهيثم أساسا لفيزياء الضوء في أوربا الحديثة . كانت آراء البطروجي الفلكية حاضرة في الثورة التي عرفها علم الفلك في أوربا على يد كل من نيقولا كوبرينك (1473–1543) وكيلر (1571–1630) ، ويمكن القول بلا تردد أن النهضة الأوربية الحديثة ظهرت على أساس النهضة العربية الإسلامية وامتداد لها .[14]

فإذا كان هكذا دور الحضارة العربية الإسلامية بالنسبة للنهضة الأوربية ، فنرى من المفارقة والمغالطة أن يعد المفكر الأسباني « ألبرنث » ومن سار في ركبه من الباحثين الأسبان ، أن الوجود العربي الإسلامي في أسبانيا كان سبباً في عرقلة تطورها وتأخرها عن البلدان الأوربية الأخرى . فهم بذلك يتجاهلون وجود حضارة أقامها المسلمون من عرب وغيرهم ، في الأندلس تعد من أرقى الحضارات في العالم حتى يومنا هذا . حيث كان الفتح الإسلامي لأسبانيا سبباً في رقيها رتطورها في مرحلة كانت فيها أوربا تعيش في ظلمات القرون الوسى ، ومع أن العرب المسلمين دخلوا اسبانيا فاتحين وذلك لنشر الإسلام إذ قال عقبة بن نافع مقولته الشهيرة« والله لو علمت أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته غازيا في سبيل الله » ، فهم لم يتعاملوا مع أهلها كما تعامل الأوربيون مع سكان البلدان التي غزوها خلال الحملات الصليبية ، وخاصة بلدان المشرق الإسلامي ، وتحديدا البلدان العربية ، إذ قام الصليبيون بالمذابح الجماعية التي طالت الأطفال والشيوخ والنساء . فقد قتل قائد القوات الصليبية ملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد (2700) أسير من أهالي عكا بعد أقتحمها الصليبيون من غير أن يضطرب له ضمير ويهتز له بدن .[15] لقد دمر الحقد الصليبي مدن بأكملها ، وحل الخراب ببعضها الآخر ، وعطلت ودمرت هذه الحروب كل وسيلة للعلم والتطور الثقافي والحضاري . ناهيك عن السلب ، والنهب ، والظلم ، والتعسف ، والتسلط ، الذي مارسه الصليبيون في الإمارات التي أقاموها في الشرق .

فلماذا لم ينظر الباحثون الأسبان إلى هذا الواقع المأساوي ، الذي حل بالبلدان العربية الإسلامية ، وعرقل تطورها ، وكان سببا في تأخرها لزمن طويل . أم أنهم يعدون هذا تطورا ودخول العرب إلى أسبانيا

، والجغرافيا، والرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب [11] . وقد تسربت هذه العلوم والمعارف من العالم الإسلامي الذي أجتاحته الحروب الصليبية . ولكن بعض الكتاب ، والمفكرين ، والمؤرخون الأوربيين ينكرون على الحضارة الإسلامية تأثيرها على الحضارة الأوربية بشكل عام ، ودورها الكبير الذي لعبته في قيام النهضة الأوربية بشكل خاص . ويعتقد هؤلاء أن سبيل خروج (الشرق) من « جهالته الجهلاء » ومن « تعصبه » هو الإندماج في تاريخ الغرب ، وتقبل الاستعمار على انه مرحلة ضرورية لذلك . فبشر أحد المفكرين الكبار في أسبانيا المعاصرة وهو كلوديو سانشيس البرنث CLAUDIO SONCHEZ ALBORNOZ ، الذي شغل منصب رئيس حكومة الجمهوريين في المنفى أبان الحرب الأهلية الأسبانية ، إن سبب تأخر أسبانيا عن باقي البلدان الأوربية هو دخول العرب المسلمون إليها ، والذين أتوا بحضارة ومفاهيم « متحجرة » تعوق التقدم ، مما « عطل » أسبانيا عن اللحاق بركب التاريخ . وهو يفسر « نبوغ » مفكري وفلاسفة الأندلس ، بسريان الدم الأسباني في عروقهم نتيجة تزاوج الفاتحين العرب والأسبانيات ، والذي هو تزاوج أدى إلى « الدثار » الدم العربي وغلبه الدم الأسباني عليه مع مر السنين .[12] وذهب « هنري كوربان H. CORBIN » إلى أن الفلسفات الإشراقية الفارسية الإيرانية « أسمى » ما أثمرته « العقلية الآرية » داخل الإسلام نفسه . ويعني هذا أن أية إضافة أو تقدم أو تطور ، لن يأتي من الإسلام ذاته ، أو من الجنس العربي ، والذي هو جنس « سامي » ، بل هو من خارجهما ، أي ماله صلة بالغرب نفسه أو بالمسيحية أو بالعرق الآري . أي أنه لم يكن هناك سوى تاريخ واحد ، أما التواريخ الأخرى فهي مجرد توابع له ... بل هي تواريخ معاقة وعاجزة عن التطور بفعل الطبيعة والعرق والدم.[13]

أن هذا النموذج من الكتاب ، والمفكرين ، والمؤرخين الأوربيين ، يتسمون بالتفرقة العنصرية وبالفهم الضيق لأحداث التاريخ العالمي ، ويجهلون الحضارة العربية الإسلامية ، ويحملون هم أنفسهم مفاهيم وآراء متحجرة تحمل في طياتها طابعاً استعماريا وموقفا غير ودي من الحضارة العربية الإسلامية ، ويلبسونها أثواباً لم يسبق أن ارتدتها في أسبانيا . فلو كان الأمر كما يدعون فلماذا يبقون على تلك الآثار وتلك الشواهد المادية التي تذكرهم كل يوم بعظمة الحضارة العربية الإسلامية ، والتي تملئ الأراضي الأسبانية ، أمثال قصر الحمراء الذي يعد واحدا من روائع الفن المعماري الإسلامي . فهم مهما اختلفت مشاربهم الفكرية وانتماءاتهم القومية ، ومهما تعددت حججهم الواهية ، ودوافعهم الذاتية ، لا يمكن إنكار الحقيقة التاريخية التي تؤكد الدور الكبير الذي لعبته الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية ، وباعتراف الأوربيين أنفسهم .

وفي الوقت الذي نؤكد فيه عالمية الحضارة العربية الإسلامية ، لا ننسى دور كثير من العلماء المسلمين غير العرب في إغناء الحضارة العربية الإسلامية . ناهيك عن الدور الكبير الذي قام به العلماء العرب ممثلو هذه الحضارة وموطنها الأصلي في تطوير مختلف مجالاتها ، وما قدموه من خدمة للحضارة

وصلها الصليبيون إلى أشد أنواع الاستغلال ، والاضطهاد ، والعذاب ، الذي لا رحمة فيـه . إن الدمـار الذي نتج عن هذه الحملات لم يشمل البلدان الإسلامية في آسيا ، وأفريقيا ، التي أحتلها الصليبيون بـل شمل أيضا دولا مسيحية ، مثل الدولة البيزنطية ، بل عم الدمار كل شيء أعترض طريقهم ، وعم المـوت كل من رفض الانصياع لهم وتنفيذ أوامرهم . وفي نهاية الأمر أضطر الصليبيون تحت ضغـط الشـعوب الإسلامية الثائرة إلى الانسحاب من منطقة البحر المتوسط والأماكن الأخرى الـتي احتلوهـا ، غـير أن الحملات الصليبية لم تمر من غير تأثير بالغ بالنسبة لأوربا . فقد ساعدت هذه اتصـالات علـى تنظيـم الصلات التجارية بين الشرق والغرب ، وساعدت بشكل عام على تطوير العلاقات البضاعية والنقدية في أوربا .

لقد اقتبس الصليبيون في أثناء هذه الحملات التي قاموا بها ضد الإسلام والمسلمين ، وضد منطقـة الشرق الأدنى بشكل خاص ، جملة من المنجزات الثقافية والتكنيكية المهمة التي لم تكن معروفـة في أوربـا الغربية . إذ أخذت تتطور فيها فروع إنتاجية جديدة مثل صناعة الحرير ، وصناعة الأسلحة ، وغيرها مـن الصناعات الأخرى ، وظهرت مزروعات جديدة مثل الأرز ، والقمح ، والشعير ، والبطيخ ، وغيرها [10]

إن احتكاك الأقطاعيين الأوربيين بحضارة مادية أرقة في شـرقي البحـر المتوسـط وفي المنـاطق الإسلامية التي سيطروا عليها ، قد وسع حاجتهم وأدى بالنتيجة إلى تشديد استغلال الجماهير الشـعبية . وكان هذا أحد العوامل التي عجلت في تفاقم التناقضات الاجتماعية في أوربا الغربية في القرنـين الثـالث عشر والرابع عشر ، وهذه التناقضات التي أدت إلى تغييرات جوهرية طرأت علـى المجتمـع الأقطـاعي الأوربي ، شكلت أساسا قويا في قيام النهضة الأوربية .

ثالثا : أثر الحضارة الإسلامية في قيام النهضة الأوربية :-

لقد عاشت أوربا في العصور الوسطى فترة مظلمة من التخلف والركود ، واختفت معالم الحضـارة الرومانية تدريجيا من إيطاليا ، وفرنسا ، وأسبانيا ، وإنجلترا ، وغيرها من البلدان الـتي كـانت خاضعـة للإمبراطورية الرومانية ، ولم يبق أثر للحضارة والعلم والثقافة في أوربا الغربية إلا في المؤسسات الدينية مـن مدارس وأديرة ، وكانت البابوية هي التي تشرف على هذه المؤسسات ، وتوجهها توجيهاً دينيـاً ضيقـاً ، يخدم مصالح الكنيسة وإطاعة قوانينها المتزمتة التي تهدف إلى إبقاء الناس في حالة خوف وخضـوع أعمـى لسلطتها بشكل مستمر .

وفي الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش هذه الحالة من التخلف الشـامل ، كـانت الحضـارة الإسلامية بمختلف علومها ومجالاتها في حالة ازدهار وتطور ، وكان اثرها كبـيراً في النهضـة الأوربيـة ، وشكلت عاملاً من عوامل قيامها ، وقد شمل هذا التأثير الآداب ، والعلوم ، والفنون ، والفلسفة ، والفلـك

أما مدينة موسكو التي يرجع نشؤوها إلى القرن التاسع فقد أخذت تتطور بشكل سريع جداً منذ أواسط القرن الثاني عشر ، متحولة في القرن الثالث عشر إلى عاصمة إمارة موسكو . وكانت الدول الروسية تبنى على المخطط نفسه الذي بنيت عليه مدينة موسكو تقريبا ، حيث كان الكرملين يقع في مركز المدينة ، وهو عبارة عن بقعة محصنة محاطة بالأسوار السميكة والخنادق ، يسكنه الأمير أو حاكم المديرية مع حاشيته وعصبته العسكرية . وكانت تقع حول الكرملين بلدات يقطنها التجار والحرفيون .

وكانت المدن الروسية القديمة تتاجر مع منطقة الفولغا ، والقوقاز ، والدولة البيزنطية ، وآسيا الصغرى ، وإيران ، والبلدان العربية ، وحوض البحر المتوسط ، وقامت صلات تجارية واسعة بين روسيا والمناطق الساحلية السلافية ، وأسكندينافيا ، وبلاد التشيك ، وموارفيا ، وبولونيا والمجر ، وألمانيا وغيرها من البلدان الأخرى [9] وقد كانت هذه المدن الأوربية بمثابة مراكز للإشعاع الحضاري ، والفكري ، والفني ، والديني ، والسياسي ، والقومي ، ناهيك عن مهمتها الاقتصادية . وتحتل المدن الإيطالية الصدارة في هذا المجال ، كونها تمثل الينبوع الذي تفجر منه المذهب الإنساني الذي وضع اللبنات الأولى في صرح النهضة الأوربية ، وخاصة فلورنسا التي حكمت فيها أسرة محبة للآداب الإنسانية والفنون القديمة ، وهي أسرة "آل مدتشي". ومدينة روما التي تميزت بفنها الديني واحتوائها على الأكاديميات التي قامت بدراسة الآداب اللاتينية والآثار الرومانية القديمة .

ثانيا الحروب الصليبية :-

في الفترة الواقعة ما بين عام 1096م وعام 1270م أجرى ثماني حملات صليبية كبرى ، شارك فيها القاتل ، والمجرم ، والقرصان ، والسكير ، واللاعب ، والراهب ، والمحكوم عليه بالإعدام ، والملك ، والأمير ، والفلاح ، والتاجر ، والنبيل ، والغني ، والفقير ، وباختلافهم أختلفت الأهداف والأطماع . وقد راح ضحيتها خمسة ملايين من الأنفس ، وهذا العدد من القتلى يعد غاية في الضخامة بالنسبة لذلك الوقت . وبعد إنتهاء هذه الحملات عاد الكثير من الصليبيين الذين شاركوا في هذه الحرب من فلسطين ، وهم على ثقة تامة بأن الذين نشبت الحرب من أجلهم ، لا يستحقون هذه التضحيات الجسام . إذ أحسس معظمهم بأن ما فعلوه لا علاقة له بالسيد المسيح الذي نادى بالحب ، والسلم ، والحرية ، والإخاء ، والتسامح .

ففي بادئ الأمر أسس الصليبيون في الأراضي المفتوحة في منطقة شرق البحر المتوسط عدة دول ذات أنظمة أقطاعية نموذجية . أما الفلاحون المشتركون في هذه الحملات فلم يحصلوا هنا على الأرض ولا على تلك الامتيازات التي وعدهم بها مؤججو هذه الحروب . وقد تعرض المسلمون في الأماكن التي

العوامل التي ساعدت على قيام النهضة الأوربية :-

لقد خضع قيام النهضة في أوربا إلى العديد من العوامل التي ساعدت علـــى قيامـها ، ارتباطـاً بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في البلدان الأوربية ، واهم هذه العوامـــل هي :-

أولاً : ظهور المدن الأوربية :-

إن ظهور المدن الأوربية ، وإن كان في مرحلة القرون الوسطى ، يعد من أهـــم الأسـباب الـتي فوضت النظام الأقطاعي الكنسي الذي كان سائداً في أوربا في القرون الوسطى . وكان ظهورها قد هـــز أركان هذا النظام هزاً عنيفاً . وهنا لابد لنا قبل الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه المدن في النهضـة الأوربية من الإشارة إلى الكيفية التي تكونت فيها هذه المدن الأوربية .

تكون المدن الأوربية :-

إن الفلاحين الهاربين من القرية ، أو الذين غادروها بموافقة السيد الأقطاعي ، ســـعوا جـاهدين لإيجاد أماكن مريحة لتصريف مصنوعاتهم الحرفية قرب مصادر المواد الخام ، ويكون فيها حالة مـــن الأمـــن النسبي . وقد توافرت هذه الشروط قرب المقرات المحصنة للملوك والأمراء والأساقفة ، وحـــول مراكـــز المقاطعات الإدارية . كذلك سكن الأقنان الهاربون حول الأديرة الضخمة التي كانت محصنـــة كذلـك . وسعى الفلاحون الذين غادروا القرية إلى التمركز في أماكن توقف القوافل التجارية ، وفي نقـــاط ملتقـى الطرق البرية والمائية . ففي هذه الأماكن غالباً ما كان يجري تبادل البضائع بين التجار القادمين من مختلـف الأماكن ، كما كانت تجري عمليات شحن وتفريغ البضائع . وغالبا ما كان التجار القـــادمون يشـترون مصنوعات عمل الحرفيين الساكنين في هذه الأماكن ، ويستخدمون كذلك الفلاحين بصفة حمالين ونقـالين على القوارب وعلى الحيوانات وحراسا للسلع التجارية في هذه الأماكن . وأشهر هذه المدن هـــي المـدن الإيطالية والفرنسية والروسية . وكان لصلات إيطاليا ، وجنوب فرنسا التجارية مع الدولـــة البيزنطيـة ، وبلدان الشرق الأدنى ، وخاصة تلك البلدان الواقعة على الساحل الشرقي للبحـــر المتوســـط ، الإســـهام الكبير في تطور المدن الإيطالية مثل : البندقية وجنوا وبيزا ونابولي والفرنسية : مارســـيليا وآرل واربونـة ومونبيلية ، كما أسهمت هذه العلاقة في تطور مدن كثيرة غيرها . ومنذ القرن الثامن ، أخذت المدن تظـهر في إيطاليا وفرنسا باعتبارها مراكز للحرف التجارية ، وظهرت المدن على إمتداد نهر الدانوب ونهر الرايـن وفي إنجلترا في القرنين العاشر والحادي عشر [8] .

وأما المدن الروسية القديمة فكانت كييف اشهرها وذلك في القرنين العاشـــر والحـادي عشـــر ، وكانت نوفغورود أيضاً في ذلك الوقت مركزاً تجاريا وحرفياً كبيراً . كذلك لعبـــت مـدن تشـيرنيغوف وسمولينك وبولوتسك دوراً كبيرا في الحياة الاقتصادية في روسيا القديمة .

تكونت الأقوام في آن واحد مع نمو العلاقات الأقطاعية . وفي مرحلة الأقطاعية المتطورة تم تكوين الأقوام في العديد من بلدان آسيا وأوربا [6] .

إن تطور العلاقات الرأسمالية قد استتبع عملية تكون الأمم على أساس الأقوام الموجودة . وقد جرت هذه العملية على أساس الاقتصاد المشترك والدولة السياسية المركزية . فتعزيز الروابط الاقتصادية بين مختلف المناطق داخل البلاد أوجد الظروف لظهور اللغة المشتركة وتطور الثقافة القومية .

ومع بداية العصر الحديث ، ظهرت في أوربا وعلى وجه الخصوص في أوربا الغربية أشكالاً جديدة للحكم ، فالحدود القومية أصبحت تتضح معالمها بشكل متزايد بعد ان كانت أوربا مقسمة إلى طبقات اجتماعية في القرون الوسطى في ظل النظام الأقطاعي السائد فيها .

وكانت الدول القومية تشق طريقها في خطوات بطيئة ومضنية ، واتجهت شعوب أوربية كثيرة نحو التجمع على أسس قومية وضمن حدود واضحة في وحدات سياسية مستقرة نسبياً . ففي أواخر القرن الرابع عشر أصبحت سمات ظهور الأمم الحديثة واضحة المعالم ، فقد ظهرت الدولة القومية في بريطانيا أولاً حيث كانت لظروف ملائمة لنشأتها ، ثم في أسبانيا والبرتغال وفرنسا وفي الولايات الكبرى من مجموعة الولايات الألمانية .

وهكذا نلاحظ منذ بداية القرن السادس عشر إن كلمة إنجليزي أو فرنسي أو أسباني أصبحت تدل على أن ذلك الشخص ينتمي إلى شعب معين له تقاليده وتراثه ، وثقافته ، التي تميزه عن الشعوب الأخرى . وارتباطاً بذلك تحول الولاء القديم الذي كان للمدينة أو القبيلة أو الحرفه إلى الولاء للوطن ، ويعتقد بعض المؤرخين في هذه الفترة بالذات أن هذا الولاء الوطني بدأ يحل محل الولاء للدين في أوربا .

خامساً : الفصل بين الكنيسة والدولة :

إن نمو الشعور الوطني في البلدان الأوربية ، شكل خطراً على البابوية والكنيسة بشكل عام . وقد تمثل هذا الخطر بانتماء المواطن الأوربي إلى الوطن وإلى الأمة أكثر من انتماءه إلى الكنيسة ، الأمر الذي جعل للدولة سلطة على مواطنيها بحكم هذا الانتماء الوطني ، واضعف سلطة الكنيسة الخارقة وهيبتها بين المواطنين ، وشجع المواطن على الاتجاه نحو الحركات الوطنية والإصلاحية الدينية ومساندتها . ويؤكد بعض رؤساء الحركات الدينية المناهضة للكنيسة ، مثل جون ويكليف الإنجليزي وجون هس البوهيمي ، أن المهمة الأساسية لرجال الدين هو ممارسة الواجبات الدينية ، وترك الأمور الدنيوية والمسائل العلمانية للدولة ، ورفض وساطة الكنيسة بين الإنسان وربه ، وطالب ويكليف بتحديد أملاك الكنيسة وذلك بضم قسم من أملاكها إلى الدولة [7] .

تخلفاً ؟!! إن هذا الموقف يعبر عن ضيق الأفق القومي والنظرة الأحادية الجانب للأحداث التاريخية ، وعن فكرة كون الهوية الأوربية متفوقة بالنسبة لسائر الشعوب والثقافات غير الأوربية . ولم يجد هؤلاء من تبرير لتخلف أسبانيا عن البلدان الأوربية الأخرى سوى تحميل المسلمين العرب ودخولهم إلى الأندلس تبعات ذلك ، متجاهلين الاسباب الحقيقية لهذا التخلف ، مقارنة بالدول الأوربية الأخرى ، هذه الدول التي كانت تتهيأ بكيفية عقلانية وهادئة للانتقال إلى العصر الحديث ، وبدأت تتبلور فيها قوى إنتاجية جديدة ستعمل على تطوير المجتمع والخروج به من ظلمات العصور الوسطى ، وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الدول تبني نفسها اقتصاديا وصناعيا وتاريخيا ، ظلت أسبانيا تنفق أكثر مواردها الأتية من وراء البحار ، من ذهب وما سواه على التسلح ، لتكريس هيمنتها على الأراضي الجديدة وتوسيع مشاريعها الاستعمارية . فإلى هذا السبب وغيره من الأسباب الأخرى يعود تخلف أسبانيا وليس كما يدعي ((ألبرنث)) وأنصاره من أنه يعود إلى دخول الحضارة العربية الإسلامية إليها ، هذه الحضارة التي كان لها الدور الكبير في قيام النهضة الأوربية ، وباعتراف الأوربيين أنفسهم من خلال مؤلفاتهم التي لا حصر لها . مثل موجز تاريخ العالم لهربرت جون ويلز الذي يشير إلى الدور الكبير الذي لعبه الفكر العربي الإسلامي والعلوم الإسلامية في النهضة الأوربية ، بل وتأثيره في العالم بأسره إذ قال (لقد حقق العرب المسلمون في حقول العلوم الرياضية ، والطبية ، والطبيعية ، ضروبا كثيرة من التقدم ، فنبذت الأرقام الرومانية القبيحة وحلت محلها الأرقام العربية التي نستعملها إلى يومنا هذا . واستعملت علامة الصفر لأول مرة . ولا يخفى إن اسم ((الجبر)) نفسه لفظ عربي وكذلك كلمة ((كيمياء)) ثم أن أسماء نجوم كنجم الغول والديران والعواء تحتفظ بذكرى فتوح العرب في أطباق السماء . وبفضل فلسفتهم عادت الحياة إلى فلسفة القرون الوسطى بكل من فرنسا وإيطاليا والعالم المسيحي كافة) . [16]

ويواصل ويلز قوله (... ولا شك أن المسلمين وفقوا إلى مستنطبات في المعادن والتطبيق الفني كثيرة ولها قيمة كبيرة جدا ، فهم الذين عثروا على السبائك والأصباغ والتقطير والألوان والعطور وزجاج العدسات) . [17]

ويقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون في وصفه منجزات الحضارة العربية الإسلامية وحيويتها ((يكفي أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمد آداب ناضجة ، ولغة راقية ، وأنهم كانوا ذوي صلات تجارية بأرقى أمم العالم منذ القديم ، وأنهم استطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من انظر الحضارات التي عرفها التاريخ . وأن ما حققه العرب في وقت قصير من المبتكرات العظيمة لم تحققه أمة . وأن العرب أقاموا دينا من أقوى الأديان التي سادت العالم ولا يزال الناس يخضعون له)) . [18]

رابعـاً :-

أدى سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية على يد الأتراك العثمانيين عام 1453م إلى هجرة عـدد كبير من العلماء ، والأساتذة ، والمعلمين ، والأدباء والمفكرين ، والمهندسين المعماريين إلى أوربا ، وقد حمـل هؤلاء المهاجرون معهم جزءا كبيرا من المخطوطات الثمينة التي أحتوت على أعمال الإغريـق والرومـان القدامى ، وكل ما احتوته القسطنطينية من معالم ثقافية وأدبية وفنية ومعمارية جميلة كونها كانت عاصمـة الدولة البيزنطية لعشرة قرون من الزمن إلى المدن الأوربية التي أستقروا فيها ، وخاصة المدن الإيطالية الـتي اشتهر حكامها بتشجيع العلوم والفنون والآداب ، وقد أدى حماس الإيطاليين إلى كل ما هـو إغريقـي إلى الترحيب بهؤلاء المهاجرين وتعيين الكثير منهم معلمين ومدرسين ومحاضرين في جامعـاتهم . وهـذا يعـني الاهتمام الكبير في إيطاليا بالتراث اليوناني والروماني ودراسته ، الأمر الذي ادى إلى التقدم الفكري وقيـام النهضة ليس في إيطاليا لوحدها بل في عموم أوربا . [19]

خـامساً :-

كان لإختراع يوحنا جوتنبرج (1396–1468) للطباعة في القرن الخامس عشر الدور الكبير في النهضـة الأوربية ، وذلك من خلال مساهمتها في إخراج الناس من ظلمات وجمود العصور الوسـطى إلى العصـر الحديث . وقد تمت طباعة اول كتاب على حروف منفصلة عام 1454م ، وكان هـذا الكتـاب نسـخة لاتينية من الكتاب المقدس . وقد قام جوتنبرج بطباعته في مدينة ميتز في المطبعة التي عرفت باسمه . ودخلت هذه الطريقة إسلى إيطاليا في سنة 1466م ولم تأت سنة 1500م حتى أصبحت في أوربا حـوالي أربعـين مطبعة . واشتهرت إيطاليا بكثرة المطابع والطباعين مثل مطبعة ((الدوما نوتزيو)) في البندقية . وكان لهـذه المطابع وأصحابها فضل كبير على النهضة الأوربية من خلال تخفيض تكاليف النشر بنسبة كبيرة . الأمـر الذي ساعد الإنسانيين على نشر التراث الروماني والإغريقي بنصوصه الأصلية ، وعلى نطاق واسع مـن أوربا . [20]

سادسا : حركة الكشوف الجغرافية :

تتمتع حركة الكشوف الجغرافية التي شهدها النصف الثاني من القرن الخامس عشر بأهمية كبـيرة ، ليس للتاريخ الأوربي فقط بل وللتاريخ العالمي بأسره في تلك الحقبةالزمنية ، إذ تعد حركـة الكشـوف الجغرافية من العوامل المهمة التي ساهمت في النهضة الأوربية وانتقال أوربا من العصور الوسطى إلى العصـر الحديث . وقد سارت هذه الحركة في خط مواز لحركة إحياء التراث القديم وحركة الإصلاح الديني . وقد شغلت الجغرافية في عصر النهضة قسطا مهما من المعرفة الجديدة . [21] وإن حركة الكشـوف الجغرافيـة الأوربية كانت استمرارا لما قام به الفينيقيون والقرطاجيون ، من رحلات إلى سـواحل البحـر المتوسـط لتأسيس علاقات تجارية مع تلك المناطق . كما قام العرب المسلمون في العصور الوسطى برحـلات بريـة

وبحرية إلى مناطق إفريقيا الشرقية والهند والصين . واسهموا أكثر من غيرهم في حركة الكشف الجغـرافي ، وفي مجال المعرفة الجغرافية . ويعد الإدريسي من أهم واكبر الجغرافيين العرب المسلمين في العصور الوسـطى . ويعد كتابه (نزهة المشتاق في إختراق الآفاق) من أفضل الكتب في جغرافيـة العـالم ، ويحتـوي علـى معلومات صحيحة ومادة وافرة عن بلدان إسلامية وأوربية .[22]

إن حركة الكشوف الجغرافية العظيمة التي حدثت في القرن الخامس عشر ، وتصدرها البرتغاليون والأسبان كان وراءها العديد من الدوافع . أهمها دوافع تجارية بين أوربا والشرق ، وكان البحث عندهـا مستمرا لاكتشاف طرق جديدة تربط أوربا بالشرق . ودوافع علمية جغرافية استكشافية ، تمثلت بنظريـة كروية الأرض ودراسة الظواهر الجغرافية . ومن المعروف أن الجغرافيين العرب تقبلوا فكرة كرويـة الأرض قبل الأوربيين بقرون ، كما ورد في كتاب أبن رسته " الأعلاق النفيسة " في القرن العاشر الميلادي من أن الأرض مستديرة كالكرة قائمة في الهواء . فضلا عن الدوافع الاستعمارية التي دفعت البرتغاليين والأسـبان إلى نهب الأراضي المكتشفة حديثا وتحويلها إلى مستعمرات تابعة لهمـا ، ومـن هـذا المنطلـق شـكلت الاكتشافات الجغرافية العظمى نقطة إنطلاق السياسة الاستعمارية عند الدول الأوربية . وأخـيرا دوافـع دينية ، دفعت البرتغال وأسبانيا بوصفهما دولتين مسيحيتين للقيام بالكشوف الجغرافية مـن أجـل نشـر الديانة المسيحية في المناطق التي يكتشفونها ، أو يصلون إليها ، ويرون أن الكشوف الجغرافية يجب أن تعمـل على تحويل المسلمين في غرب إفريقيا وفي غيرها من المناطق إلى المسيحية ، وهذا ما يعكس سياسة التعصـب والتزمت الديني والروح الصليبية عند البرتغال والأسبان ضد الإسلام والمسلمين ، وقد تجلى ذلك بوضـوح في تضييق هاتين الدولتين الخناق على القوى الإسلامية في الأندلس .

مظاهر النهضة وأشهر روادها :

أتخذت حركة النهضة مظهرين تمثلا بإحياء التراث الأدبي الكلاسيكي وإحياء الفن القديمين ، وقـد كان هذان المظهران وثيقي الصلة فيما بينهما وسنلقي الضوء عليهما فيما يأتي :

أولاً : المظهر الأدبي :

ويسمى بالحركة الإنسانية ، وممثلوا هذه الحركة يسمون بالإنسانيين وأشهر رواد هذا المظهر هم :

دانتي أليجيري (1265-1321م) :

ولد دانتي في مدينة فلورنسا عام 1265م ، وقد نفاه اللورنسيون عام 1302م إلى رافانا ، وقـد مات فيها عام 1321م ويعد دانتي من أوائل الشعراء والأدباء الكبار واشهر مؤلفاته هي ملحمته الشـهيرة (الكوميديا الإلهية) التي تعد دعامة من دعائم الأدب العالمي ، وله كتاب آخر أسمه "الوليمة" طـرح فيـه موضوعات متعددة في السياسة والحكمة والأخلاق . كما وضع دانتي رسـالة باللغـة اللاتينيـة اسماهـا "الملكية" وقد اشار فيها إلى أن الحرب هي آفة التقدم وأن السلام العالمي يجب أن يكون هدف السياسـة

والحكام .[23] ومع أن دانتي قد نظر إلى العالم من وجهة نظر رجل العصور الوسطى إلا أنه كـــان مبشـــراً للعصر الحديث ، ولذلك يعد من رواد النهضة .

فرانشسكو بترارك (1304-1374م) :

اشتهر بترارك بكتابة الشعر الغنائي الإيطالي ويعد اول وأعظم ممثل للجانب الإنساني في حركـــة النهضة الإيطالية وقد أكد بترارك على عظمة وجمال الأدب الكلاسيكي وقيمته باعتباره وسيلة للثقافـــة . وجمع بترارك مجموعة ثمينة من المخطوطات تبلغ حوالي المائتي مجلد بما فيها أعمال أفلاطون .[24] وقد تمتعت هذه المخطوطات باهمية كبيرة ليس فقط في عصر النهضة فحسب وإنما بعدها كذلك .

بوكاتشيو (1313-1375م) :

وهو أشهر تلاميذ بترارك وقد أشتهر من خلال عمله الرائع (ديكامرون) وهـــي مجموعـــة مـــن القصص كتبت باللغة الإيطالية ، وقد دعا في هذه القصص إلى التمتع بملاذ الحياة ، ولم يتحدث عن الـــروح والفضيلة ويعد بوكاتشيو واضع أساس النثر الإيطالي [25] . وقد أعطى في كتابه دوراً كبـــيراً للجوانـــب الدنيوية بعيداً عن القيود الدينية .

فرنسوا رابله (1494-1553م) :

تميز رابله بكتابة الروايات الفكاهية الممتعة ، وهو أستاذ في علم التشريح وهو أول مـــن شـــرح جثة إنسان مخالفاً بذلك أوامر الكنيسة والبابا علماً أنه عمل قسيساً ونشر ابحاثه في أسلوب مبسط وممتـــع [26]

ثانياً : المظهر الفني :

شمل هذا المظهر اتجاهات متعددة مثل :

التصوير والنحت والرسم وقد كانت النهضة في هذه الاتجاهات عودة إلى الطبيعة ، أي انها حررت الفـــن من القيود التي فرضتها عليه القرون الوسطى . وأشهر المدارس التي وجدت في إيطاليا ابان عصر النهضـــة هي : فلورنسا وأمبريا والبندقية واشهر رواد المظهر الفني هم :

ليوناردو دافنشي (1452-1519م) :

كان دافنشي نحاتاً ومهندساً وميكانيكياً ومخترعاً ورساماً ورياضياً ، وجمع بين الفن والعلم وكـــان شخصية فذة وفريدة من نوعها ، وكانت الطبيعة هي النموذج الحي لدافنشي في حياته الفنية ، ومن أشـــهر أعماله الفنية (العشاء الأخير) التي أستغرق رسمها ثلاث سنوات وتعد أعظم صـــورة أخرجـــها في عصـــر النهضة .

وأما رائعته الشهيرة (الموناليزا أو الجيوكوندا) فهي صورة لسيدة إيطالية أسمها الموناليزا جـــيرار ديني أي السيدة ليزا وهي نبيلة فلورنسية زوجت في السادسة عشرة من عمرها على كره منها أحد ضبـــاط

مدينة فلورنسا يسمى فرانشكو زانوبي جيوكوندو في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان زواجه منها للمدة الثالثة [27] . وقد استغرق رسم هذه اللوحة أربع سنوات ، كرس فيها دافنشي كل طاقته الإبداعية ليجعل منها تحفة خالدة عبر الزمن [28] . وتوجد هذه اللوحة في متحف اللوفر في باريس . وكان دافنشي يعشق الحقيقة ويستلهمها في البشر ، وحكم بالبطلان على جميع العلوم التي لا تعتمد على التجربة . وتعد لوحتا العشاء الأخير والموناليزا اشهر اللوحات في العالم كله [29] .

ميكيل أنجلو بوناروتي (1475-1564م) :

يعد ميكيل أنجلو من عمالقة الفن في عصر النهضة ، إذ كان مصوراً ونحاتاً ومهندساً معمارياً ، قلم بدراسة النماذج الفنية القديمة دراسة دقيقة . وكانت أشهر أعماله الفنية رسومات سقف الستين في كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان ، وهو سقف محراب البابا سكستوس الرابع ولهذا عرف باسم الستين . وقد أنجز هذا العمل الرائع والمبدع خلال أربع سنوات ونصف ابتداءً من 10مايو 1508م حتى 10أكتوبر 1512م . ومن أشهر تماثيله تمثال (العذراء حاملة جسد المسيح (عليه السلام) فوق ركبتيها) ويعرف هذا التمثال بتمثال الرحمة [30] .

وأخذ ممثلو ثقافة النهضة يرمزون إلى جوهر الظواهر الإيديولوجية الجديدة بإصطلاح (الإنسانية) . إذ أرادوا التأكد على الطابع الدنيوي للثقافة الجديدة وتحررها من التبعية الأقطاعية والدينية وقد أبرز الإنسانيون قيمة الشخصية الإنسانية .

ثالثاً : المظهر التاريخي والسياسي وأشهر رواده :

نيكولو مكيافلي (1469-1527م) :

ولد نيكولا ماكيافلي في فلورنسا في 3آيار 1469م ونشأ في أسرة برجوازية قديمة أسرة ماكيافلي وقد لعبت هذه الأسرة دور هام في التاريخ السياسي الإيطالي . وقد لعبت في هذا المجال دوراً كبيراً الآراء السياسية التي نادى بها الفيلسوف والمؤرخ الأيطالي نيكولو ميكافلي . فقد كتب في مؤلفه الأمير ، بسأن الوسائل حسنة من أجل بلوغ الأهداف الشخصية والطبقية مثل ، العنف ، المكر ، الغدر ، القسم الكذب ، الكذب والنفاق . فضلاً عن الفصل التام بين الأخلاق والسياسة ، والاعتراف بالمراعاة التامة لمصالح الحكام ، والنجاح هو الدليل القاطع في الحكم على الأعمال ، وأن الشعب في الدولة هو الأداة في تحقيق الأهداف السياسية العليا . ولذلك تختلف " إنسانية " عصر النهضة عنده اختلافاً جذرياً عن الإنسانية الحقيقية .

وقد نال كتاب نيكولو مكيافلي " الأمير " الثناء والتقدير من جهة والانتقاد من جهة أخرى . فقد وصف بأنه من عمل الشيطان ، وبأنه فاتحة في علم السياسة ، وأن الدروس والتجارب التي تناولها

تستمد جذورها من الواقع لا من الخيال . ويعتقد مكيافلي أن السياسة إذا قصد بها فن الحكم يجب أن تكون مستقلة عن الأخلاق تماماً . أي لا مكانة للأخلاق في السياسة . فيجوز لمن يريد إنشاء دولة قوية والحفاظ عليها أن يلجأ إلى الرذيلة والخداع والبطش والقسوة وجميع انواع الجرائم [31] . ويمكن للحاكم أن يستخدم الرجال باعتبارهم أدوات لتحقيق أهدافه السياسية ، ثم ينبذهم نبذ النواة إذا تطلبت المصلحة الاستغناء عنهم . وينصح مكيافلي الحاكم بأن يكون بعيداً عن تنفيذ الأحكام والإجراءات والتدابير الصارمة ، ويوكل تنفيذها إلى مندوبية فيتعرضون وحدهم لسخط الجماهير ويبقى الحاكم بعيداً عن هذا السخط . يقول : إذا تمسك الحاكم بالفضائل فإن هذه الفضائل سوف تقضي عليه لا محالة . وإذا مارس الرذائل وجعلها أسلوباً لحكمه فإن هذه الرذائل ستجلب له الأمن والرخاء . وعلى الحاكم أن يرهب رعاياه لكي يخشوا باسه وسطوته بدلاً من أن يكون محبوباً لديهم .

ويصف مكيافلي البشر بصفة عامة بأنهم قوم جاحدون للجميل يميلون إلى الكذب والغش والخداع . ويطمعون في الكسب ويتحاشون تعريض انفسهم للأخطار . فهم يقفون إلى جانب الحاكم طالما يده سخية في العطاء وطالما الخطر بعيداً عنهم ، فإذا ما اقترب الخطر وأحدق بالحاكم فأنهم يتنكرون له ويركنون إلى الفرار فيجد نفسه وحيداً . إن مكيافلي في كتابه الأمير قد خرج على تقاليد العصور الوسطى ، حيث نبذ الناحية الدينية وتجاهل تعاليم الأديان السماوية ، وابتعد عن الأخلاق الإنسانية الحقيقية ، وأخضع كل شيء للسياسة ، وأن يكون الشعب أداة بيد الحاكم يستخدمها لتحقيق أهدافه ومصالحه الضيقة [32] .

لقد حظى وما يزال يحظى كتاب مكيافلي « الأمير » باهتمام كبير من الفلاسفة والساسة ، ويكاد الحكام مع مرور ثلاثة قرون على نشره عام 1531م وخمسة قرون على وضعه يعملون بما جاء به من أحكام . فهو ما زال الملهم للكثير من رجال السياسة ومنفذيها في مختلف أنحاء العالم . وما زال يشكل دستوراً ومرجعاً أساسياً في الحكم للمستبدين والمتسلطين والإرهابيين ومؤججي الحروب مهما أختلف مشاربهم ومهما كانت ذرائعهم ، وهو دستور ومرجع أساسي أيضاً للأنظمة الشمولية ليس في أوربا القرون الوسطى لوحدها بل لكثير من الأنظمة الدكتاتورية الفاشية المعاصرة التي اضطهدت شعوبها وأرتكبت الجرائم السياسية الكبرى والاضطهادات الدينية التي عصفت بالعالم .

قال نابليون بونابرت عن كتاب «الأمير» إنه الكتاب الوحيد الذي يستحق القراءة . وقد درسه وأستخدمه فريدريك الأكبر ملك بروسيا والمستشار الألماني بسمارك . كما أختاره الرئيس الإيطالي بنيتو موسليني موضوعاً لأطروحته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه ، أما هتلر فكان يضع هذا الكتاب بالقرب من سرير نومه ويقرأ فيه كل ليلة قبل أن ينام [33] .

توماس مور (1478-1535) :

إن الشخصية الأخرى التي ألقت بظلالها على النهضة الأوربية هو توماس مور ، الذي يعد واحداً من أعلام النهضة الأوربية والفكر الأوربي الحديث . ولد توماس مور في لندن عام 1478م وكان والده من رجال القضاء . وتوماس مور كاتب وسياسي إنجليزي مشهور . أهتم بالدراسات الإنسانية التي كانت تتمثل آنذاك في اللغتين الإغريقية واللاتينية [34] . وهو مؤلف كتاب (اليوتوبيا) الشهير الذي نشر عام 1516م ويتضمن آراء توماس مور في السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع والدين والقانون ، وتتلخص أفكاره في إقامة الدولة المثالية أو المدينة الفاضلة التي لا مكان فيها للظلم والاستبداد والاضطهاد ، إقامة دولة حرة ديمقراطية تذوب فيها الفوارق الطبقية . ودعا مور إلى إقامة الاشتراكية التي توفر العدالة الاجتماعية وإلغاء الملكية الخاصة التي يعدها بلاء كبيراً على المجتمع وسبباً للظلم الاجتماعي ، ولا يزول هذا الظلم إلى بمحو الملكية الخاصة محواً تاماً ، وليست وظيفة الحاكم أن يعيش في بذخ وسط شعب يتضور جوعاً ويعاني من الأمراض والجهل والحرمان . ودعا كذلك إلى إيجاد نمط جديد من العلاقات الدولية بعيداً عن شبح الحروب المدمرة ، تحل فيه النزاعات الدولية بالطرق السلمية ، ودعا إلى حرية العقيدة والتسامح الديني .

إن السبب الحقيقي في دعوة مور لإقامة مثل هذه الدولة المثالية هو معايشته للنظام الرأسمالي في بريطانيا ومشاهدته اليومية للظلم والتعسف والاستبداد الذي يمارسه هذا النظام وافتقاره إلى العدالة الاجتماعية ، بسبب سوء توزيع الثروة وحصرها بيد نخبة محددة داخل هذا المجتمع ، ولذلك شن حملة عنيفة ضد الرأسمالية وأساس قيامها الملكية الخاصة .

لقد ظل توماس مور وفياً للمبادئ التي نادى بها ، وظل تقريبا من الشعب البريطاني ضد كل الإجراءات التعسفية التي فرضتها الملكية البريطانية ، غير مكترث بالمناصب الرفيعة التي أوكلت إليه في الحكومات البريطانية لكفاءته حتى أعدمه الملك هنري الثامن ، الذي أختلف معه حول الموقف من حركة الإصلاح الديني في إنجلترا وحول قضية طلاقه من زوجته كاترين ليتزوج من آن بولين . وعندما رفض مسايرة الملك في هاتين المسألتين وجه الملك إليه تهمة الخيانة . وأودع السجن لفترة سنة ثم حكم عليه بالإعدام عام 1535م [35] . ولكن حتى بعد إعدامه ظلت تلك الأفكار الراقية والمثل الفاضلة التي نادى بها مور معيناً أستقت منه أوربا الكثير من جوانب نهضتها ، وحفزت شعوبها على عملية التغيير والتجديد المستمر من أجل تحقيق تلك العدالة الاجتماعية التي نادى بها .

نتائج النهضة الأوربية : يمكن إجمال نتائج النهضة بما يلي :-

1. أدت حركة النهضة الأوربية إلى التحرر من قيود القرون الوسطى ، والاهتمام بالجوانب الطبيعية ، والعودة إلى الماضي الوثني في مجال الفن والأدب ، الأمر الذي ادى إلى الإبتعاد عن العرف

والجوانب الأخلاقية ، كما حدث في فلورنسا في الغناء والشعر والحب والرقص في الساحات العامة ، وقد دعا حاكم فلورنسا الشباب إلى التمتع بالحياة السعيدة قبل فوات الأوان لأن الزمن يمضي بسرعة .

2. ساعدت حركة النهضة على نمو الآداب والفنون القومية في الدول الأوربية ، وخاصة إيطاليا التي أثار الأدب فيها الروح القومية ، وخلق الشعور بالعظمة بين الإيطاليين فيما يتعلق بجنسهم وبلادهم ، وقد شكل هذا الشعور القومي أساسا للوحدة الإيطالية .

3. نشأت نظرة جديدة إلى العالم ، تطرقت إلى جميع وجوه حياة الإنسان الروحية في العلم والأدب والفن وتحرر الثقافة من التبعية الأقطاعية والدينية .

4. أدت الاكتشافات التي قام بها رجال النهضة إلى روح التجديد في مجالات مختلفة ، في العقيدة والسياسة والصناعة ، وتعاظم نهوض التكنيك والعلوم الطبيعية في أوربا .

5. قضت النهضة على احتكار الكنيسة للعلم ، من خلال قيام المدارس والجامعات الجديدة ، وتحرر العقل البشري من الخرافات والقيود التي فرضت على حرية الفكر والبحث العلمي .

6. رافق تطور الإنتاج الرأسمالي نشوء طبقتين متناحرتين ، هما البرجوازية والبروليتاريا ، وكان عدد البروليتارية يزداد على حساب الفلاحين ، والحرفيين ، والمنهوبين ، وكادحي المدن . أما البرجوازية فأصبحت الوريث الشرعي للأقطاع ، وإن ظهور البرجوازية بوصفها طبقة جديدة سيطرت فيما بعد على السلطة وعلى وسائل الإنتاج ، لن تنهي الاستغلال بل تمت الاستعاضة عن سيطرة الأقطاع بسيطرة البرجوازية .

7. أدت النهضة الأوربية إلى ظهور حركة الإصلاح الديني ، بزعامة عدد من المفكرين والمصلحين الذين أرادوا إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من مفاسدها والعودة إلى المبادئ الحقيقية للمسيحية .

8. إن النهضة الأوربية ظهرت امتدادا للنهضة العربية الإسلامية ، وذلك منذ اتصال الأوربيين بالحضارة العربية الإسلامية في القرن الحادي عشر ، وتفاعلهم معها وتم هذا الاتصال وهذا التفاعل من خلال وصول العرب المسلمين إلى الأندلس وجزيرة صقلية ، ومن خلال الحروب الصليبية .

9. وأخيرا انعكست تجليات هذه النهضة وتأثيرها في حدوث الثورات البرجوازية في أوربا وخاصة الثورة الإنجليزية عام 1688م والثورة الفرنسية عام 1789م .

الهوامش

1. مجموعة من الأساتذة السوفيت . عرض اقتصادي تاريخي . دار الفارابي ، بيروت 1981،ص258.
2. ميلاد المقرحي . تاريخ أوربا الحديث 1453 - 1848. دار الكتب الوطنية ، بنغازي 1996، ص28.
3. عبدالمجيد نعنعي . أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة 1453 - 1848. دار النهضة العربية ، بيروت 1983 ، ص16.
4. هربرت جون ولز . موجز تاريخ العالم . ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، القاهرة 1958،ص228 .
5. عبدالفتاح أبو عليه واسماعيل احمد ياغي . تاريخ أوربا الحديث والمعاصر . دار المريخ ، الرياض 1993 ، ص28 .
6. مجموعة من الأساتذة السوفيت . مرجع سابق ، ص277 .
7. هربرت جون ولز . مرجع سابق ، 234 .
8. مجموعة من الأساتذة السوفيت . مرجع سابق ، ص208 .
9. المرجع السابق نفسه ، ص277 .
10. المرجع السابق نفسه ، ص250 .
11. جوزيف نسيم يوسف . دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1988، ص135 .
12. سالم يفوت . ابن حزم والفكر الفلسفي في المغرب والأندلس . المركز الثقافي العربي ، بيروت 1986 ، ص 35 .
13. سالم يفوت . حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي . المركز الثقافي العربي ، بيروت 1989 ، ص25 .
14. ميلاد المقرحي . مرجع سابق ، ص61 .
15. عماد الدين الكاتب . الفتح القسي في الفتح القدسي . تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح ، القاهرة 1965 ، ص512 .
16. هربرت جون ولز . مرجع سابق ، ص206 .
17. المرجع السابق نفسه ، ص208 .
18. حميد دولاب ضيدان . الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية : منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، سبها 1993 ، ص95 .
19. عبدالعزيز محمد الشناوي . أوربا في مطلع العصور الحديثة . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1985 ، ص31 .
20. ميلاد المقرحي . مرجع سابق ، ص62 .
21. هربرت فيشر . أصول التاريخ الأوربي الحديث : من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية . ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبدالرحيم مصطفى . دار المعارف ، القاهرة د.ت ، ص12 .
22. يسري عبدالرزاق الجوهري . الكشوف الجغرافية . دار النهضة العربية ، بيروت 1984،ص91 .
23. عبدالعزيز محمد الشناوي . مرجع سابق ، ص63 .

24. عبدالعزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعنعي . التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية . دار النهضة العربية ، بيروت 1986 .
25. المرجع السابق نفسه .
26. عبدالعزيز محمد الشناوي . مرجع سابق ، ص52 .
27. المرجع السابق نفسه .
28. عبدالمجيد نعنعي . مرجع سابق ، ص16 .
29. ول ديورانت . قصة الحضارة . الجزء 19 ، ترجمة محمد بدران وآخرون ، جامعة الدول العربية ، القـــاهرة 1967 ، ص243 .
30. ميلاد المقرحي . مرجع سابق ، ص37 .
31. لويس عوض . ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية . مركز الأهرام للترجمة والنشر ،القاهرة 1987 ، ص73 .
32. عبدالعزيز محمد الشناوي . مرجع سابق ، ص71 .
33. ميلاد المقرحي . مرجع سابق ، ص53 .
34. نور الدين حاطوم . تاريخ عصر النهضة الأوربية . دار الفكر 1968 ، ص74 .
35. عبدالعزيز محمد الشناوي . مرجع سابق ، ص90 .

بعض من ملامح النشاط التجاري والنظم السياسية لعرب جنوب شبه الجزيرة العربية في بداية عصر التدوين

د. مهيوب غالب أحمد *

قامت في الزاوية الجنوبية الغربية من قارة أسيا وتطورت حضارة عربية أستمرت آلاف السنين ونسجت عند ملتقى الألف الثاني والأول ق.م وحتى منتصف الألف الميلادى الأول علاقات تجارية مع مناطق العالم القديم آنذاك، ولكن هذه الحضارة لم تدرس بشكل واف مع أن الحفريات الأثرية بدأت في السنوات الأخيرة بالتنقيب وبشكل مكثف عن كنوزها في المحافظات الشرقية والشمالية الشرقية في أراضي الجمهورية اليمنية ، وفي مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية.

وقد تميزت حضارة بلاد العرب الجنوبية عن سواها من حضارات العالم القديم بميزتين رئيستين ، الأولى : إنها سيطرت لأكثر من ألف عام على تجارة البخور والطيوب . تلك السلع التي حظيت بإقبال شديد في بلدان العالم القديم ، حوض البحر المتوسط ومصر وبلاد الهلال الخصيب. والثانية : هي أن بلاد

* استاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمار

العرب الجنوبية ، أتبعت في نظام حكمها أسلوب الدورة الإنتخابية للحكام ، وهو ما يشبه– إلى حد كبير – أنظمة بعض بلدان العالم المتمدن حالياً ، وحصرت الحكم في كل من سبأ وقتبان– على مدى حوالي 700عام – بين قبائل محدودة كانت تتداول السلطة فيما بينها وفق نظام صارم لا يمكن الخروج عنه.

ولا بد كذلك من إعطاء صورة تنويرية عن طرق القوافل التجارية البرية منها ، والتي كانت تقطع شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال وعلى العكس والبحرية بعد إكتشاف نظام الرياح الموسمية الجنوبية (التجارية) التي ادت الى تحول طرق القوافل التجاريه من البر الى البحر, الامر الذي اثر سلباً على المدن العربية الجنوبية الداخلية التي كانت تنتفع من ضرائب مرور تلك القوافل ، مثل مدن سبا ومعين ، وكذلك المطامع الأجنبية من أجل السيطرة عليها.

تجارة البخور عند العرب الجنوبيين والأطماع الأجنبية للسيطرة عليها

شبهت المستشرقة الروسية نينا بيجولفسكايا (NINA PIGULEVSKIA) بلاد العرب الجنوبية بأنها (نقطة مرور في طرق القوافل التجارية)[1] ولربما عكس هذا التشبيه – إلى حد كبير – موقع العربية الجنوبية فيما يتعلق بطرق القوافل التجارية الدولية القادمة من مناطق حوض المحيط الهندى وشرق أفريقيا والمتجهة نحو بلدان الهلال الخصيب وحوض البحر المتوسط، التي حملت البخور والطيوب والتوابل، وهي سلع كان لها إقبال شديد في مناطق العالم القديم ، ولم يمارس سكان العربية الجنوبية مهنة تجارة تلك السلع ومرافقة القوافل التجارية فقط ، وإنما زاولوا النشاط الزراعي والعناية بأشجار البخور واللادن والمر والطيوب الأخرى والتي كانت تغطي مساحة كبيرة من بلاد العرب أنفسهم وكذلك الجزر المجاورة ، مثل جزيرة سقطرى .

تقع غابات أشجار البخور شرق المملكة الحضرمية في أقليم ظفار[2] .وكانت المنطقة يملكها أفراد الأسرة المالكة الحضرمية ، الذين بلغ عددهم ما بين ألفين وخمسمائة إلى ثلاثة آلاف نسمة حسبما ذكر بلينوس (PLINUS) الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي (NATURAL HISTORI) وكانت مغلقة أمام الزائرين. وكان يتم جمع المحصول مرة أو مرتين في العام ، يقوم به أفراد مسجونون ومحكومون بتهم مختلفة.

وكان أولئك الأفراد يتعرضون للموت بعد موسم أو أكثر نظراً لإنتشار الأوبئة والأمراض– كما لزواحف والبعوض والحشرات الأخرى– في منطقة الإنتاج . ينقل المحصول بعد جمعه عبر منفذين أو ثلاثة إلى الحاضرة الحضرمية شبوه. ثم يُبدأ فتح المزاد للبيع في السوق العام– هناك – فإذا ما بيعت البضاعة عبئت في أكياس جلدية بعد خصم ضرائب المعبد ، ومن ثم تنقل على ظهور الجمال إلى "قنعا" حاضرة القتبانيين أو إلى " قرناو" حاضرة المعينيين التي يصل إليها تجار من غزة ومصر وجرهاء ، وإذا ما ابتاعوا بضاعتهم التي يريدونها قفلوا راجعين إلى مناطقهم.

منذ منتصف الألف الأول ق.م أصبح المعينيون هم الذين يرافقون القوافل التجارية من المنبع أو موانئ الوصول حتى سوق الإستهلاك ، وتمكنوا من إزاحة التجار الأجانب ليحلوا محلهم في القيام بالعمليات التجارية الداخلية والخارجية.

وهكذا هو الحال بالنسبة للبخور الذي ينتج في الأراضي القتبانية ، إذ يتم جمعه وإرساله إلى تمنعأ– وفيها وجد سوق عرف بأسم سوق شمر– ويفتح المزاد هناك– للبيع. وعند اتمام البيع ودفع الضرائب المستحقة للملك والمعبد يعطي التاجر المشتري ترخيص شحن ونقل البضاعة واخراجها من البلد إلى مناطق الإستهلاك. ولغرض تنظيم العمليات التجارية في سوق شمر، صدر مرسوم ملكي يعرف بأسم قانون قتبان التجاري[3].

وجوهر هذا المرسوم أنه ينظم حقوق الدولة القتبانية وحقوق التجار في مدينة تمنعأ سواء كانوا قتبانيين أم أجانب. وعلى التاجر الذي يدخل الحاضرة القتبانية أن يخضع لإجراءات وإلا فلن يتمكن من مغادرة (تمنعأ) للمتاجرة .وقد سلكت القوافل التجارية عبر أراضي بلاد العرب الجنوبية من الجنوب إلى الشمال وفي مناطق محددة– طرقاً لا يمكن الخروج عنها ، نظراً لوجود الخدمات الضرورية لمرورها – أمنية وغذائية ووجود طرق معبدة..الخ. فإذا كانت البضاعة قادمة من خارج البلد أي عبر البحار فإنها ترسو في ثلاثة موانئ ، أحدها ميناء قنا في الأراضي الحضرمية والأثنان الأخران ميناء موزا وميناء عدن في الأراضي القتبانية والسبئية. ولابد من مرور القوافل القادمة من موزا وعدن إلى تمنع ، ومرور القوافل القادمة من قنا إلى شبوه ، يتجه بعد ذلك خط السير من شبوه إلى تمنعأ–بشكل صارم– ومن هناك إلى مأرب وقرناو ونجران ومنها إلى قرية (المستوطنة السبئية في وادي الدواسر وسط الجزيرة العربية). وتتفرع من هناك إلى فرعين: إما شرقاً نحو الخليج إلى بلاد الجرهائيين ومنها بمحاذاة الساحل الشرقي لتخليج حتى مصب الفرات ومن ثم إلى بلاد الهلال الخصيب ، وإما شمالاً بمحاذاة الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة العربية إلى يثرب ومنها إلى أيلة ثم إلى غزة ومصر ومناطق حوض البحر المتوسط [4].

ونتيجة لوقوع أراضي إنتاج البخور و الطيوب ضمن مملكتي حضرموت وقتبان جعلا هدفا لأطماع جارتهم الشمالية مملكة سبا. حيث بدأت تتطلع إلى الإستيلاء على أراضي تلكما المملكتين أو إحداهما في الأقل كي تؤمن لنفسها – إلى جانب ضرائب مرور التجارة في أراضيها – مصدر دخل ثابت ومضمون من إنتاج وبيع البخور. مما أدخلها في صراع مكشوف مع قتبان بادئ الأمر ثم تطور بعدها إلى صراع بين مملكة سبأ من جهة وكل من معين وحضرموت وقتبان من جهة أخرى . ومن ثم أضعف هذا الصراع كل الأطراف، مما هيأ الفرصة لبروز قوى جديدة في الساحة ، انفصلت عن قتبان وسبأ هي المملكة الحميرية ، التي سيطرت على البلاد كلها طيلة ثلاثة قرون قبل ظهور الإسلام.

واجهت ممالك العرب الجنوبيين إلى جانب صراعها الداخلي مشاكل خارجية كثيرة ، ابرزها سعي الإغريق ورغبتهم في مشاركة العرب في الإنتفاع بتجارة البخور والطيوب وبقية التوابل عن طريق البحر الأحمر ، وامتداداتها التجارية في المحيط الهندي أو احتكارها وحرمانهم منها. ومنذ عهد الأسكندر المقدوني ، ازدادت هذه الرغبة اكثر فاكثر الى السيطرة على تجارة العرب وأحتكار تجارة الهند، وتحديدا بعد استقراره في بابل . فأرسل في عامه الأخير ثلاث بعثات بحرية كبيرة تجوب البحار وتتعرف على افضل المناطق القريبة من السواحل التي تحيط بشبه الجزيرة العربية، وكذا ملاءمتها للملاحة البحرية .

وبدأت هذه البعثات الملاحية رحلتها من الخليج العربي ، ولكنها لم تتقدم كثيرا، وكانت اكثر هذه البعثات نجاحاً هي تلك التي تراسها هيرون ((Hieron)) إذ وصلت حتى رأس الخيمة ((Maket)) . اما البعثات التي ارسلها الاسكندر المقدوني من مصر عن طريق البحر الاحمر فقد فشلت.

وبعد وفاة الأسكندر المقدوني بدأ تقاسم قادته العسكريون الامبراطورية التي اسسها.وكان من نصيب البطالمة ولاية مصر. وبذلك بدأ هؤلاء بدراسة السواحل المطلة على البحر الاحمر ، تنفيذاً لرغبة قائدهم الاسكندرالتي لم تتحقق في حياته ، ومن ثم لتحقيق مصالحهم في هذه المنطقة من العالم القديم[6] ويمكن إيجازالمرحلة الأولى هذه في دراسة طرق الملاحة البحرية بما يلي :

أ–أرسل أحد البطالمة ربما بطليموس الأول(PTOLIMUS) أو الثاني أحد قادته ، والذي كان يدعى أريستون (Ariston) في بعثة أستطلاعية للتعرف على سواحل بلاد العرب وطرق الملاحة في بحارها، فطاف بجزء كبير منها. وعند عودته الى مصر قدم تقريرا مفصلا إلى دولته عما شاهده في رحلته تلك[7].

ب–جددت في عصر البطالمة بعض الموانئ المصرية على البحر الأحمر ، وأنشئت موانئ أخرى ، حتى تستعد لأستقبال المزيد من تجارة البحر وتصديرها بعد إعادة شحنها من خليج السويس (مينا أرسينوي – ARSINI) ، وميناء (ميوس هرميوس – MIO HERMOS) قرب ميناء القصير الحالي وميناء (برينيكى – BRINIKI) إلى الشرق من أسوان[8] .

ج–تأمين السيطرة على خليج العقبة لكونه منفذ تجارةالبحر الاحمر(عن طريق ايلة في الشمال) والمتجهة برا الى بلاد الشام وما وراءها .

د– الاهتمام بالتواجد الحربي وزيادته في البحر الأحمر لتأمين السفن التجارية فيه، وتشجيع الوسطاء للتعامل معها، وصرفهم عن الإعتماد على نقل بضائعهم عن طريق السفن التجارية التي أمتلكها أو أشرف عليها العرب الجنوبيون والشماليون في شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن نشر نقاط الحراسة الثابتة على طول حوض البحر الأحمر.

هـ- تشجيع من يرغب من الأغريق على الإستيطان في موانئ البحر الأحمر و الجزر المنتشرة جنوبه وفي خليج عدن , وقد تكاثرت تلك العناصر الاغريقية وواصلت استيطانها حتى سقطرى في البحر العربي.وقد شاركت العرب والهنود في سكناهم وفي نقل تجارة الهند وتجارة سواحل شرق أفريقيا.

أدت تلك الخطوات المتابعة إلى نتيجتين مختلفتين على المدى البعيد بالنسبة لدول جنوب شبه الجزيرة العربية ، فأنتفع بها أهل السواحل وأزدهرت موانئهم الجنوبية والجنوبية الغربية ، مثل ميناء قنا في حضرموت وميناء عدن وميناء موزا في المنطقة التي تقاسمتها كل من قتبان وأوسان وسبأ(ثم ورثتهما حمير فيما بعد)، بينما تأثرت أقتصاديات الدول العربية الجنوبية الداخلية (سبأ ومعين ونجران وكندا) التي أعتمدت على ضرائب وخدمات قوافل الطرق البرية ، ولا سيما الطريق الرئيسي الممتد من جنوب شبه الجزيرة عبر الحجاز حتى العقبة وما وراءها في جنوب بلاد الشام وسيناء ومن ثم إلى مناطق الإستهلاك الأخرى، وإن ظل هذا التأثير في البداية محدوداً.

كان أهتمام البطالمة ينصب على أن تصلهم سلع البخور والطيوب والتوابل الأخرى من مصادرها مباشرة من غير وساطة العرب. أي أن رغبة البطالمة هي أن يحصلوا على سلع الهند وشرق أفريقيا مباشرة من غير أن يكون للعرب دور في ذلك عبر الطريق البحري من الموانئ الهندية والأفريقية إلى الموانئ المصرية مباشرة . حينئذ وجهوا جل أهتمامهم كي تصل سفنهم إلى هناك . وإن كان لابد من المرور بالموانئ العربية الجنوبية ، فذلك من أجل التزود بمياه الشرب والمواد الغذائية[9] .

وسجل الباحثون أولى الرحلات التي نجحت في تحقيق هذه الرغبة . ترأسها البحاره الاغريقي الذي كان يدعى (يودوكس الكيزيكي EudKs of Cy-cus)[10] ،وبلغ بهذه الرحلة الهند حوالي عام 117ق.م.ثم تعددت بعد ذلك الرحلات الأغريقية والبطلمية، وتمكن القبطان الأغريقي (هيالوس Hippalus) الاهتداء الى إستخدام نظام الرياح الموسمية الجنوبية (التجارية)خلال الصيف ، (من يونيو إلى أكتوبر) في تقصير أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى سواحل الهند في عرض المحيط مباشرة من غير الإلتزام بخطوط السواحل الطويلة . وبعد البطالمة ظهر منافس اكثر دهاءً منهم ، تمثل في طموح الرومان في عهد الإمبراطور أغسطس الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم من غير منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م. ولم يكتف أغسطس (AUGUST) بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه الأغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر ، ولكنه أراد أن يقصي العرب عن هذه التجارة بالكامل أو أن يجعلهم تابعين له في العمل لصالحه فيها، أو أن يسيطر على أراضيهم بجيوشه. وكانت الصورة الأسطورية التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء العرب ، قد شجعت هذه الرغبة في الغزو والسيطرة على بلاد العرب الجنوبية.

فقد كتب الرحالة الجغرافي أسترابون (STRABO) في عصره يقول : ((إن السبئيين كانوا أكثر ثراء نتيجة لتجارتهم في المواد العطرية . ولهذا توفرت لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة ، كالأسرّة والموائد الصغيرة والأواني والكؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها وجدرانها وسقوفها مختلفة الألوان ،ويرصعون بعضها بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة ..الخ))[11] كان هذا التصوير كافياً لأثارة أطماع الرومان الطموحين إلى السيطرة على التجارة الشرقية بأكملها . وبذلك كان هدف الإستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية بالنسبة للرومان يعني السيطرة على البحر الأحمر كله وتحويلة الى بحيرة رومانية ، ليتم السيطرة على مناطق انتاج البخور وطرق تسويقه[12] . ولم يعدم الرومان من تقديم المبررات لأطماعهم ، وقد صور أسترابون بعضها فأدعى أن أهل العربية السعيدة[13]، كانوا يحصلون على أرباح هائلة من تجارتهم مع الأغراب الإغريق والرومان. فلا يتركون لهم ولا للبلاد التي ينقلون تجارتهم إليها مجالاً للكسب أو الثراء[14]. وهكذا صدر أمر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه في مصر اليوس جالوس (AUIUS GALUS) للقيام بمهمة (تأديب العرب) أو احتلال أراضيهم. وكان ذلك تحقيقاً لحلم قديم كان قد راود الإغريق قبل الرومان منذ ايام الإسكندر الأكبر فترأس جالوس الحملة العسكرية الرومانية من مصر وأنطلق منها من ميناء برينيكي(BRINIKI)- شرق أسوان- عبر البحر الأحمر حتى ميناء لويكي كومي. (Leuke Kome). وقد وصلت القوات الرومانية اليه بعد خمسة عشر يوماً من الرحيل في البحر . ولنا ان نتصور مقدار الأهوال التي لقيتها تلك القوات . كان عدد القوات يبلغ حوالي 130 سفينة (تاريخ الحملة كان عام 24/25 ق.م.، وبعضهم يرى انها كانت بين عامي 25/26ق.م)[15]، وفي ميناء لويكي كومي(ينبع الحالية) أنضم إليه عدد من اليهود ومن بينهم عرب الأنباط بقيادة شخص كان يدعى صالح . فقد كان اغسطس يعلق اهمية خاصة على حليفه ملك الأنباط عباده الثالث في تزويده بقوات لها معرفة بالبلد ومسالكها . قد كان العرب الأنباط واليهود حوالي (1500فرد)[16]. سلك جيش جالوس بعد ذلك طريقاً برياً بمحاذاة ساحل الحجاز وقامة في طريقها الى جنوب شبة الجزيرة العربية ، وخربت الحملة في طريقها مدناً كثيرة. وعندما وصلت إلى الجنوب بدأت بتخريب مدن مملكة معين التي أصبحت سبأ مسؤولة عنها فيما بعد . وروى أسترابون-الذي رافق الحملة- أن (يثل) [17] فتحت أبوابها دون مقاومة حين أقتراب الرومان منها. ثم دمر الرومان مدن (نشق- البيضاء) (ونشان - السوداء) وكمنة (خربة كمنه) وحاصروا مدينة مأرب . لكن حملتهم باءت بالفشل ،ولم تستطع التقدم نحو مأرب إلا بمسافة بعيدة عنها. وفقدت كثيراً من سفنها ورجالها.

ونظراً إلى عدم توفر مصادر حول هذا الحدث ، فقد اعتمد الباحثون على معلومة استقوها من استرابون الذي حاول ان يلقي باللوم والمسؤولية على القائد النبطي بفشل الحملة الرومانية .

أسباب فشل الحملة:

يرجع أسباب فشل الحملة الرومانية إلى عدة عوامل ذكر أسترابون بعضها، منها عدم كفاءة جالوس في قيادة قوة بحرية وتنظيم أسطولها، بحيث فقد كثيراً من سفنه قبل أن يصل بها إلى ميناء لويكى كومى. وإنفاقه أغلب وقته وجهده في إعداد جيش بحري لم يكن له ضرورة ملحة في حملته ، لأنه لم يكن من المنتظر أن يقاتله العرب في البحر، ثم سيره بجيشه عبر مسالك صحراوية وجبلية طويلة فيما بعد. تلك المسالك تمتد إلى نحو 2000كم من الميناء المذكور حتى داخل أراضي العرب الجنوبيين . كما يعزو استرابون فشل الحملة الرومانية الى خيانة الوزير النبطي سابقاً . وكذلك قلة المياه خلال حصارها لمدينة مأرب ، فضلاً عن تفشي الأوبئة بين صفوف قوات جالوس ، ومن ثم وصول تلك القوات الى مأرب منهكة القوى بعد رحلة استمرت حوالي ستة اشهر ، وإذا زدنا شيئاً على ماسبق ذكره فهو يعود إلى التحصينات الشديدة للمدن العربية الجنوبية ومدينة مأرب تحديداً ، موضع الإعتبار .ثم المقاومة العربية الجنوبية للحصلو الروماني ، والتي كان لها دور فعال في الحاق الهزيمة بالقوات الرومانية .واخيراً احتمال تفسير عدم اخلاص الدليل النبطي للرومان ، ربما تشده الرغبة في الوفاء لبني عمومته العرب . ويبدو لنا واضحاً ان الجغرافي الإغريقي استرابون لم يرافق صديقة (قائد الحملة) اليوس جالوس في تلك الحملة الى اليمن – بدليل اهماله ذكر الكثير من المناطق ، ومن ثم الخلط الواضح بين اسماء بعضها ، مما يبدو انه استقى معلوماته مما سمعه من الجنود الرومان الذين شاركوا في الحملة[18] .

ومهما يكن من أمر هذه الحملة فأن ممالك العرب الجنوبيين بعد ذلك التاريخ عاشت فترة اضطراب سياسي، وربما كانت الحملة العسكرية الرومانية أحد أسبابه.مما أثر بصورة سلبية على سير حركة القوافل التجارية البرية التى كانت تجتاز أراضي العرب الجنوبيين والشماليين من الجنوب إلى الشمال وعلى العكس . ومع أن إستمرار المدن الواقعة على السواحل (الجنوبية الغربية) في الإزدهار الإقتصادي والتجاري، إلا أن المدن الداخلية تأثرت بصورة ملحوظة جداً وتحولت عنها التجارة فيما بعد نهائياً.

وبدأت في الربع الثاني من الألف الميلادى الأول تنمو وتزدهر مدن الحجاز تجارياً وأقتصادياً– ظهر ذلك بجلاء في القرن السادس الميلادي – بسبب توفر عوامل أستقرار كثيرة ليس هنا مجال ذكرها.

مبدأ توارث السلطة لدى العرب الجنوبيين:

كان ذكر السبئيين في المصادر والأدبيات القديمة مرادف لذكر سكان بلاد العرب الجنوبية بشكل عام. فحيثما يرد ذكرهم – هنا– أنما المقصود بذلك سكان المناطق الجنوبية . ذلك أن سبأ هي التي أشتهرت وعلى مدى حوالي سبعمائة عام (من منتصف الألف الثاني وحتى بداية الربع الثاني للألف الأولى ق.م.) من غير سواها في مناطق العالم القديم ، أستناداً على ماجاء ذكره في حوليات الملوك الأشوريين وما جاء في القرآن الكريم وكتاب العهد القديم. وقد ورد ذكر السبئيين في نصوص آشورية عام 720 ق.م.أثناء

حكم الملك سرجون الثاني وفي عام 695ق.م. أثناء حكم الملك سنحاريب ، وكلها تتحدث إما عن تقديم هدايا لأولئك الملوك من الحكام اليمنيين القدماء(تسلم بوساطة مرافقي القوافل التجارية) وإما عن تقديم أتاوات . ثم يأتي بعد ذلك ذكر السبئيين في القرآن الكريم وتحديداً بصورة جلية واضحة بسوريّ سبأ والنمل. على أنهم قوم لهم حضارة متطورة وذوو قوة وبأس وأن أمرهم شورى بينهم[19] وورد ذكر السبئيين في أسفار متعددة من كتاب العهد القديم، منها ما يشير إلى نسبهم ومنها ما يلقي الضوء على تجارتهم.[20] كما ذكر السبئيون في المصادر الوصفية الكلاسيكية ، مثل كتابات هيرودوت واسترابون وبلينوس وديودور الصقلي وغيرهم. وقد نقل استرابون عن روايات اراثوسفين : أن السبئيين جيران لبني معين من الجنوب ، ولمملكة حضرموت من الغرب ، ولأوسان من الشمال .وبذلك يكون قد حدد لنا الأراضي السبئية — بالضبط- في إحدى مراحل تاريخهم .

وعندما يتحدث أسترابون عن مبدأ توارث السلطة لدى عرب الجنوب ، يقول : المملكة عندهم- في العربية الجنوبية- يتوارثها ليس الإبن عن أبيه ، ولكن إبن شخص ما من النبلاء (الشيوخ أو الأشراف) أي الولد الذي ولد بعد بداية حكم الملك المنتهية مدة ولايته. وبعد تنصيب الشخص المعني في الحكم ،يضعون كشفاً بالنساء الحوامل من أفراد الطبقة الحاكمة ويتركون عليهن حراسة من أجل مراقبة من التي ستلد أولاً من تلك النساء ؟ وبموجب القانون يؤخذ هذا الوليد وتبدأ فترة تربيته على الطريقة الملكية باعتباره خلفاً مستقبلياً[21].

ويقف أمام الباحثين موضوع تأكيد هذه الحقيقة، والذي يجب أن يكون وفق معطيات المادة الأبيقرافية.[22] المعروف أن أسترابون أعتمد في أستنتاجاته تلك على معلومات أستقاها من أراثوسفين. فضلاً عما سبق ذكره تم وضع جدول زمني لتداول السلطة بين مختلف العشائر التي كانت تتولى الحكم في بلاد العرب الجنوبية.أن ذلك الترتيب الزمني الذي أخذ عن أراثوسفين لا يتطابق إلا مع ظروف وأنظمة مملكتين من ممالك العربية الجنوبية القديمة . تلكما الدولتان هما سبأ في مرحلتها المبكرة وبحدود أقل مملكة قتبان.

ولعل أبرز الصعوبات التي تواجهنا في تتبع ورصد سلسلة نسب ملوك اليمن القديم وأنظمة الحكم فيها هي قلة المصادر- والتي لا يمكن لأسباب كثيرة الإعتماد عليها بصورة نهائية - في تاريخ المنطقة كلها، ومع ذلك فأن ما هو متوفر لدى الباحثين، يسمح لهم بتقسيم تاريخ مملكة سبأ- مثلاً- إلى مراحل متعددة.أبرزها ما كان يعرف قبل عصرنا بأسم حقبة حكم المكاربة (أو المكربين) التي تنتهي على وجه التقريب عند منتصف القرن الثامن ق.م. وهي الحقبة التي تمتد من منتصف الألف الثانية ق.م. وفيها تم أرساء نظام قبلي كان يتوارث(أو يتداول) السلطة بشكل صارم، باعتبارها محصورة بين ثلاث قبائل رئيسة في سبأ. والقبائل هي : قبيلة حزفر كبير خليل وقبيلة حذمة وقبيلة فضخم. كانت هذه القبائل تستكمل

دورة تتداول فيها السلطة كل إحدى وعشرين سنة ، أي كل منها تأخذ فترة سبع سنوات بأستثناء مرة واحدة أستمرت فيها الدورة الكاملة سبعاً وعشرين عاماً[23]. ويفهم من النصوص أن عهود المكربين كانت تؤرخ أحداثها بنيابة شخص ذي صبغة دينية ، يلقب بلقب(Eponymos) وهو مصطلح يترجمه فريق من المختصين بأسم (رشو) ، أستخدم(Eponymos) من أجل وضع (أقرار أو تثبيت) ترتيب وتتابع للأحداث ، ولكن (Eponymos) كذلك هو أسلوب وضع كشف بأسماء أشخاص يؤدون في الوقت نفسه وظائف مختلفة : اقتصادية ودينية وحكومية مثل: إستخدام الأراضي وتخطيطها ، وتقديم القرابين للإلهة، وإقامة الحفلات الدينية ، والتعاويذ ، وبناء وتشييد المباني الحكومية ، والمعابد الدينية ، وقنوات الري ، والدفاعات العسكرية ، فضلاً عن إصدار المراسيم والقوانين .

وبموجب قانون توارث السلطة (أو تداولها)تم وضع سجل للمواليد وتحديد عمر كل جيل حسب الدورة الإنتخابية.

ووجد –أيضاً –نظام نقل السلطة بحسب الأجيال(وتحديداً بحسب عمر الطبقة) ، في دول شرق أفريقيا، كان يعرف بأسم"NDUGU" (أي الثبات مع أعطائه مسحة خارجية)[24] . لقد أستمر هذا النظام – هناك– حتى القرن التاسع عشر الميلادى.وإذا أخذنا في الأعتبار علاقات شرق أفريقيا القديمة مع العربية الجنوبية (اليمن القديم) فأنه في هذا يمكن " أن نلاحظ تشابهاً أكثر في تطابق بسيط تصنيفي"[25]. ونلاحظ– في قاعدة "NDUGU" تأثير مؤسسات الدولة القتبانية المباشرة. وبهذا الشكل يمكن نقل ما ظهر في أولى الدول الأفريقية الشرقية إلى الألف الأول ق.م. والتي أتجهت نحو التجارة الخارجية وحرمت من الدوافع الداخلية للتطور المستقبلي ، وعاشت حوالي ألفي عام من غير تغيير. وأقرت مبادئ غير عادية لتوارث السلطة في عدد من المجتمعات الأفريقية القديمة منها والحديثة ، وعدد من بلدان الشرق القديم. ويلاحظ فيها إما نقل السلطة حسب خط الأمومه واما (فرترنيتيت)[26] أي انتقال السلطة بحسب تسلسل الأخوان وأحياناً بحسب التسلسل العشائري.

وبالنظر إلى شجرة انساب السبئيين فأننا نرصد ثلاث مجموعات لأسماء العلم، وكذلك لألقاب تتكرر جزئياً أو كلياً في مختلف المجموعات ، وتمتلك خصائص متشابه في الإستعمال ، وبعضها – أو أكثرها– يمنع على العامة أستخدامها وتقتصر فقط على الحكام . ويستعملها الملوك وأعضاء مجلس الأعيان(الأشراف)وأعضاء الأيبونيم(الرشو) والقادة العسكريين ونواب الملك في الوحدات الإدارية الأخرى[27]. وتشبه– كما يبدو– النعوت الملكية الحالية والألقاب ،مثل صاحب السمو، جلالة الملك، ولي العهد والأمير وهكذا . وهذه الأسماء هي:–

1/القتبانية :- أ. الأسماء الممنوعة على أفراد العامة : شهر يدع أب ، وروايل ولربما سمـــح وتـــر (Shryd b ,Wrwl and Smhwtr).

ب.الأسماء المتشابهة مع أسماء الملوك السبئية:- ذمار علاي ، وسمح علاي (Dmr ly and Smh ly).

ج.الأسماء العامة التي كانت تقابل أحياناً لدى أشخاص أخرين: هوف عـــم ، وينبطم (hwf'm and Ynbtm).

2/ الأسماء السبئية، وتنقسم إلى أسماء أباء ، وأسماء أبناء ، ثم أسماء متداراة عموماً وهي:- علـــى التتابع أ.أب شبم ، وذرء كرب ، ويذمر وفارغ كرب، (bsbm,Drkvb,Ydmr MLK and Fr kb).

ب.مرثدم ، ونبط عم ، وهوف عثت ، وبعم ، ولربما وهب عم ، وشهرم (Mrtdm,Nbt'm,Hwf'tt,B'm,Wh'b'm and Shrm).

مع ملاحظة التمييز بين الأسم الملكي شهر(Shr) والأسم العام شهرم(Shrm)[28].

وتواجه الباحثون مشاكل كثيرة في معرفة وتحديد هذه الأسماء بدقة نظراً لعدم خضوعها لـــترتيب زمني دقيق .فضلاً عن عدم العثور على كشف بالأسماء كلها كي يتم عمل ترتيب لهـــا بحســـب الأقدميـــة والخروج بأستنتاجات منطقية حولها.كما تواجههم-أيضاً- مشكلة تحديد أسماء أقـــارب الحكـــام: الأبـــاء والأخوة وغيرهم. بل أحياناً يحمل أخوان الحكام أسماء غير محددة. ولا يعني- مع ذلك- الأسماء المذكـــورة فيما سبق والمفصلة لدى العشيرة أو العشائر الحاكمة.

الهوامش والتوضيحات :-

(1) نينابيجو ليفسكايا؛ بيزنطا في الطريق إلى الهند. موسكو- لينينجراد 1957،ص415.

(2) وهو الإقليم الذي ما زال يحمل الأسم نفسه إلى الآن ، ويقع حالياً ضمن الأراضي العمانية .

(3) منشور هذا القانون في مجمع النقوش السامية الصادر في باريس عام 1929-1950م ، موسوم برقم RES 4337 . وقد أخذ النص من كتاب للباحثة السوفيتية نينابجو ليفسكايا : الشرق الأدنى وبيزنطة ؛ لينينجـــراد 1976م ، ص217-221 .

BLIJNI VASTOK, BIZANTAI, SLOVIAN, LININJRAD, 1976 (IN RASSION LANG) , REPERTOIRE D EPIGRAPHIE SEMITIQUE, PARIS, 1929-1950 .

(4) أنظر : مهيوب غالب أحمد ، العلاقات الدولية لبلاد العرب الجنوبية في الألف الأول ق.م ، رسالة ماجســـتير (غير منشورة) ،جامعة موسكو ، كلية التاريخ ، قسم التاريخ القديم 1986م ص19-40 .

(5) كتب ديودور الصقلي أن البطالمة عنوا كذلك بالتجارة مع بلاد العرب الجنوبيين وبلاد بونت على شاطئ الصومال . إذ كان في قبضة العرب أغلب البضائع القادمة من الأقاليم النائية خاصة من الهند . وكانت تصدر الأرز والعاج والأصداف واللآلئ والأصباغ وأنواع البهارات ((iii, 42-48)) ؛ أنظر أيضاً : عاصم احمد حسين ، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة ، القاهرة 1991م ، ص.214 .

(6) حسن صالح شهاب؛ فن الملاحة عند العرب . مركز الدراسات والبحوث اليمني-صنعاء-بيروت الطبعة الأولى ، ص39.

(7) المرجع نفسه؛ وكذلك د.جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.ج2؛بيروت؛ الطبعة الثانية؛ص22-26.

(8) أنظر : عبدالله الشيبه ، دراسات في تاريخ اليمن القديم ، مكتبة الوعي الشوري – تعز ، الطبعة الأولى 1999-2000م ،ص.18 .

(9) **Shitomi.on The Date of composion of the periplus maris Erythraei,A Stuth Arabiau Epigraph Evidence. Tokoyo-Bonco,34,1976,p.15-45.**

(10) عبدالله الشيبه ، دراسات .... ، المرجع السابق ، ص.18-20 ؛ د.جواد علي ، المفصل...، المرجع السابق ، ص26.

(11) Strabo xvi ,209– وكذلك جواد علي ، المفصل...، المرجع السابق ص44.

(12) انظر اسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) ، عمان 1996،ص196.

(13) قسم أرثوسفين (276-194ق.م) بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام : العربة الصخرية وتظم القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية (أي منطقة الأنباط) ، والقسم الأوسط هو ما سماه بالعربية الصحراوية ، والقسم الجنوبي وهو الذي سماه بالعربية السعيدة (بلاد العرب الجنوبية) . نقلاً عن حسن صالح شهاب في : أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص31 .

(14) انظر اسمهان الجرو ، موجز التاريخ السياسي ... ، المرجع السابق ، ص.196-197

(15) انظر ك. روبان ، الممالك المحاربة في كتاب : اليمن – في بلاد ملكة سبأ ، تعريب بدر الدين عروكي ، مراجعة ، يوسف محمد عبد الله ، دمشق 1999م ، ص180.

(16) انظر اسمهان الجرو ، موجز التاريخ السياسي .... ، المرجع السابق ، ص.201.

(17) يثل : إسم كان يطلق عن الحاضرة المعينية في تلك المرحلة ، وفي ما بعد أصبحت قرنار .

(18) Strabo xvi ,209– وكذلك حوراني ج.ف. ؛ العرب والملاحة في المحيط الهندي . نقلاً عن حسن صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، المرجع السابق ، ص.40؛ جواد علي ، المفصل...، المرجع السابق ص.43،46.

(19) ذكر السبئيون في القرآن الكريم في سورة النمل الأيات 22-24.((لقد كان لسبأ في مسكنهم أية جنتان عن يمين وشما..)) الأية 15 من سورة سبأ(34) .

(20) جاء ذكر السبئيين في : الإصحاح العاشر من سفر التكوين (فقرة 7) : أن سبأ من ابناء حام ، وفي مكـــان آخر من الإصحاح نفسه (فقرة 26) أن سبأ من بني يقظان من احفاد سام . وأشارت أســـفار أخـــرى إلى أرض السبئيين ومحاصيلهم التجارية . مثلاً في الإصحاح السادس (أرميا–فقرة 3) أن أرضهم تنتج اللبان .

(21) لوندين ا.ج السلطة في سبأ . مجلة مروى ، الصادرة عن معهد الإشتراق التابع لأكاديمية العلوم الســوفيتية (الروسية حالياً) لعام 1977 ص278–281.

(22) الإبيقرافية (المادة النقشية) وتعني علم دراســة النقــوش . وهــي مــأخوذة مــن الكلمــة اللاتينيــة (EPIGRAPJICA) .

(23) لمزيد من التفصيل انظر أفرام لوندين ، دولة مكربي سبأ (الأيبونيم السبئي) ، دار العلـــم موســكو 1971م ،الفصل الثالث ، ص.79–135.

(24) لوندين ، السلطة في سبأ... المرجع السابق ص.280.

(25) المرجع نفسه،ص.280.

(26) فراترنيتيت (fratarnitite) : نظام انتقال السلطة بحسب الإخوان ، أي بحسب تسلســـل الإخـــوان (وربما بحسب الانتقال العشائري) .

(27) لوندين ، السلطة في سبأ ... ، المرجع نفسه،ص.279.

(28) المرجع نفسه ، ص.279 .

مديرية عتمة

شواهد أثرية وتاريخية (*)

د. جمال الدين أدريس *

مقدمة :

أن استخدام الإنسان للوسائل الصناعية في السيطرة علي الطبيعة وتسخيرها تلبية لاحتياجاته المتزايدة أدى إلى إلحاق الضرر بالبيئة الطبيعية والإنسان نفسه على حد سواء . ولهذا تداعت الأصوات الخيرة من أجل إقامة المحميات الطبيعية على المستوى العالمي بهدف إنقاذ وحماية الإرث الحضاري للإنسان والحياة البرية والبيئية عموماً .

ومن هنا تأتي أهمية اللجنة المكلفة بمشروع مديرية عتمة باعتبارها محمية طبيعية ، ويوازيه في الاهتمام تلك الاستجابة المقدرة لجامعة ذمار لقيامها بأجراء الدراسة العلمية والميدانية لمديرية عتمة الأمر الذي يعكس اهتمامها بنشر الوعي العلمي والثقافي ليس في نطاقها الجغرافي فحسب بل على المستوى اليمني .

وباعتباري شاهدا ضمن اللجنة المكلفة من جامعه ذمار ، يمكننا القول بلا تردد أن هذه المديرية تمتلك مقومات المحمية الطبيعية ، ولا سيما أن تنوعها البيئي والمناخي قد انعكس بسلاسة على ملامح شخصيتها

---

* استاذ مساعد ، قسم الآثار والمتاحف ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمار

التي تزخر بالمخلفات والشواهد التاريخية والأثرية التي تعبر عن تطور الحضارة اليمنية الضاربة في أعماق التاريخ .

وسنحاول في هذا المبحث أن نصوغ ملامح عجلى لثروتها الحضارية ، علها أن تلقي بها في دائرة اهتمام الباحثين في مجالي الحضارة وإقامة المحميات ، وشاهدنا على ذلك هو ندرة تناولها في المراجع العلمية .

وعلى النقيض من ذلك تماما فقد لاحظنا خلال أيامنا الثلاثة في العمل الميداني كثافة في المخلفات الأثرية، ولذا فأن جملة ما توصلنا إليه لا يعدو أن يكون مسحاً وحصراً بشكل عام ، والذي نأمل أن يرسي الخطا لحفر علمي في المستقبل.

ولا يفوتنا أن نستميح القارئ عذرا ، فأنه لأسباب فنية لم نستطع الحصول على التوثيق الفتوغرافي المصاحب لهذا العرض .

إشكاليات تاريخية :

يزخر اليمن بثروة أثرية هائلة ، وهي بلا شك جزء من الإرث الحضاري لليمن وللعالم أجمع . وما كشف منها حتى الآن لا يمثل إلا جزءاً يسيرا ، وما تزال أكثرها في باطن الأرض تنتظر المهتمين من اثاريين ودراسين مسحاً وتنقيباً ، وتتجلى مظاهر هذا الواقع في وجود حلقات تاريخية مفقودة في تسلسل التاريخ اليمني ولهذا يواجه الباحثون تحديا كبيرا يتمظهر في إشكالية الكتابة الكرونولوجية لتاريخ اليمن والقديم منه بشكل خاص والإسلامي ، وتتضح أولى مظاهر هذه الصورة في تقسيم تاريخ اليمن السياسي وفق المنظور الديني ، وهو تاريخ اليمن قبل الإسلام ، وتاريخ اليمن الإسلامي . وفي الأخير يعد التقسيم لا غبار علية إذ أن الإسلام قد أتى بحركة فكرية وحضارية ، أما تاريخ اليمن قبل الإسلام يقصد به التاريخ القديم عموماً، ولهذا فأنه يعبر عن اختزال اصطلاحي مخل ، إذ يدمج بين دفتيه أطول فترة تاريخية في عمر الإنسان ، ألا وهي عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية إذ أن كل عصر فيها يختلف عن الأخر بإنجازات حضارية وتاريخية مما استوجبت التقسيم الإضافي المذكور أعلاه حتى اصبح متفقا علية، بين دارسي التاريخ وعلم الآثار وكافه العلوم الاجتماعية الأخرى .

واستلهاما لهذه الإشكالية التي نعتقد أنه قد توفرت أدله تستوجب مواجهتها[1] فقد كانت خطة عملنا الميداني في مديرية عتمة تتناول هذه المشكل ، وذلك على هيئة ثلاثة محاور هي :-

أولاً :اليمن في عصور ما قبل التاريخ .

ثانياً : اليمن في العصور التاريخية.

ثالثاً : اليمن في العصر الإسلامي .

اليمن في عصر ما قبل التاريخ :

في هذا المحور بذلنا جهداً كبيراً للعثور على أقدم الأدلة الأثرية لاستيطان الإنسان القـديم في أرض اليمن في مديرية عتمة .

ونقصد بعصور ما قبل التاريخ تلك العصور السابقة لمعرفة الكتابة التي ظهرت حوالي منتصف الألـف الرابع ق.م في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل .

ومن هنا يمكننا أن ندرك كم هي طويلة تلك العصور خاصة إذا علمنا أن أول ظهور للإنسان يقـدر بحوالي ثلاثة ملايين سنه . هذه العصور تمثل أطول فترة في تاريخ البشرية ، حيث استطاع الإنسان خلالهـا السيطرة على الطبيعية وتكييفها واستصلاح الأرض ، وتدجين الحيوان وتربيته ، ومن ثم أنتقل إلى مرحلـه الاستقرار الدائم (بإنشاء القرى وقيام النظم الاجتماعية الخ ...) محدثا بذلك أول ثورة اقتصادية في تـاريخ البشرية لولاها لما قامت الحضارة الإنسانية ، ومن ضمنها حضارات الممالك اليمنية القديمة .

تتمتع مديرية عتمة بمناخ وبيئية طبيعية تتميز بخصوبة التربة وبمعدلات جيدة لسقوط الأمطار ومـا يتبعها من تنوع زراعي وحيواني وغطاء نباتي . يتفق هذا الواقع مع رأي علماء المناخ القـديم ، القـائل أن المناخ في جنوب الجزيرة لم يطرأ علية تغير كبير منذ أربعه ألف سنة[2] ، وتضيف الدراسـات الحديثـة في اليمن ، أنه ربما كان أكثر رطوبة مما هو علية الآن[3] . ومع ذلك لم نعثر في عتمة على أدلة تؤكد مظـاهر الاستيطان القديم ، مع توفر كل المقومات اللازمة .

ويمكننا أن نعزو هذا الأمر إلى أسباب مختلفة منها ، أن الوديان العميقة المنحدرة الواقعـة في الجهـة الغربية للمرتفعات الوسطى وخصوصا إلى الغرب من ذمار ، تستقبل أعلى معدلات للأمطار تتراوح ما بـين 400–700مم في العام ، ولذلك فأنها تشهد تطوراً كبيراً للحقول المدرجة بهدف توسيع الرقعة الزراعيـة كاستجابة للكثافة السكانية ، ولذا فأن الاستمرار في استصلاح الحقول ربما أدى إلى تخريب المواقع الأثريـة أو أزالتها أو ربما أنها ما زالت تختفي تحت حقولها ، وبذلك ربما ينطبق عليها فرضية أنهـا تعتـبر "منطقـة تخريب" (Zone of destruction) التي يقصد بها في اليمن المنـاطق ذات الكثافـة السـكانية والمدرجات الكثيرة وعلى العكس منها " منطقة البقاء " (zone of survival) وهي المناطق التي بها قلـه سكانية كما في أطراف الصحراء [4] . أن هذا الافتراض ربما تدحضة الكشوف الأثرية ، والذي يدعـم ذلك أن أعمال المسح والتنقيب في المرتفعات الوسطى الشرقية (في خولان الطيال) قد كشفت عن وجـود آثار للاستيطان منذ عصور ما قبل التاريخ (كالعصر الحجري القديم والحديـث وعصـر السبرونز)[5] . وعموما فأننا نعزو هذا الشح في المعلومات إلى قلة الكشوف الأثرية والتي نعول على دورها في المستقبل .

ثانياً : اليمن في العصور التاريخية أو الممالك اليمنية القديمة .

لم نعثر على مخلفات أثرية تشير إلى بداية الممالك اليمنية القديمة ، بدءاً من مملكه سبأ ، وإن كنا قد عثرنا في حصن [يفاعه] في نزله (بني بحر) على أدله تشير إلى أن هذا الحصن ربما أنشئ على أنقاض حصن حميري قديم . ودليلنا هو استخدام حجارة الحصن القديم المنحوتة في بناء الحصن الجديد بحجارته غير المنحوتة ، فضلاً عن المرافق السكنية التابعة له . إلا أن أهم ما عثرنا عليه في إحدى غرف الحصن ، هو جزء من نقش منحوت لحتنا بارزا على قطعه حجرية مهندمة ، ولنا بعض الملاحظات حوله :

- هناك صعوبة في قراءة النص تتمثل في أنه غير مكتمل فضلا عن أنه تعرض للتخريب على شكل خدوش بين الأحرف .
- ويبدو من طريقة الخط "النحت البارز" أنه يعود إلى العصر الحميري المتأخر [6] ، كما أنه يحتوي على رموز بها تحوير لحروف المسند التي ربما تمثل مرحلته النهائية التي تتمثل في قله الكتابة والعارفين بها [7] .

كما عثرنا في إحدى المتاجر خارج الحصن على قطعه حجر منحوتة وعليها نقش مكتوب بطريقة المخربشات (Graffitti) استطعنا قراءة كلمه واحدة (م ذرن) بمعنى هزيمة . وربما يوجد غيرها لدى الأهالي أو استعملت لبناء المنازل كما هو الحال في حصن (يفاعه).

ومبلغ علمنا من الأهالي أيضاً أنه توجد في " قرية الموطن " في عزله جوفة بني بحر حجارة بها نقوش، وعليه سنقوم بدراسة أخرى تحليلية لهذه النقوش في شكل متكامل ، واضعين في الاعتبار التحقق من مفهوم " الحدود الثقافية " للنهاية الجنوبية لقاع جهران الذي أعتبر أن المنطقة الشمالية منه تحوي مواقع أثرية بها نقوش مبكرة ، أما إلى الجنوب منه فمعين النقوش الحميرية المتأخرة [8].

وخاتمه القول أن هذه النماذج النقشيه تلقي الضوء على إمكانية وجود آثار للممالك اليمنية القديمة في مديرية عتمة ، والكشف عنها رهين بنتائج النشاطات الأثرية في المستقبل .

العصر الإسلامي :

تزخر المديرية بكثير من المخلفات الأثرية التي نعتقد أنها تعود إلى العصر الإسلامي ، ومنها:

- **الحصون والقلاع** : ومن أهم المظاهر الأثرية الملفته للانتباه في مديرية عتمة هو الانتشار الملحوظ للحصون والقلاع في المرتفعات وقمم الجبال . وقد قمنا بمعاينة البعض منها ، وتمكنا من حصر أكثر من خمسة وعشرين حصنا واكثر من عشرة قلاع ، نذكر من الحصون (حصن جبل عتمة وحصن صورة وحصن يفاعه وحصن ابزار وحصن المنصوف) ومن القلاع : (قلعه الذاهبي وقلعه بني أسد وقلعه شبيه وقلعه الطيار وقلعه سماه) .

وهذه الحصون والقلاع لا شك أنها تمثل العمارة العسكرية في العصور الإسلامية . و مـــن الناحيـة المعمارية تتميز بأن لها صفات مشتركة أهمها :

- أنها مشيدة فوق قمم الجبال لتشرف وتطل على الوديان .
- فيها أبراج دائرية للمراقبة والدفاع .
- تعرض بعضها للتدمير وأعيد بناءه أكثر من مرة وفي فترات تاريخية مختلفة ، كما في حصن يفاعـه الذي سبق ذكره.
- وكانت أخر مرحلة لإعادة التعمير بعد زلزال عام 1982م .
- مادة البناء هي الحجر وأغلبها كتل حجرية غير منتظمة كما استخدموا قطعاً حجريـة منتظمـة منقولة من أنقاض ممالك اليمن القديمة . كما تحتوي على مرافق سكنية ومخازن للحبوب وبركة للمـاء ومربط للمواشي والخيول وبها مدخل رئيسي مدرج وأخر داخلي سري باعتباره مهرباً . فضـلا عـن ذلك يوجد بها جامع صغير مساحته حوالي 2×2م وبجانبه موضأة.

وفيما يخص تاريخها فقد لاحظنا أن هناك نموذجين لطرق التاريخ :

- **أولاً** : أن بعضها يدون تاريخها في الألواح الخشبية لسقف المسجد ، ومثال ذلك " حصن يفاعـه " الذي سبق الحديث عنه، إذ كتب فيه ، " أنه بني في شهر شوال سنه واحد وثمانون و ألف " .

ويبدوا لنا أن هذه الألواح الخشبية ليست مصاحبه لفترة بناء الحصن ، وربما نسخ هذا التاريخ مـن السقف القديم عند تجديد الحصن .

- **ثانياً** : بعض منها يعتمد على الحس التاريخي للرواة ،ومثال ذلك حصـن "جبـل عتمـة " إذ لم نحصل فيه على تاريخ مكتوب ، وكل ما حصلنا علية كان من الذاكرة الجمعية للرواة ، حيـث أورد القاضي حسين العرشي في كتابه " تاريخ وصاب " عدة روايات حول تاريخه إسـتقاها مـن ذاكـرة الأهالي [9] .

ومن خلال ملاحظتنا فضلا عما حصلنا علية من تواريخ ، فأننا لا نستطيع في هـذه المرحلـة مـن الدراسة أن نجزم برأي فيه ، وإن كنا نعتقد أن أقدمها هو " حصن يفاعه " المشار إليه سابقاً حيث وجـد النقش واستخدمت الحجارة المنحوتة القديمة في بناء حصنه الجديد . أما الحصون والقلاع التي بنيت بكتـل الحجارة غير المنتظمة فأنها بشكل عام تعود إلى الدويلات الإسلامية اليمنية التي تصارعت مع الأتـراك أو فيما بينها .

ولهذا نرى أن هذه القلاع والحصون تحتاج إلى دراسة متأنية تشخص فيها أنماط عمارتها وأسس تقسـيمها إلى حصون وقلاع ومن ثم تاريخها .

(ب) المساجد :

تنتشر في جميع قرى مديرية عتمة العديد من المساجد ،إلا أن بعضها يضرب في القدم ، مما يجعلـها ذات طابع أثري وتأريخي ، ومثال منها : " جامع الحقيبة وجامع الجوفة " . أن غالبيـة هـذه المسـاجد القديمة تتميز بأنها مشيدة من الحجر ، وهي أكبر من حيث المساحة مقارنه بجوامع الحصون والقلاع ، كمـا أن أغلبها لا توجد به مآذن ، وعموما فأنها تتسم بالبساطة في البناء والزخرفة .

(جـ) الأضرحة :

ومن المعالم الأثرية والتاريخية البارزة في المديرية ، هو إنتشار العديد من الأضرحة والقباب للأوليـاء والصالحين كما في " الطفن ، الحميضه و الشرم السافل " وغيرها . أن الضريح ليس هو المدفن نفسـه ، ولكنه يحتوي على المعلم المعماري [10] ، بينما لا يشكل المدفن سوى القبر وهو عبارة عـن تـابوت ، أي صندوق من الخشب يحدد موضع الدفن وغالباً ما يكون مزخرفاً ، ولم يرد في النصوص المبكـرة بلفـظ تابوت وإنما بلفظ (ضريح)[11] ومن هنا أتت التسمية . وقد عرفت اليمن التوابيت الخشبية منذ مطلـع القرن السابع الهجري وقد ارتبطت بقبور الأئمة الزيديين [12] .

يعد ضريح (المطهر محمد الجرموزي)من أهم الأضرحة في المديرية، ذلك لأنه يحتوي علـى تـاريخ أقرب إلى الواقعية مقارنه بغيرة من الأضرحة . تزين تابوت هذا الضريح زخارف كتابيـة مـن جوانبـه الأربعة ، كتب عليها : إن مولد صاحبه في " شهر محرم سنه تسع وألف " ، وأنه توفي في " عشـرين مـن شهر الحجة سنه ستة وسبعون وألف " . والضريح تعلوه قبه بصلية الشكل قام ببنائها أبنه عبد الرحمـن أبن المطهر سنه 1090هـ ومن ثم تحول الضريح إلى مسجد .

أما المسجد القديم الذي يوجد الآن خارج الضريح فقد كان في الأصل مسجداً للقريـة ، بنـاه الشـيخ المطهر حسبما جاء في الألواح الخشبية لسقفه " ابتدأ إعماره في العشرة الأولى من شهر شعبان عام خمسـه وستين وألف " . وأننا نعتقد بأن هذه الألواح الخشبية ليست مصاحبة لزمـن بنـاء المسـجد ، وربمـا استنسخت عند تجديد السقف . وهذا المسجد أصبح الآن مسجد للنساء .

(د)المخطوطات :

توجد بالمديرية بعض الأسر مشهود لها بالعلم والاستنارة وتمتلك مكتبات فيها مخطوطات قيمـة ، مثل ، مكتبة بني معوضة وبني الجرموزي وبني السماوي وبني المعلمي وبيت الغابري . كما توجد مكتبـات في بعض الجوامع مثل ضريح مسجد الجرموزي . وقد علمنا أيضاً أنه توجد مخطوطات متناثرة لدى بعـض الأسر ، لم يتم التعرف أو الوصول إليها بحكم تنقلها وعدم الاهتمام بها ، وهذه بلا شك تمثل ثروة علميـة

لا يستهان بها تنتظر نفض الغبار عنها . وإدراكا لأهميتها فأن ما لكيها على استعداد لمزيد من التعاون مع الجادين من المهتمين والباحثين .

ومن خلال هذه اللمحة التاريخية الخاطفة نرى أن مديرية عتمة تحتوي على مخزون من المخلفات الأثرية والتاريخية على درجة من الأهمية التي تستلزم المزيد من البحث والتمحيص الذي يشحذ همم الباحثين وطلاب التخصصات العلمية لفحصها واستجلاء حقيقتها . وإن هذا الحلم النبيل بجعلها محمية طبيعية ستكون بمثابة المحفز والميسر لعمل الباحثين .

الهوامش

* في الأصل ورقة قدمت في الندوة العلمية // عتمة محمية طبيعية // المركز الثقافي ، صنعاء 14-15 مارس 1999م

1. محمد عبد الله ، يوسف : أوراق في تاريخ اليمن وأثاره ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر دمشق ، ط 2 1411هـ-1990م، ص 311 .

2. ستيون لويد : آثار وادي الرافدين ، ترجمه سامي سعيد الاحمد ، منشورات وزارة الأعلام والثقافة ، الجمهورية العراقية 1980م صـ14.

(3) Gibson, M., and Wilkinson, T. J.1995. The Dhamar Plain,Yemen: A preliminary study of the archaeological Landscape. Proceedings of the Seminar for Arabian studies vol. 25, PP. 162-163.
-Wilkinson, T. J., Edens, :C. and Gibson, M. 1997. The Archaeology of the Yemen High Plains: A preliminary chronology Arabian archaeology and epigraphy, p.103.
-Edens, C. and Wilkinson, T. J. 1998. Southwest Arabia during the Holocene: Recent Archaeological Developments. Journal of World Prehistory, vol. 12, NO.1,p.59.

(4) Gibson, M. and Wilkinson, T. J. 1995. The Dhamar Plain, Yemen: A preliminary study of the archaeological Landscape. Proceedings of the Seminar for Arabian studies vol. 25, p.162.

(5) de Maigret, A. 1983 . Is MEO activities: Arab Republic of Yemen. East and West 340-344.-ibid . 1984a. Archaeological activities in the Yemen Arab Republic, 1984. East and West 34;423-454.
-ibid . 1984 b . A Bronze Age for Southern Arabia. East and West 34; 75-106

– دي ميغريت ، اليسا لدرو : عصر نحاسي في جنوب الجزيرة العربية . الإكليل العدد الأول السنة الخامسة ، صيف 1407هـ-1987 م صـ73-96 .

-ibid. 1988 Archaeological survey on the Wadi Yala antiquities. In de Maigref, A.(ed), the Sabaean Archaeological Complex in the Wadi Yala (Eastern Khawlan al-Tiyal, Yemen Arab Republic), Is MEO, Rome PP. 1-20.

(6) روبان ، جوليان كرستيان لشوء وصيرورة أبجدية جنوب الجزيرة العربية : اليمن في بلاد ملكة سبأ ، ترجمه د: بدر الدين عرودكي ، مراجعه د. يوسف محمد الله ، معهد العالم العربي ، باريس ودار الأهالي ، دمشق (الدلبعة العربية) 1999، صـ56

(7) المصدر نفسه : حضارة الكتابة ،صـ83-84 .

(8) Beeston , A.F.L. 1975 The Himyarite Problem p. 6 .

(9) العرشي ، القاضي حسين بن أحمد : تاريخ وصاب . مركز الدراسات والبحوث اليمنية – صنعاء 1979، صـ149 م م .

(10) غالان ، رودريغو مارتين : مناهج البحث الأثري ومشكلاته . تعريب وتقديم وإضافة ، د:خالد غنيم ، معهد ثربانتس –دمشق 1998،صـ203 .

(11) خليفة ، ربيع :الفنون الزخرفية اليمنية في العهد الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية 1992، صـ96-97.

(12) المصدر نفسه ، صـ98.

تحليل جغرافي لأوضاع السكن في اليمن

د. مارش أحمد سعيد *

المقدمة

يعد اليمن من الدول التي عرفت حياة الاستقرار سواء في المدن أم الأرياف منذ اقدم العصور واشتهرت بالحضارات القديمة التي قامت على الزراعة والتجارة ، وشيدت منشآت المدن والقصور والمنشآت المائية والدينية التي ما تزال آثار معظمها قائمة الى اليوم في كل من مأرب وحضرموت وصنعاء والجوف وغيرها من المحافظات اليمنية ، لقد اكتسب الإنسان اليمني مهارة البناء عبر القرون معتمداً على المواد المحلية المتوافرة في البيئة المحلية المحيطة به ولذلك تنوعت أساليب ومواد بناء المساكن بحسب تنوع المواد المستخدمة في البناء والظروف الطبيعية السائدة في المنطقة ان قضية السكن قد برزت بشكل واضح في عدد من الدول النامية بوصفها مشكلة مهمة تحتاج الى العناية والاهتمام من قبل الدول والمجتمعات نظراً للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسكانية التي شهدتها هذه الدول

* رئيس قسم الجغرافيا ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمار

بعد الحرب العالمية الثانية ، مما جعل بعض عدداً من هذه الدول تعد قضية السكن من أهم أولوياتها التنموية واصبح توفير السكن الملائم للاسرة احدى أهداف خطط التنمية لما له من أهمية قصوى في حياة الفرد والاسرة واستقرارهما التي هي غاية التنمية ، ومع ذلك فما زال السكن يشكل أهم التحديات التي تواجه الدول النامية في الحاضر ويمكن امتدادها للمستقبل بسبب النمو السكاني السريع والهجرة من الريف الى المدن وضعف الموارد الاقتصادية اللازمة لتغطية حاجات السكن المتزايدة لقد كان توفير المسكن وما يزال من أهم الواجبات التي يقوم بها رب الاسرة لما يكتسبه المسكن من قيمة اجتماعية واقتصادية بوصفة أبرز عامل للاستقرار والانتماء الى المحيط الاجتماعي القائم ، ونظراً لاعتماد المجتمع اليمني على النشاط الزراعي بدرجة رئيسة لمعظم السكان فقد أوجد نوعاً من حياة الاستقرار السكاني المرتبط بمدى توافر الأراضي الزراعية والمياه منذ القدم حتى مطلع السبعينات من هذا القرن الا انه بعد هذا التاريخ الذي ارتبط بإنتصار الثورة اليمنية بدات تظهر عوامل جديدة تؤثر في الوضع السكاني في اليمن وأهمها العوامل الاقتصادية والاجتماعية الجديدة حيث برزت حركة الهجرة الداخلية من الريف الى المدن ولاسيما الرئيسة منها فضلاً عن الهجرة الخارجية عبر الحدود اليمنية ولا سيما الى دول الخليج العربي الغنية .

نتيجة الاستثمارات في مجال انتاج وتصدير النفط اذ تجاوزت العمالة اليمنية في تلك الدول المليون يمني نتج عن ذلك التحسن النسبي في المجال الصحي والاقتصادي والاجتماعي للسكان أدت بدورها الى الانخفاض التدريجي في معدل الوفيات ومن ثم الارتفاع في معدل النمو السكاني في ظل معدل الولادات المرتفع في اليمن ، كل هذه العوامل وغيرها آثرت في وضع الإسكان في اليمن سواء في الجانب الايجابي أم السلبي .

ان هذه الدراسة تهدف الى تحليل أوضاع السكن في اليمن من حيث توزيعه الجغرافي بحسب المحافظات والحضر والريف وخصائصه للوصول الى استنباط المشاكل التي يعاني منها السكن في اليمن وأنواعها وحجمها ووضع المقترحات المناسبة لحلها والرؤية المستقبلية لأوضاع السكن في اليمن .

لقد تم الاعتماد بشكل رئيس على النتائج النهائية للتعداد العام لسكان والمساكن والمنشات الذي جرى تنفيذه في ديسمبر من عام 1994م على مستوى اليمن الموحد الذي يعد الأول من نوعه بعد إعادة الوحدة اليمنية المباركة ، وصدر التقرير العام للنتائج النهائية في مارس عام 1996م .

▫ أولاً: المدخل العام للدراسة :-

1-مفهوم السكن والمسكن :-

أ- مفهوم السكن :-

لقد جاء ذكر السكن في اكثر من عشرين اية في القران الكريم (محمد فؤاد عبدالبـاقي، 353)، و بمعان مختلفة ومنها :

1_ للسكن والايـواء والاستتار والانتفاع به بسائر وجـوه الانتفـاع (محمـد علـي الصـابوني ، المختصر ،341) ، قال تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلـود الأنعـام بيوتـاً تستخفونها) ... النحل 80

وقال تعالى :(وكـم اهلكـنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم) ... القصص 58

2_ للراحة والهدوء بعد النصب والعمل طول النهار (الصابوني ، المختصر ،200) .

قال تعالى:(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهارمبصراً ان في ذلك لآيات لقوم يسـمعون). يونس 67.

3-الميل والالفة والاستمتاع (الصابوني ، الصفوه ،476) .

قال تعالى:(ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) . الروم 21.

4-الرحمة والوقار والامان (الصابوني ، المختصر ، 140) .

قال تعالى:(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهـم والله سميع عليم) . التوبه 103

5- الحياة السعيدة رغدة العيش(الصابوني ، الصفوه ،50) .

قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما). البقرة 35.

6- الإقامة في المنطقة.

قال تعالى : (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم). إبراهيم 37.

مما سبق نجد أن للسـكن مفهوماً واسعاً فـهو يتضمن أنواعاً عديـدة منها المساكن والبيـوت ، والزمان المتمثل بالليل وبالإنسان المتمثل بالزوجات ، والأمن الناتج عن الاستغـفار والدعـاء والصلاة ، والمكان سواء في الجنة ام في أي مكان في الدنيا ام الآخرة ، وكل هذه المعاني توحي بأهميـة السكن العظيمة الذي توفير الراحة والاستقرار والأمن والأمان للإنسان ، وسيـتم الاقتصـار بدراسـة السـكن الأول الذي توفره البيـوت والمساكن (المأوى) فقط .

وعليه يمكن تعريف السكن بأنه توفير الحد الأدنى من الحماية من العوامل والقوى الجوية ، وحاجب واقٍ من أي هجوم ، وإنه في ابسط أشكاله مكان للامان والراحة في حدها الأدنى ،كما إنه مكان للعلاقات الشخصية المتبادلة ، وهو حيز إجتماعي لممارسة العديد من الأنشطة الاجتماعية المتنوعة (عالم المعرفة ،280)

ب–مفهوم المسكن الكافي والملائم : توجد شروط ومعايير دنيا يجب توفرها في المسكن الكافي للإنسان مهما كانت الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها او المنطقة التي يعيش فيها ولذلك فإن المسكن الكافي هو بإختصار مكان الإقامة الذي يجد أفراد الأسرة فيه المأوى والامان والراحة والسعادة في حدها الأدنى وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بالتصميم المعماري الملائم المتسق مع أسلوب حياة أفراد الأسرة وباستخدام مواد البناء وأساليب الإنشاء الأكثر اقتصادية ، مع الأثاث المناسب في كل جزء من أجزاء المنزل .(عالم المعرفة 284)

اما فيما يتعلق بمفهوم المسكن الملائم فإنه يؤخذ في الاعتبار فضلاً عما سبق البعد الثقافي والاجتماعي والديموغرافي والاقتصادي والبيئي للاسرة وهي أبعاد مختلفة من مجتمع الى آخر ، وعلى ضوء ذلك نجد إختلافات في تعريف المسكن الملائم .

ففي العراق حددت استراتيجية الإسكان معايير النمط السكني الأساسي (الحيازة المضمونة ، لا يشغل بأكثر من أسرة ، يتكون من غرفتين او ثلاث بما يتناسب مع عدد السكان بحيث تشغل كل غرفة شخصين بالغين ، كما يتضمن مطبخاً وحماماً ومرحاضاً ومجهز بالكهرباء والمياه الصالحة للشرب ومجاري الصرف الصحي وتمتعه بالراحة البيئية كالتهوية والإضاءة الطبيعية وأشعة الشمس فضلا عن توافر الخدمات الاجتماعية ووسائل النقل)،أما في الأردن فإن معايير المسكن الملائم تتضمن (أن تتوفر للمسكن المرافق التي توفر الراحة والاطمئنان مثل مياه الشرب ، مجاري ، مطبخ ، حمام ، مرحاض ، إضاءة ،معدل أشغال الغرف لا يزيد عن المعدل الدولي 2.5فرد لكل غرفة ، مع توفير بعض السلع المعمرة الأساسية ويحاط بسور بسيط وقريب من مراكز العمل ومراكز الخدمات الاجتماعية .

ومهما يكن من إختلاف في تعريف المسكن الملائم فإنه لابد ان يتمتع بالمعايير الأساسية كالحجم المناسب ، عدد الأفراد للغرفة الواحدة – الخدمات الأساسية التي تتوافر للمسكن (مياه الشرب النقية) الكهرباء ، الصرف الصحي ، نوع وقود الطهي ، وهذه المعايير تتوافر لها بيانات في تعداد عام 1994م والواقع انه حتى اليوم لا يوجد تعريف للمسكن الملائم في اليمن وليست هناك معايير واضحة او شروط دنيا للمسكن الملائم لتميزه عن غيره من أنواع المساكن .

لقد عرف المسكن في تعداد عام 1994 بأنه المبنى المستقل او جزء منه معداً أصلاً لسكن اسرة واحدة ولو كان مسكوناً وقت التعداد بأكثر من اسرة او كان خالياً ، وللمسكن مدخل مستقل او

اكثر يمكن شاغليه من الدخـــــول اليه او الخروج منه من دون اضطرارهم للمرور عـبر مســكن آخر ، ولأغراض التعداد يعد كل مكان مسكـونا وقت التعداد مسكنا ولو لم يشيد لغرض الســكن كالدكاكين والكهوف والمغارات .(النتائج النهائية للتعداد ،13)

ولذلك لابد من الانتباه عند تناول موضوع المخزون السكني كميا لأن هذا الرقم يتضمن ارقامـا لأماكن ليست معدة للسكن .

2ـ أهمية المسكن للإنسان :ـ

إن أهمية المسكن بوصفه حقا من حقوق الإنسان أمر معترف به دوليا منذ عام 1948على الأقـــل ، وتنص المادة 25 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ان (لكل إنسان الحق في مستوى من المعيشـة كاف للحفاظ على صحته ورفاهيته هو وأسرته ، ويشمل الغذاء والملبس والمسكن والرعاية الطبيـة) ، وقد ذكر مؤتمر المستوطنات البشرية الذي إنعقد في فانكوفر عـام 1976م ، ان وضـع المسـتوطنات البشرية يحدد الى حد كبير مستوى او نوع الحياة وان تحسين هذا الوضع هو متطلب أساسي من اجـل الإشباع الكامل للحاجات الإنسانية الأساسية .

ويشكل المسكن احدى الضروريات الأساسية لحياة الإنسان اذ يأتي بعد الغذاء والجنس والكسـاء للحفاظ على البقاء ، فهو يحقق للإنسان إشباع حاجاته المادية والمعنويـة ويوفـر الراحـة والامـان والاستقرار للفرد والأسرة ، ولذلك فإن كل رب أسرة يعمل بكل طاقته لإمتلاك مسكن خـاص بـه وبحسب إمكانياته المتاحة سعيا منه لتحقيق ذاته ، كما تمثل أهمية المسكن في الوظائف الـتي يوفرهـا للفرد واسرته سواء كانت جسمية كالمأكل والمشرب والاستحمام والتخلص من الفضلات وغيرهـا ، ام نفسية واجتماعية كـراحة النوم والامـان والتـواصل الاجتماعي والتسلية والترفيه وتربيـة الأطفال ورعايتهم فضلا عن الحماية من الظروف البيئية المحيطة وتقلبات الطقس والظروف المناخيـة ، والتهديدات الخارجية البشرية وغير البشرية لحياة الفرد والاسرة .

لقد إستمر المسكن مرتبطا بشكل وثيق بحاجات المجتمع وطموحاته وبالمستوى الأقتصادي للأفـراد وقد تطور مع تطور الإنسان عاكسا المعايير الاجتماعية للشعوب وتقاليدها وأساليب حياتها ومتسقا مـع البيئة الطبيعية والبـشرية للمنطـقة و مما يـعكس التنوع في أنماط المساكن ، فنجد مساكن الأقـاليم الحارة تختلف عن مساكن الأقاليم الباردة ، والمساكن في المناطق الجبلية تختلف عن مسـاكن المنـاطق السهلية ، ومساكن الأغنياء تختلف عن مساكن الفقراء ، ومساكن المدن تختلف نسبيا عـن مسـاكن الريف من حيث الحجم والمساحة والشكل والخدمات ومواد البناء وغير ذلك.

3- أنواع المساكن في اليمن :-

لقد ميز التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994 بين ثمانية أنواع من المساكن القائمة في اليمن هي :-

(1) المنزل (فيلا):- هو غرفة او مجموعة من الغرف وملحقاتها تشكل مبنى ثابتا قائما بذاته ويتكون من طابق واحد او أكثر وله مدخل رئيس واحد يؤدى الى جميع مكوناته وقد يكون محاطا بحديقة (حوش) او لا يكون محاطا بها حيث تكون طريقة بنائه بغرض إقامة اسرة واحدة .

(2) الشقة : هي وحدة سكنية مكونة من جزء من مبنى ولها مدخل مستقل وقد تتقاسم الشقة مع مثيلاتها الممرات او الصالات العامة .

(3) العشة او الصندقة : هو المسكن الذي يبنى من الخشب او القش او الزنك .

(4) الخيمة :هي وحدة سكنية مصنعة من القماش تستخدم لسكن الاسر المتنقلة .

(5) المنشأة المسكونة : هي المكان المعد لممارسة نشاط إقتصادي او إجتماعي ويستخدم في الوقت نفسه للسكن .

(6) المسكن المرتجل : هو نوع من انواع المساكن الطارئة التي تستخدم مأوى عاجلا او مؤقتا لعدد من الاسر الفقيرة ويبنى من خشب الصناديق او التنك او هياكل السيارات وغيرها .

(7) الجرف : هو الكهف او مايماثله والذي يستخدم مسكنا عند التعداد .

(8) المسكن الجماعي : هو المسكن المصمم لإقامة مجموعة من الأشخاص تجمعهم ظروف متشابهة ، مثل المستشفيات والأقسام الداخلية والسجون ودور الأيتام والمخيمات والمعسكرات وغيرها .

هذه أهم أنواع المساكن المنتشرة في أنحاء اليمن وتتباين هذه الأنواع من محافظة الى اخرى ومن منطقة الى أخرى داخل المحافظة الواحدة تبعا للظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية للسكان وسيأتي الحديث فى توزيعها الجغرافي لاحقا .

(4) أوضاع السكن في اليمن قبل تعداد عام 1994م :-

لقد تم إجراء التعدادين في كل من شطري اليمن قبل إعادة الوحدة إذ نفذت المحافظات الجنوبية والشرقية اول تعداد عام 1973 والثاني عام 1988، كما نفذت المحافظات الشمالية التعداد الاول عام 1975 والثاني عام 1986م ، والجدول (1) يبين التطور الكمي لعدد المساكن والاسر من خلال نتائج هذين التعدادين

جدول (1) التطور الكمي لعدد المساكن والاسر خلال الفترة 1973-1988م

سنة التعداد	عدد المساكن	عدد الأسر	نسبة الأسر الى عدد المساكن
1973	284509	286313	1
1988	286319	325682	1.2
نسبة الزيادة (73-1988)	٪0.5	٪13.8	-
1975	856059	906185	1.1
1986	1369578	1366460	1.0
نسبة الزيادة (75-1986)	٪60	٪ 50.8	-

ج.ي ، وزارة التخطيط والتنمية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، ظروف السكن في اليمن ،1998. ص11

يتضح من الجدول (1) ان عدد المساكن في المحافظات الجنوبية والشرقية خلال الفترة 1973 – 1988 لم تشهد أية زيادة تذكر ، فى حين إرتفعت أعداد الأسر وبدلا من انه كان يقابل كل اسرة مسكن تقريبا عام 1973م أصبح يقابل كل 100 مسكن قرابة (115) اسرة في عام 1988م وذلك يعود للظروف الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في تلك المحافظات ، كما بلغت نسبة المساكن دون المستوى القياسي في عام 1988م نحو 14% من إجمالي المساكن مما يشير الى وجود مشكلة سكنية حقيقية إذ كان متوسط عدد الأفراد (2,6) أفراد لكل غرفة حينذاك .

اما المحافظات الشمالية فكان الوضع يختلف إذ إرتفعت أعداد المساكن اكثر من عدد الآسر وبنسبة 9.2% مما يشير الى تحسن وضع السكن من الناحية الكمية على الأقل ، إذ اصبح لكل اسرة مسكن في عام 1986 م وذلك يعود الى ما شهدته البلاد من نهضة عمرانية نتيجة العائدات المالية للمغتربين البالغ عددهم مليون نسمة في دول الخليج النفطية والتي كانت تستثمر في معظمها في قطاع الإسكان بمبادرات ذاتية رغبة منهم في الاستقلال .

اما بالنسبة لتوافر الخدمات الأساسية للمساكن فقد كانت شبه معدومه في السبعينيات إذ كانت نسبة المساكن المزودة بالمياه عن طريق الشبكة 6% من إجمالى المساكن لعام 1973م وما يقرب من 46% من الآبار ، وما يقرب من 31% من الغيول والعيون ، اما الكهرباء فلم تكن تغطي حينذاك سوى 4% من إجمالى المساكن وكان الاعتماد على الكيروسين وبنسبة 87% من إجمالى المساكن مما يبين تدنى الخدمات الأساسية .

لقد تحسنت أوضاع المساكن نسبيا من حيث الخدمات في عقد الثمانينيات إذ إرتفعت نسبة المساكن المزودة بالكهرباء الى 46.6% من إجمالى المساكن في الجمهورية ، والمزودة بالمياه من الشبكة بلغت ما يقرب من 40% والمزودة بالجاري بلغت 18.4% من إجمالى المساكن في اليمن.

ثانيا:التوزيع الجغرافي للمساكن في اليمن :-

ـالتوزيع الجغرافي للمساكن والأسر بحسب المحافظات والريف والحضر:-

ما تزال الحياة الريفية في اليمن هي السائدة نظرا لإنخفاض مستوى التحضر فيها إذ بلغت نسبته 23.5% من إجمالى عدد السكان ، ولذلك فإن الاستيطان الريفي يتميز بالتشتت السكني بشكل عام نتيجة لإتساع المساحة الكلية لليمن البالغة 555الف كم2 ، وبلغت عدد المساكن الريفية 1.666.340مسكنا وبذلك تبلغ كثافتها العامة قرابة 3 مساكن/كم2 ، أما إذا احتسبنا إجمالى المساكن البالغة (2.198.442) مسكنا في الجمهورية فإن كثافتها العامة لا تزيد عن 4 مساكن /كم2 ، ولذلك نلاحظ التباين الواضح فى التوزيع العام للمساكن مما يشكل عائقا أمام توفير المشاريع والخدمات للسكان الذي يتطلب من الدولة ان تعمل على إيجاد سياسة واضحة لإعادة توزيع السكان في مستوطنات بشرية متجمعة يسهل تقديم الخدمات الضرورية لها .

جدول(2) التوزيع الجغرافي للمساكن و الأسر ونسبة الأسر الى المساكن في الحضر والريف و إجمالي الجمهورية لعام 1994م

المحافظة	الريف			الحضر			الإجمالي		
	الأسر	المساكن	النسبة	الأسر	المساكن	النسبة	الأسر	المساكن	النسبة
الامانة				140661	152044	925	14661	152044	925
صنعاء	235333	227718	1033	14443	14385	100	249776	242103	1032
عدن	5566	6335	879	65328	73247	892	70894	79582	891
تعز	267137	271018	986	54693	57508	951	321830	328526	980
الحديدة	184785	189364	976	82858	88773	933	267643	278137	962
لحج	83022	85199	974	4857	4688	1036	87879	89887	978
إب	233558	236291	988	32615	34493	946	266173	270784	983
ابين	42844	43630	982	9961	9669	1030	52805	53299	991
شبوه	140671	144271	975	14163	14635	968	154834	158906	974
الضالع	40715	37619	1082	4720	4427	1066	45435	42046	1081
حجة	158659	153441	1034	15572	15250	1021	174231	168691	1033
البيضاء	48138	49362	975	9538	9942	959	57676	59304	973
حضرموت	65392	68293	958	32117	33038	972	97509	101331	962
مأرب	60097	58851	1021	7804	7790	1002	67901	6641	1019
المحويت	54354	52846	1029	3636	3667	992	57990	56513	1026
المهرة	5580	6509	857	2895	3133	924	8475	9642	879
ذمار	19701	20050	983	2437	2377	1025	22138	22427	987
الجوف	16043	15543	1032	2954	3036	973	18997	18579	1022
الإجمالي	1661595	1666340	.997	501252	532102	.94	2162847	2198442	.984

الجهاز المركزي للإحصاء، ظروف السكن في اليمن – صنعاء ، 1998م. ص15

يتبين من الجدول (2) أن العدد الإجمالي للمساكن تزيد عن العدد الإجمالي للأسر بمقدار (35.595) مسكنا ، وبذلك يقابل كل 98.4 أسره مائة مسكن على مستوى اليمن .

أما توزيع المساكن على مستوى المحافظات فنجدها تتناسب الى حد كبير مع توزيع عدد الأسر إلا انه عند أخذ نسبة الاسر الى المساكن بحسب كل محافظة على حده نجد ان كلا من محافظات شبوه وحجه وصنعاء والمحويت والجوف وصعده قد زادت عدد الأسر فيها على عدد المساكن ، وكانت نسبة الأسر الى المساكن في شبوه قرابة 108 اسر مقابل مائة مسكن ، وهي أعلى نسبة على مستوى المحافظات ، وتقرب النسبة في المحافظات المتبقية من 102 الى 103 أسرة مقابل مائة مسكن وبذلك نجد أن هناك عجزا سكنيا في المحافظات الست ولاسيما في محافظة شبوه بالمقارنة مع عدد الاسر في حين يظهر الوفر السكني بشكل واضح في محافظات المهره وعدن وأمانة العاصمة وبنسب (88،89،92) أسرة مقابل كل مائة مسكن على التوالي ،أما بقية المحافظات فهي قريبة من النسبة العامة السائدة على مستوى اليمن .

أما على مستوى الريف والحضر فنجد أن هناك (94.2) أسرة مقابل كل مائة مسكن في الحضر و 99.7 أسرة مقابل مائة مسكن في الريف ،ولذلك فإن وفرة السكن في الحضر أفضل منه في الريف بشكل عام ،وهناك تباين بين نسبة عدد الأسر الى المساكن على مستوى الحضر في كل محافظة علي حدة إذ ان هناك محافظات يزيد فيها عدد الأسر على عدد المساكن مثل محافظات صنعاء ولحج وأبين وشبوه وحجة وصعده ومأرب مع أن هذه المحافظات ريفية بشكل أساسي ونسبة الحضر فيها قليلة وعجز السكن المقابل للأسر في بعضها هو امتداد العجز السكني في المحافظة كما هي الحال في محافظة شبوه وحجة وصنعاء ،وبذا يمكن القول أن الحضر لديه وفرة في السكن اكثر من الريف بشكل عام، وربما يعود ذلك الى انتشار المساكن الجماعية في الحضر التي تستوعب عدد كبير من الافراد .مع أنه لابد من الإشارة الى وجود عدد من المساكن الهامشية التي تعد تحت المستوى القياسي وهذه المساكن محسوبة ضمن أعداد المساكن المذكورة في أعلاه فضلا عن وجود (107) الف مسكن خال عند التعداد في عموم اليمن منها قرابة 64 الف مسكن في الريف منها (50) ألف من نوع المترل ويتوقع ان تكون هذه المساكن مهترئة أو آيلة للسقوط لذلك تترك مهجورة حتى يتم ترميمها ، كما بلغ عدد المساكن الخالية في الحضر أكثر من (43) الف مسكن نصفها تقريبا مترل (الجدول3) وهذه المساكن الخالية يكون معظمها خاصا بالاستثمار عن طريق إيجارها او قد تكون أخليت لغرض الترميم والإصلاح ثم يتم سكنها بعد ذلك 0

جدول (3) المساكن المشغولة والخالية بحسب نوعها في الريف والحضر وإجمالي الجمهورية لعام 1994م .

نوع المسكن	الريف		الحضر		الإجمالي		الإجمالي العام للمساكن
	مسكن مشغولة	مساكن خالية	مساكن مشغولة	مساكن خالية	مساكن مشغولة	مساكن خالية	
منزل (فيلا)	1213678	49.720	304668	24.542	1.518346	74.262	1592608
شقة	29776	1100	95485	8663	125.261	9.763	135024
سكن جماعي	18720	346	7224	378	25.944	7.24	26668
جزءمن مبنى	109093	3416	30502	3045	139595	6.461	146056
عشة	172446	4682	9989	906	182435	5.588	188023
صندقه	12025	655	22158	3044	34183	3.699	37882
خيمة	31074	179	818	19	31892	198	32090
منشأة	5953	3240	16261	1805	22214	5.045	27259
مرتجل	3223	225	582	172	3850	397	4202
جرف	2404	11	102	13	2506	24	2530
أخرى	3965	409	1228	498	5193	907	6100
الإجمالي	1.602.357	63.983	489.017	43.085	2091374	107068	2198442

الجهاز المركزي للإحصاء النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م "التقرير العام" صنعاء ، مارس 1996 ص 195.

ـ حجم الأسرة ومتوسط عدد الأفراد في المسكن والغرفة :ـ

يتأثر متوسط حجم الأسرة بعدد من العوامل المتشابكة وهو عادة ناتج عن مجموع القيم الإجتماعية والثقافية والمستويات الإقتصادية والعمرانية وعوامل التغير السكاني (المواليد ، الوفيات ، الهجرة) فمتوسط حجم الأسرة يرتفع عادة في المجتمعات التي تحتل فيها الروابط الأسرية والعاطفية مكانا مرموقا إذ يظل الفرد ضمن إطارها 0

ومن الجدول (4) يلاحظ أن متوسط حجم الأسرة ومتوسط عدد الأفراد في المسكن في كل من الحضر والريف وأجمالي الجمهورية متساو تقريبا ، إذ بلغ (7) أفراد في كل منهما ، أما على مستوى المحافظات فيلاحظ من الجدول أن متوسط حجم الأسرة ومتوسط عدد الأفراد في المسكن في كل المحافظات متقاربا بإستثناء محافظات الجوف وشبوة ومأرب والبيضاء وصنعاء فقد ظهر ارتفاع عن المتوسط العام للجمهورية (9.1، 8.4، 8.1، 7.8، 7,7) فرد لكل مسكن على التوالي ،واقل متوسط لعدد الأفراد لكل مسكن كان في محافظتي عدن والحديدة (5.6) فرد لكل مسكن وكذلك محافظة المهرة (5.9) أفراد لكل مسكن ، ويقرب هذا المتوسط من 6الى7 أفراد لكل مسكن في بقية المحافظات ويعد هذا المتوسط عاليا في المحافظات جميعها في الريف والحضر وهو يعكس كبر حجم الأسرة اليمنية .

أما فيما يتعلق بمتوسط عدد الأفراد لكل غرفة فقد تساوى في كل من الريف وإجمالي الجمهوريـة إذ بلغ (2.6) أفراد ويقل هذا المتوسط في الحضر إذ بلغ (2.4) أفراد لكل غرفة ، ويصل هذا المتوسـط في أعلاه في محافظة الحديدة إذ بلغ (3.4) أفراد لكل غرفة تليها محافظات لحج وحجة والمهرة وأبـين والجوف إذ بلغ المتوسط (2.9) أفراد لكل غرفة ، وينخفض هذا المتوسط إلى فردين لكـل غرفـة في محافظة صعده و2.1أفراد في أمانة العاصمة و2.2 في محافظة حضرموت ، ولا يتفاوت هذا المتوسط بـين الريف والحضر كثيرا ماعدا في محافظتي عدن والمهرة حيث ينخفض في الحضر عما هو في الريف بمـا يقرب من فرد لكل غرفة وهذا بشكل عام يدل على تشابه الظـروف الإقتصاديـة والإجتماعيـة والمعيشية بين مختلف المحافظات بما في ذلك المحافظات ذات الطابع الحضري مثل أمانة العاصمة وعـدن 0

جدول(4) متوسط حجم الأسرة وعدد الأفراد في المسكن والغرفة لعام 1994م

المحافظة	متوسط حجم الأسرة			متوسط عدد الأفراد بالمسكن			متوسط عدد الأفراد في الغرفة		
	الريف	الحضر	الإجمالي	الريف	الحضر	الإجمالي	الريف	الحضر	الإجمالي
الأمانة	-	6.79	6.79	-	6.28	6.28	-	2.10	2.10
صنعاء	7.4	7.59	7.41	7.65	7.62	7.65	2.38	2.16	2.37
عدن	6.91	6.18	6.23	6.07	5.51	6.07	3.40	2.46	2.52
تعز	6.19	6.82	6.30	6.10	6.49	6.10	2.57	2.40	2.54
الحديدة	5.51	6.51	5.82	5.38	6.08	5.38	3.48	3.20	3.38
لحج	6.72	6.38	6.70	6.55	6.61	6.55	3.01	2.82	3.00
إب	6.61	6.67	6.66	6.54	6.59	6.54	2.77	2.36	2.71
أبين	7.22	7.06	7.19	7.09	7.27	7.09	2.85	2.75	2.83
شبوة	6.25	7.28	6.34	6.09	7.05	6.09	2.47	2.36	2.46
حجة	7.78	8.07	7.81	8.42	8.60	8.42	2.26	2.28	2.26
الجوف	7.12	7.00	7.11	7.36	7.15	7.36	2.97	2.73	2.97
المهرة	7.98	8.04	7.99	7.78	7.72	7.78	2.49	2.29	2.49
حضرموت	7.34	7.42	7.36	7.02	7.21	7.02	2.22	2.21	2.22
مأرب	7.07	7.30	7.09	7.22	7.32	7.22	2.04	2.00	2.04
الضالع	6.36	7.10	6.41	6.54	7.04	6.54	2.58	2.12	2.54
البيضاء	6.83	6.32	6.66	5.86	5.84	5.86	3.42	2.20	2.90
ريمة	8.18	8.45	8.21	8.04	8.66	8.04	2.52	2.66	2.53
الجمهورية	8.79	9.42	8.89	9.07	9.17	9.07	2.87	2.36	2.77

الجهاز المركزي للإحصاء النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام1994م "التقريـر العام " صنعاء ، 1996م. ص 73.

3-توزيع المساكن بحسب الملكية :

تعد صفة حيازة المساكن من العوامل المهمة التي تعكس حجم مشكلة الإسكان في المجتمع من خلال معرفة نسبة الاسر التي تمتلك مساكن الى الاسر غير القادرة على تلبية هذه الحاجة الضرورية في امتلاك مسكنها الذي يعد مطلبا أساسيا لكل اسره لتحقيق نوع من الحياة الآمنة والمستقرة ومن الجدول (5) يتضح ان غالبية الاسر تمتلك مسكن حيث بلغت نسبة الاسر المالكة للمساكن 88% من إجمالي الأسر اليمنية ، وان 87.6% من إجمالي المساكن يسكنها مالكوها وذلك على مستوى الجمهورية ، وترتفع هذه النسبة الى 94% في الريف ، ويختلف الوضع في الحضر ، إذ ان 67.7% من الاسر تمتلك مساكن ، وهناك 28% من الاسر تسكن بالايجار وما تبقى من الاسر 4.3% تسكن بأشكال اخرى كالسكن المجاني .

ومن الطبيعي أن ترتفع نسبة المساكن والاسر المستأجرة في الحضر عنه في الريف إذ هناك العديد من الاسر تضطر الى السكن في المدن بالايجار لظروف العمل الذي يرتبط به رب الاسرة أو بحثا عن ظروف معيشية افضل لتوافر الخدمات الاجتماعية في المدن بالنسبة للمهاجرين من الريف ، إلا انها تعد نسبة عالية اذ تعني هذه النسبة بالارقام المطلقة أن هناك ما يقرب من (161260) اسرة في الحضر لا تمتلك مساكن ، فضلا عن ان قرابة (95) الف اسرة في الريف لا تمتلك مساكن ، أي ان اكثر من ربع مليون اسرة على مستوى اليمن لا تمتلك مساكن .

جدول (5) التوزيع النسبي للمساكن المملوكة من اجمالي المساكن بحسب المحافظات والريف والحضر

المحافظات	ملك	ايجار	أخرى	الإجمالي
الأمانة	50.0	45.4	4.6	100
عدن	84.9	9.0	6.1	100
صنعاء	93.0	3.6	3.4	100
تعز	88.1	8.8	3.0	100
الحديدة	92.1	5.4	2.5	100
لحج	97.3	1.2	1.4	100
اب	85.5	12.1	2.4	100
ابين	93.7	3.1	3.2	100
ذمار	89.4	6.5	4.1	100
شبوه	93.3	2.9	3.8	100
حجة	94.1	3،3	2.0	100
البيضاء	90.50	4.6	5.0	100
حضرموت	88.0	7.2	4.9	100
صنعاء	92.8	4.1	3.1	100
المحويت	91.9	6.4	1.7	100
المهرة	79.5	7.5	13.0	100
مأرب	89.1	5.3	5.6	100
الجوف	95.9	1.0	3.1	100
الإجمالي	87.6	9.1	3.3	100
الحضر	67.5	27.7	4.8	100
الريف	94.0	3.2	2.8	100
اجمالي	87.6	9.1	3.3	100

- الجهاز المركزي للإحصاء ، ظروف السكن في اليمن ، 1998م .، ص 20–22

□ ثالثا: التحليل الجغرافي لخصائص المساكن اليمنية:-

سيتم مناقشة خصائص المسكن اليمني المعاصر التي يمكن الحصول على بياناتها من النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن لعام 1994م ، مع العلم أن هناك خصائص أخرى مثل عمر المسكن ومادة البناء ومدى تمتعه بعوامل الراحة البيئية كالشمس والتهوية ونظافة البيئة المحيطة به وقربه وبعده من الخدمات العامة وغيرها ولكن هذه الخصائص لا يشملها التعداد المذكور ولذلك فإن البحث سيكتفي بمناقشة الخصائص المتوافرة وهي :-

نـــوع المسكن :

يبين الجدول (6) خمسة أنواع من المساكن تضمنتها بيانات تعداد عام 1994م ومنها :-

(1)-المنازل المستقلة : (الفيلا) تشكل ما يقرب من $\frac{3}{4}$ المساكن في اليمن(73%) ، وإنتشار المساكن المستقلة في اليمن يأتي امرا طبيعيا كونها منتشرة بكثره في الريف اليمني .

(2)- المساكن الهامشية : وتضم (العشة ، الصندقة ، الخيمة ، المنشأة ، المسكن المرتجل ، والجـــرف) وهي مساكن دون المستوى الملائم لسكن الإنسان وتمثل ما نسبته 11.5% من إجمالي المساكن أي قرابة ربع المليون مسكن وهو رقم كبير ويحتاج الى اهتمام خاص من الجهات المعنية ، واذا ما أضفنا الى ذلك المساكن الأخرى غير المبين نوعها في الجدول فستصل نسبة هذه المساكن الى 13.5% من إجمالي المساكن في اليمن .

3)- الشقـــــــة : تمثل ما نسبته 6,6% من إجمالي المساكن وهى نمط ينتشر في المناطق الحضرية والخفاض نسبتها يعود بالأساس الى نسبة الحضر في اليمن اذ لا يزيد عن ربع اجمالي السكان ، فضلا عن تفضيل الناس للسكن المستقل اما اذا تناولنا أنواع السكن على مستوى المحافظات (حضر /ريف) فنلاحظ ان البيوت المستقلة هي النمط السائد على مستوى الوسطين الحضري والريفي وترتفع نسبتها في الريف عنها في الحضر (75% مقابل 64% على التوالي) وترتفع نسبة الشقق في الحضر بما يقرب من خمس المساكن مقابل 2.4% في الريف ، إن ما يقرب من مسكن من كل ثمانية مساكن في الريف هو مسكن هامشي (13.7%من اجمالي المساكن في الريف) مقابل 4.3% في الحضر اذ أن الريف يضم ما نسبته 91% من اجمالي المساكن الهامشية في اليمن (226977 مسكن مقابل 9% في الحضر (22000 مسكن) ، اما على مستوى المحافظات فيوضح الجدول (6) ان المسكن المستقل يحتل المركز الأول بين أنواع المساكن على مستوى المحافظات ككل وعلى مستوى الريف والحضر وتصل اعلى نسبة له في محافظة ذمار 88% من إجمالي مساكنها ، وتنخفض في كل من محافظات الحديده والجوف وحجه إذ تصل نسبة هذا النوع من المساكن في كل منهم (46،55,5،55%) من إجمالي المساكن) وكذلك أمانة العاصمة 56.5% كوسط حضري ، ثم تأتي المساكن الهامشية في المركز الثاني وأعلى نسبة لها في محافظة الحديده والجوف وحجه 24% والمهره. وبنسبة $\frac{2}{5}$ من مساكن الحديده وقرابة 37% من إجمالي مساكن الجوف و29% في حجه و25% في المهره كما ترتفع هذه النسبة عن المعدل العام في البلاد في كل من (محافظات مأرب 17% واين 13% وشبوه 12%) ، اما اقل نسبة لهذا النوع من المساكن فنجده في أمانة العاصمة أقل من 1% من إجمالي المساكن فيها وذمار 1.5% ، واما فيما يتعلق بالمسكن (الشقة ، وجزء من مبنى) فنجد النوع الأول منتشرا في الوسط الحضري وتشكل 27%و20% من إجمالي المساكن في أمانة العاصمة ومحافظة عدن على التوالي ، واما النوع الثاني فيقرب من 11.5% من إجمالي المساكن في عدن .

مصدر المياه :-

إن المؤشرات الخاصة بمصادر المياه التي تتزود بها المساكن كانت متفاوتة علـــى مســتوى الجمهوريــة ويشير الجدول (7) إلى أن نسبة المساكن التي مصدر تزودها بالماء من الآبار تمثل 37.75% مــن إجمــالي المساكن ، تلي ذلك المساكن التى مصدر تزودها بالماء من مشروع عام 21.18% من إجمالي المســاكن ، ثم يأتي بعد ذلك مشروع المياه التعاوني 11.89% ثم من العيـــون 10.04% والمشـــروع الخـــاص5.9% وتوزعت بقية النسب على المصادر الأخرى .

وإذا أخذنا نسبة المساكن على مستوى المحافظات فقد كانت اعلى نسبة للمساكن المزودة بحنفيـــة (الماء مشروع عام + تعاوني + خاص) في محافظة عدن وبنسبة 90.76% من إجمالي المساكن في المحافظــة ، تأتي بعد ذلك أمانة العاصمة 87.4% من إجمالي مساكنها ، ثم تأتي محافظة حضرمـــوت بالمرتبــة الثالثــة 79.14% من إجمالي مساكنها ، ثم الحديده بنسبة 49.06% من إجمالي مساكنها ، وقد تفاوتت النســب في بقية المحافظات الاخرى حيث كانت اقل نسبة في محافظة الجوف 10.97% من إجمالي مساكن المحافظــة .

اما على مستوى الريف والحضر فنجد أن 67.47% من إجمالي المساكن في الحضر مصـــدر مياهــها مشروع عام وتأتي الآبار المصدر الثاني 12,7% من إجمالي المساكن ، فى حين نلاحـــظ ان أعلـــى نســـبة للمساكن الريفية التي مصدر مياهها الآبار 45,8% ، ثم تأتي العيون بوصفـــها مصـــدرا ثانيـــا (13.2) وبنسبة10% من إجمالي المساكن الريفية ، ويغطي المشروع العام 6.4% من مساكن الريـــف ، وبلغـــت نسبة المساكن المزودة بحنفية مياه 84.6 % من اجمالي المساكن الحضرية مقابل 24% من إجمالي المســـاكن الريفية .

جدول (6)التوزيع النسبي للمساكن بحسب نوعاها في الريف والحضر وإجمالي الجمهورية

المحافظة	السكن الحضري			السكن الريفي			السكن الجماعي			السكن الخاص			مؤسسة التعليم			المساكن الهامشية			السكن الآخر			المجموع
	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	ريف	حضر	إجمالي	
الأمانة	-	56.5	56.5	-	27.3	27.3	-	1.5	1.5	-	8.5	8.5	-	0.9	0.9	-	5.3	5.3				100
صنعاء	80.8	77.1	08 6	2.7	6.	3.2	1.8	2.1	1.8	8.9	7.1	8.8	4.8	0.4	4.6	0.9	2.7	1				100
عدن	90.5	60.8	63.1	0.9	21.8	20.1	0.4	0.4	-	0.1	2.5	2.3	8.4	11.9	11.6	0.1	2.6	2.4				100
تعز	88	54.4	82.2	1.6	29	6.4	0.7	1.5	0.5	4.7	7	5.1	4.2	3.1	4	0.9	5	1.6				100
الحديدة	31.1	74.6	43.9	5.8	13.9	8.2	0.8	1.4	0.6	2.2	5.4	3.2	59.8	2.4	42.9	0.5	2.4	1.1				100
إب	83.4	82.6	83.3	0.8	6.5	1.1	1	2	1	10.1	3.8	9.8	4	2	3.9	0.6	3.1	0.7				100
ذمار	86.5	66	83.9	2	18.6	4.1	1.2	1.1	1.2	6.3	7.3	6.4	3.2	1	2.9	0.9	6	1.5				100
لحج	72.9	70.1	72.4	1.7	15.4	4.2	1.5	1.7	1.5	8.7	6.1	8.2	14.5	4.9	12.8	0.6	1.9	0.9				100
شبوة	88.9	79.8	88.1	2	8.6	2.6	1.2	1.6	1.2	5.5	5.3	5.5	1.6	0.8	1.5	0.9	4	1.2				100
البيضاء	70.2	74.7	70.6	2.4	11.6	3.4	1.1	1.7	1.1	12.2	5.2	11.5	13.2	3.5	12.2	1	3.3	1.2				100
حضرموت	81.8	80.8	81.6	2.3	8.1	3.3	1.1	1.5	1.1	6.9	7	6.9	7	0.7	5.9	0.9	2	1.1				100
الجوف	84.7	72.3	80.7	0.9	13.9	5.2	0.5	0.8	0.5	3.5	5.2	4	9.8	7.3	9	0.5	0.6	0.5				100
مأرب	77.8	63.2	76.1	2.3	9.8	3.2	2.8	3.1	2.9	9.1	13	9.5	7.2	7.2	7.2	0.8	3.7	1.1				100
المهرة	83.7	80.8	83.5	1.5	7	1.8	1	2.6	1.2	7.8	7.7	7.8	5.6	0.3	5.2	0.4	1.6	0.5				100
الضالع	60.9	75.5	65.7	0.5	12.9	4.6	0.4	2.9	1.2	1.4	5.8	2.8	34.5	1.8	23.9	2.3	1.1	1.9				100
ريمة	70.6	63.5	69.8	2.3	9.8	3.1	2	4	2.2	6.1	6.7	6.2	18	6.7	16.8	1	9.3	1.9				100
العرقة	50.9	78.7	55.4	0.9	1.6	1	1.4	4	1.8	3.5	2.5	3.3	41.8	10.9	36.8	1.5	2.4	1.7				100
محلة	55.5	49.6	55	2.4	9.6	3.1	1.7	5.2	2	9.9	8.9	9.8	29.4	22.9	28.8	1.1	3.8	1.3				100
الإجمالي	75.3	63.8	72.6	2.4	20.2	6.6	1.2	1.5	1.2	6.6	6.5	6.6	13.7	4.3	11.5	0.8	3.8	1.5				100

– الجهاز المركزي للإحصاء ، ظروف السكن في اليمن ، 1998م ، ص 25 ، 27 ، 28 .

جدول (7) التوزيع الجغرافي للمساكن بحسب المحافظات ومصدر المياه

المحافظات	غير	مشروع خاص	مشروع تعاوني	مشروع عام	عين	بركة مفتوحة	بركة مغطاة	مجرى مفتوح	مجرى مغطى	أخرى	الاجمالي
الأمانة	18243	12523	9402	110976	182	98	296	74	72	178	152044
صنعاء	93613	11893	23369	14148	43840	37288	10177	6750	918	107	242103
عدن	4539	1224	2035	68965	530	1418	320	324	24	203	79582
تعز	159519	10857	39757	55863	26095	4725	23963	6297	1156	294	328526
الحديدة	120073	20605	63976	51873	2988	6536	6876	4407	582	221	378137
تعز	57696	1193	2285	18763	3247	1744	1703	1637	1544	75	89887
إب	82100	23107	44339	30104	55003	6222	14225	13569	1965	150	270784
لحج	20466	3616	4410	16259	1436	1603	3433	1351	630	95	53299
ذمار	50295	6424	16459	20079	34044	17338	6285	6326	1566	90	158906
شبوة	12873	4181	9000	5433	1613	5565	1479	1133	598	171	42046
الجوف	94337	3174	6160	9600	23186	13051	5181	12796	1116	90	168691
البيضاء	29668	7024	13900	4484	1091	1684	764	623	25	41	59304
حضرموت	4785	16039	17783	46374	3308	8293	1077	2376	1267	29	101331
صعدة	35105	3175	2834	3752	3532	8566	5562	3861	166	88	66641
المحويت	14127	1099	1970	5291	19202	3994	5630	3564	651	85	55613
المهرة	3823	71	1525	2437	342	831	214	336	62	1	9642
مأرب	14256	2909	1579	620	776	1249	568	305	137	28	22427
الجوف	14465	888	542	608	338	833	228	598	79	0	18579
الاجمالي	829983	730025	261325	465629	220753	121034	97981	66827	12855	1946	2197542
الاجمالي %	37.8	75.2	11.9	21.2	10.0	5.5	2.40	3.0	0.6	0.1	100

- الجهاز المـــركزي للإحصـــاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعـــام 1994م ، التقرير العام ، صنعاء،1996م . ص 198–201.

- وسيلة الإنارة :-

يعد مؤشر إنتشار الشبكة الكهربائية على مستوى الجمهورية مقارنة بالوسائل الاخرى من المؤشـــرات المهمة لما يعطيه من دلائل للتطور الذي تحقق في هذا الجانب وأثره في تنمية وتطور القطاعـــات الاخـــرى أهمها الصناعية والاتصالات ، ومـــن هذا المنطلق وبالرجوع الى الجدول (8) نجد أن أعلى نسبة للمساكن التي وسيلة انارتها الكيروسين / جاز تمثل 54,5% من إجمالي مساكن اليمـــن وتعد هـــذه النســـبة مرتفعة مقارنة بالوسائل الاخرى ، ثم تأتي بعد ذلك المساكن التي وسيلة إنارتها من مشروع كـــهرباء عـــام وتمثل 27.2% من إجمالي المساكن ، ويلي ذلك المساكن التي تستخدم الغاز وتمثل 6.15% ومشـــروع الكهرباء الخاصة بنسبة 4.34% والكهرباء التعاونية 3.80% ، والمولد الخـــاص 2.62% مـــن اجمـــالي المساكن في اليمن .

اما التوزيع النسبي للمساكن المزودة بالكهرباء (عام ، تعاوني ، خاص) على مستوى المحافظات فقد مثلت أمانة العاصمة أعلى نسبة 98.4% من اجمالي مساكنها ثم تأتي بعد ذلك محافظة عدن وتمثل 83.61% من اجمالي مساكنها ، تليها محافظة حضرموت 69.76% من إجمالي المساكن ، ثم محافظة أبين 47.93% من اجمالي مساكن المحافظة ثم شبوه 46.18% من إجمالي مساكنها ، وقد كانت النسب متفاوتة في بقية المحافظات حيث كانت أقل نسبة في محافظة الجوف 7.77% من إجمالي المساكن في المحافظة ، كما هو موضح بالجدول(8)..

وإذا أخذنا نسبة المساكن بحسب وسيلة الإنارة على مستوى حضر وريف الجمهورية فنجد ان 80.12% من إجمالي المساكن الحضرية وسيلة انارتها المشروع العام ، فى حين ان 68.55% من المساكن الريفية تستخدم الكيروسين (الجاز) وتعد وسيلة الإنارة الأساسية في الريف ، ثم تأتي الكهرباء بكل أصنافها (عام – تعاوني– خاص– مولد خاص) في المركز الثاني حيث تمثل نسبة المساكن المزودة بها بما يقرب من 22.2% من المساكن الإجمالية في الريف وتبلغ هذه النسبة 87.3% من إجمالي المساكن الحضرية .

جدول (8) التوزيع الجغرافي للمساكن بحسب المحافظات ووسيلة الإنارة

المحافظات	مشروع عام	مشروع تعاوني	مشروع خاص	الإجمالي خاص	كاز وشمع وحطب	عادية	أخرى	غير مبين	الإجمالي
الأمانة	146093	3220	295	183	1062	280	911	0	152044
عدن	41568	7967	11433	8863	140032	28439	3801	0	242103
لحج	65288	1020	229	461	10565	422	1597	0	79582
تعز	63439	10495	15062	5566	229296	2573	2095	0	328526
الحديدة	54328	13024	8170	2986	196597	875	2157	0	278137
إب	25050	3681	2295	2799	45356	10253	453	0	89887
ذمار	53645	13079	18988	9243	161583	10328	3918	0	270784
البيضاء	23224	1626	696	858	17119	8842	846	88	53299
شبوه	15130	3862	8307	3758	95306	29926	2617	0	158906
حجة	10140	6372	2905	2327	16831	1841	1471	159	42046
المحويت	11401	1487	4421	6666	138639	4006	2071	0	168691
مأرب	7687	6763	10098	3395	18959	11111	1291	0	59304
حضرموت	58768	5869	6045	3532	25264	311	1542	0	101331
صنعاء	2683	2091	2581	3948	34868	19568	902	0	66641
الجوف	9234	1110	2752	1475	36022	4452	1468	0	56513
المهرة	3166	910	171	135	4212	26	1022	0	9642
ريما	6593	565	575	826	11947	1371	507	43	22427
الجوف	477	498	469	653	14512	642	1328	0	18579
الإجمالي	547[illegible]	83689	95491	57678	1198170	135266	29097	290	2198442
النسبة	/27.2	/23.8	/4.3	/2.6	/54.5	/6.2	/1.4	/0.001	/100

- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م ، التقرير العام ، صنعاء، 1996م. ص204-207.

4- طريقة الصرف الصحي :-

تعد طريقة الصرف الصحي للمساكن عن طريق الشبكة العامة من أهم المشاريع التي يجب أن تعمل الدولة على توفيرها ولا سيما في المدن الرئيسة والحد من إستخدام الوسائل الاخرى غير الصحية في مختلف المناطق ، وتوعية السكان بأهميتها وبمخاطرها الصحية والبيئية ، إذ يلاحظ من الجدول (9) أن المساكن التي لا تمتلك مرحاضا أعلى نسبة إذ تبلغ 48.47% من إجمالي المساكن اليمنية وهي نسبة عالية ولابد من العمل على تخفيض هذه النسبة من خلال إحلال الوسائل الصحية الاخرى ، ثم تأتي بعد ذلك المساكن التي وسيلة الصرف الصحي بها حفرة مغلقة وتمثل 22.7% من إجمالي المساكن ، ثم تليها الحفرة المكشوفة 18.23% وفي الاخير تأتي المساكن المرتبطة بالشبكة العامة للصرف الصحي وتشكل 10.57% من إجمالي المساكن في اليمن .

أما على مستوى المحافظات فإن محافظة عدن تحتل أعلى نسبة من المساكن التي تستفيد من المجاري العامة إذ بلغت 72.35% من إجمالي مساكنها ، وتليها أمانة العاصمة في هذا النوع إذ يرتبط 24.98%

من مساكنها بشبكة من المجاري العامة ، ثم تأتي محافظة حضرموت وبنسبة 14.9% من إجمالي مساكنها ، ثم أبين وبنسبة 12.41% ،وبعدها محافظة تعز بنسبة 11.72% والحديده 10.7% من إجمالي مساكنها مرتبطة بالمجاري العامة ، أما بالنسبة لبقية المحافظات فإن أقل من عشر مساكنها تستخدم الشبكة العامة للصرف الصحي وبنسب متفاوتة ، وإذا أخذنا هذه الخدمة على مستوى الريف والحضر فإننا نجد ان طريقتي الصرف الصحي بوساطة حفرة مغلقة وشبكة عامة يعدان الوسيلتان الاساسيتان للمساكن في الحضر وتمثل 44.12% و 39.81% من إجمالي المساكن الحضرية على الترتيب ، اما في الريف فنجد ان 61% من إجمالي المساكن لا توجد لديها وسيلة صرف صحي وان 22% من مساكنه تستخدم الحفر المكشوفة وكلا الطريقتين لها مخاطرها الصحية والبيئية .

جدول (9) التوزيع الجغرافي للمساكن بحسب المحافظات وطريقة الصرف الصحي

المحافظات	شبكة عامة	حفرة مغلقة	حفرة مكشوفة	لا يوجد	غير مبين	الاجمالي
الامانة	37985	106780	1615	5664	0	152044
صنعاء	4177	38403	58847	140675	1	242103
عدن	57579	10700	2593	8710	0	79582
تعز	38496	76610	85224	128196	0	328526
الحديدة	29777	74852	18843	154665	0	278137
ذمار	4585	12073	9208	64021	0	89887
اب	17478	52431	63322	137553	0	270784
ابين	6615	10288	6507	29803	86	53299
إب	9402	22525	40144	86835	0	158906
شبوه	2003	6305	12993	20565	72	41938
حجه	3646	14710	28517	121818	0	168691
البيضاء	2863	11176	11238	34027	0	59304
حضرموت	15115	35713	26690	23813	0	101331
لحج	994	12870	19740	33037	0	66641
المحويت	972	5558	8942	41041	0	56513
المهره	263	2256	1968	5155	0	9642
مأرب	225	4982	1579	15607	26	22419
الجوف	95	1308	2776	14400	0	18579
الاجمالي	292270	499540	400746	1065585	185	2198926
النسبة	10.6	22.7	18.2	48.5		100

- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م ، التقرير العام ، صنعاء، 1994م. ص202-203.

5- إستخدام وقود الطهي :

يعد الوقود المستخدم في الطهي من المؤشرات المهمة لمعرفة أوضاع السكن في اليمن إذ يغلب استخدام الحطب والفحم على غيره من الاستخدامات مما يترتب عليه نتائج سلبية من ناحيتين هما قطع

الأشجار لاستخدامها وقودا وتلوث البيئة فضلا عن النتائج السلبية الأخرى في مجال الزراعة وغيرها ، ومن الجدول (10) يلاحظ أن أعلى نسبة هي المساكن التي تستخدم الحطب والفحم وقودا للطهي وتمثل 57% من إجمالي المساكن اليمنية وهي نسبة مرتفعة مما يوجب على الدولة ان تعمل من أجل تخفيض هذه النسبة وإحلال البدائل الأخرى المناسبة بدلا عن الحطب والفحم ولا سيما الغاز ، ثم تأتي بعد ذلك المساكن التي تستخدم الغاز وتمثل 32.8% من اجمالي المساكن اليمنية ويعد هذا مؤشرا إيجابيا على الرغم من أن اليمن منتج لهذه المادة ، ولابد أن تقدم التسهيلات المادية للتوسع في إستخدامها في عموم المحافظات اليمنية ، تليها المساكن التي تستخدم الكيروسين (الجاز) وبنسبة 4.8% من إجمالي المساكن وتوزعت بقية النسب وقدرها 6% من المساكن بإستخدامات أخرى لوقود الطهي .

اما على مستوى المحافظات فإن نسبة 82.04% من مساكن أمانة العاصمة تستخدم الغاز وقودا ، وتليها مساكن محافظة عدن إذ تستخدم هذه المادة 68.72% من إجمالي مساكنها ، ثم تأتي محافظة حضرموت وبنسبة 65% من مساكنها ، ثم محافظتي البيضاء والمهره وبنسبة 55% من مساكن كل منهما ، وقد تفاوتت النسب في بقية المحافظات وكانت أقلها في محافظة الحديده 13.7% من إجمالي مساكنها تستخدم الغاز وقودا لها .

وهذه كما قلنا تعد مؤشرات إيجابية لما تمثله من أهمية في الاتجاه لاستخدام الغاز وسيلة للطهي بدلا عن الوسائل الأخرى ولاسيما الحطب والفحم ..

إن أعلى نسبة لاستخدام الحطب والفحم وقودا في محافظة صنعاء وبنسبة 78.4% من إجمالي المساكن فيها ، ثم محافظة المحويت وبنسبة 77.7% من مساكنها ثم محافظة ذمار 76.2% والجوف72.6% من إجمالي مساكن هذه المحافظات وقد كانت أقل النسب لاستخدام الحطب والفحم في محافظة عدن حيث تمثل 14.2% من إجمالي مساكن المحافظة .

أما على مستوى الريف والحضر فإن نسبة 70.5% من إجمالي المساكن الحضرية في اليمن تستخدم الغاز وقودا للطهي ، في حين يعد الحطب والفحم الوقود الأساسي لمساكن الريف إذ تستخدمه 72% من المساكن الريفية ، ويأتي إستخدام الغاز بالمرتبة الثانية وبنسبة 20.7% من اجمالي المساكن الريفية.

جدول (10) التوزيع الجغرافي للمساكن بحسب المحافظات واستخدام وقود الطهي

المحافظات	الأجفاف فحم	غاز	كيروسين فحم	كهرباء	أخرى	غير مبين	الإجمالي
الأمانة	8786	124741	1915	195	5681	10726	152044
صنعاء	189800	44199	1707	363	1707	4327	242103
عدن	11279	54685	3607	58	1811	8124	79582
تعز	206124	97918	7184	366	5166	11762	328526
الحديدة	165775	38022	59355	315	4017	10653	278137
لحج	43523	36567	5771	167	615	3244	89887
إب	173882	83239	2669	283	3299	7412	270784
أبين	21179	25242	3734	74	333	2737	53299
ذمار	121086	259020	1138	189	5639	4952	158906
شبوة	23170	15011	260	38	248	3319	42046
حجة	125318	26382	13518	317	1288	1868	168691
البيضاء	23782	32631	501	105	467	1818	59304
حضرموت	23406	65863	1787	84	449	9742	101331
صعدة	42584	22007	755	117	451	727	66641
المحويت	43883	10028	1109	65	570	858	56513
المهرة	2309	5301	330	10	111	1521	9642
مأرب	13549	7811	82	40	226	719	22427
الجوف	13481	4627	69	18	73	311	18579
الإجمالي	1252934	720176	105551	2804	32151	84826	2198442
النسبة	57	32.8	4.8	0.1	1.5	3.9	%100

- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م ، التقرير العام ، صنعاء، 1996م. ص 208-209.

▫ رابعا : مشكلة السكن في اليمن :-

(I)- أسباب مشكلة السكن :-

تؤدي عدة أسباب في ظهور مشكلة السكن منها الأسباب السكانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهي متداخلة ولا يمكن فصل أحدها عن الآخر .

(أ)- الأسباب السكانية :-

يعد النمو السكاني في اليمن من الأسباب الرئيسة المرتبطة بقضية السكن بشكل مباشر، ولذلك نجد تأثيره واضحا في مشكلة السكن في اليمن ،فمن الواضح انه لا يوجد تكافؤ بين النمو السكاني الذى يتميز بالسرعة والارتفاع وبين النمو في أعداد المساكن ، لقد قدر عدد سكان اليمن

المقيمين عام 1988م بما يقرب (10.310.609) نسمه وعدد المساكن (1.822.090) مسكن للعام نفسه أي قرابة 177 مسكنا لكل الف نسمه وانخفضت هذه النسبة الى ما يقرب من 150 مسكنا لكل الف نسمة عام 1994م ، وهذا يعود الى ارتفاع معدل النمو السكاني من 2.5% عام 1975 الى3.7% عام 1994م نتيجة لانخفاض معدل الوفيات واستمرار ارتفاع معدل الولادات ، فضلا عن زيادة الهجرة من الريف الى المدن ، وعودة اكثر من مليون مغترب من دول الخليج العربي في عام 1990م ، كل هذه العوامل ساعدت على زيادة الطلب على المساكن والخدمات الأساسية اللازمة لها ، فعلى سبيل المثال : لقد تضاعف سكان أمانة العاصمة خلال تسع سنوات من نصف مليون نسمه عام 1986 الى ما يقرب من مليون نسمه عام 1994م ، ولذلك انخفضت نسبة عدد المساكن فيها من 176 مسكنا لكل الف نسمه الى 159 مسكنا لكل الف نسمة خلال المدة نفسها مما ادى الى ظهور ازمة في السكن وارتفاع ايجارات المساكن لا سيما في المدن الرئيسة بشكل كبير والذي قد يفوق في كثير من الاحيان نصف دخل الاسرة في هذه المدن.

(ب)-الأسباب الاقتصادية :-

لقد حدثت تغيرات اقتصادية وسياسية خارجية وداخلية منذ منتصف الثمانينات أثرت في الاقتصاد اليمني بشكل سلبي كان منها انخفاض أسعار النفط العربي الذي انعكس بدوره على العمالة اليمنية العاملة بالدول النفطية ولذلك انخفضت تحويلات المغتربين التي كانت من المصادر الأساسية لرفد الاقتصاد اليمني ولدعم قطاع الإسكان حتى انقطعت تماما من عام 1991 بعد عودة المغتربين الى اليمن بسبب حرب الخليج الثانية مما أدى إلى زيادة الأزمة الاقتصادية اليمنية ، فضلا عن النفقات المالية الكبيرة التي رافقت خطوات إعادة الوحدة وما أعقبها من إهدار للمال العام حتى انتهى المطاف بحرب الانفصال عام 1994م الذي سبب خسائر فادحة ارهقت الاقتصاد اليمني ، وبما ان السكن من الأمور المكلفة التي تحتاج الى استثمارات كبيرة فضلا عن أن الموارد الاقتصادية ضعيفة على مستوى الفرد والدولة فإن مشكلة السكن تزداد حدتها فيظل التدهور الكبير في مستوى دخل الفرد وانخفاض مستوى معيشته .

(ج)- الأسباب الاجتماعية والثقافية :-

ادى التطور الاجتماعي والثقافي الى زيادة عدد الاسر الصغيرة بسبب رغبة تلك الاسر الشابة في الاستقلال وتكوين اسر مستقلة بذاتها مما يستدعي ايجاد مساكن جديدة خاصة بها ولاسيما في ظل ارتفاع الوعي الثقافي لدى الشباب نتيجة انتشار التعليم ووسائل الاعلام والمؤسسات الثقافية المختلفة ، مما ادى الى زيادة الطلب على السكن وبخاصة من قبل الفئات ذات الدخل المتوسط ، امـا

أسر الفئات الفقيرة فما زالت تسكن الى جانب الأسر الكبيرة مشكلة أسرا مركبة كبيرة الحجم كما مر بنا في الدراسة .

ومن الأسباب الاجتماعية التى آثرت في وضع السكن وأسهمت في تبلور مشكلته ان كثيرا من المباني المعدة للسكن ولا سيما الكبيرة منها استخدمت في أغراض أخرى بحثا عن الدخل العالى العائد من إيجارات تلك المبانى اذ استخدمت في مجالات متعددة بهدف التجارة والاستثمار ولاسيما في مجال التعليم كالمدارس والجامعات الأهلية والخاصة والمعاهد المختلفة ، وفي مجال الصحة كالمستشفيات والمستوصفات والمختبرات والعيادات وغيرها من المؤسسات الطبية الأخرى ، واما للفندقة والسياحة ، او مقرات للمؤسسات والاجهزة الحكومية او للأحزاب والتنظيمات السياسية او الجمعيات والنقابات والاتحادات وغيرها من مؤسسات المجتمع المدنى ، وكان من الاولى ان يتم بناء مقرات لتلك المنشآت تصمم بشكل يتناسب مع وظيفتها .

2- أهم المشاكل التى تواجه السكن في اليمن :

تعد مشكلة السكن من أهم المشكلات التي أصبحت تشكل تحديا حقيقيا امام العديد من الدول ولا سيما النامية والأقل نموا اذ تحتل أولوية في كثير من الخطط التنموية الاقتصادية والاجتماعية كون الاهتمام بقطاع السكن يعني الاهتمام بالإنسان وكرامته وحريته ،الا انه على الرغم من هذا الاهتمام فان هناك عجزا واضحا في تلبية حاجات السكن من حيث الكم والنوع والخدمات الأساسية ، ومن اهم مظاهر المشكلة انتشار ظاهرة السكن في الأحياء غير المخططة في المدن والسكن الهامشى والسكن المتدني الذى لايتلاءم مع حقوق الإنسان وكرامته ، فضلا عن انتشار ظاهرة الازدحام وارتفاع ايجارات المساكن بالنسبة لدخل الاسرة ، والسكن في أماكن لم تنشأ أساسا لأغراض السكن ،كالدكاكين والورش والأفران والمعامل والمنشآءات المهجورة وغيرها .

ومن اهم المشاكل التي تواجة السكن في اليمن النقص الكبير في توافر الخدمات الأساسية للمسكن كالكهرباء والماء النقي والصرف الصحي فضلا عن ارتفاع نسبة عدد المساكن الهامشية وكما يأتي :

1- مشاكل نوعية السكن : بلغت اعداد المساكن لعام 1994على مستوى اليمن 2198442مسكنا منها قرابة 87% مساكن مقبولة من الناحية العددية والمشكلة تبرز بشكل واضح في ارتفاع نسبة عدد المساكن الهامشية التى لم تعد تحت المستوى القياسي وتشمل (الصندقة والعشه والجرف والخيمة والمنشأة والمسكن المرتجل) والمساكن التى لم تعد أساسا للسكن البشرى كالورش والدكاكين والجروف وغيرها والتى بلغ عددها المطلق (282284) مسكنا وتمثل نسبة 13.5%من إجمالي المساكن

اليمنية ,وتبلغ نسبتها8.1%من إجمالي المساكن الحضرية و14.5%من إجمالي المساكن الريفية ،اذ نجد ان ما يقرب من 85% من المساكن الهامشية توجد في الريف .

اما على مستوى المحافظات فنجد ان محافظتي الحديدة وحجة تحتوى على 56.6%من إجمالي المساكن الهامشية وتمثل قرابة 44%من إجمالي مساكن محافظة الحديدة وقرابة ثلث مساكن محافظة حجة وهذه نسبة مرتفعة جدا مقارنة بالمحافظات الاخرى ، ولا تتوافر فيها مواصفات المسكن الملائم لا من حيث الحجم ولاعدد الغرف ولا توافر الخدمات الأساسية للمسكن ولا مواد البناء ونسبة الأمان .

اما على مستوى الريف والحضر فأنه يوجد قرابة 25%من المساكن الهامشية الحضرية فى مدينة عدن ،ثم تأتى مدينتا صنعاء وتعز وفيهما 23% و 11% على التوالى ، ولذلك نؤكد ان هناك مشكلة حقيقية تخص نوعية السكن فى اليمن ولا سيما في عدد من المحافظات سواء فى الحضر أم الريف إذ ترتفع نسبة المساكن غير الملائمة للسكن البشرى وهو دون المستوى الملائم او حتى المقبول من حيث مكوناتها وحجمها ومواد البناء والخدمات الضرورية لها .

2-**النقص فى المساكن مقابل حاجة السكان** : تستخدم عدة مقاييس لمعرفة حجم المشكلة الإسكانية ومنها :مقارنة المساكن بعدد الاسر وفى هذا الجانب أشارت نتائج تعداد عام 1994إلىانه يقابل كل 98.4أسرة مائة مسكن على مستوى اليمن وهناك تباين بين الريف والحضر ففى الريف يقابل كل أسرة مسكن من الناحية العددية ،أما فى الحضر فيقابل كل 94أسرة مائة مسكن ولذلك فإن المخزون السكنى في الحضر افضل من الريف ،اما على مستوى المحافظات فيوجد إختلاف من محافظة الى أخرى ففى محافظة شبوه يقابل كل 108أسر مائة مسكن ،و103 أسر مقابل مائة مسكن فى كل من محافظات صنعاء والمحويت وحجة و غيرها ، وعليه فالمشكلة كانت في عام 1994ليست كبيرة بناء على هذا المقياس وذلك يعود الى كبر حجم الأسرة في اليمن الذي يبلغ ما يقرب من 7 أفراد .

- **معدل عدد المساكن لكل الف نسمة** : من النتائج النهائية لتعداد عام 1994 إتضح أن لدي اليمن ما يقرب من (150) مسكنا لكل ألف نسمة وهذا معدل منخفض جدا مقارنة بالمعدل العالمي البالغ (257) مسكنا لكل الف نسمه وحتى بالمقارنة مع عدد من الدول العربية كالأردن مثلا الذي يبلغ فيه هذا المعدل (172) مسكنا لكل ألف نسمة لعام 1990م ، ولذلك فان اليمن بحاجة الي ما يقرب من (150) ألف مسكن لتصل الى المعدل الأردني .
- **متوسط عدد الأفراد في الغرفة الواحدة** : لقد بينت نتائج تعداد عام 1994 أن متوسط عدد الأفراد في الغرفة الواحدة بلغ 2.6 أفراد وهذا المتوسط قريب من المعدل الدولي البالغ 2.5 أفراد لكل غرفة ، ويظهر التفاوت بين المحافظات بشكل كبير إذ أن المتوسط بلغ 3.4 أفراد للغرفة في محافظة الحديده ،

ويقرب من 2.8 –3 أفراد في الغرفة في محافظات لحج وحجة والمهرة وأبين والجوف وهو معدل مرتفع عن المعدل العام لليمن والمعدل العالمي ، كما ان هناك قرابة 54% من أجمالي الأسر في محافظة الحديده تسكن كل منها في غرفة واحدة ،وترتفع هذة النسبة إلي 60% من الأسر الريفية في المحافظة.

3ـ **تدني الخدمات الأساسية للمساكن** : لم يتعرض تعداد عام 1994 إلا لأربع خدمات أساسية للمسكن فقط هي الإنارة والماء والصرف الصحي ووسيلة الوقود ، وحتى توافر هذه الخدمات في المسكن لا يرقى به الي المسكن الملائم للإنسان ، ومن الدراسة التفصيلية نجد انها متدنية بشكل كبير مقارنة مع الدول النامية ومنها الدول العربية ، فالكهرباء تغطى 35% فقط من إجمالي المساكن اليمنية ، ونحو 86% من المساكن الحضرية من مختلف المصادر (شبكة عامة– تعاونية – خاصة) وتغطى فى الريف19% من إجمالي المساكن والذى يضم ثلاثة أرباع سكان اليمن اما بالنسبة للصرف الصحى فان الشبكة العامة لا تغطى سوى 10.6% فقط من إجمالي مساكن اليمن و40% من إجمالي المساكن الحضرية وتكاد تكون معدومة في المساكن الريفية إذ تغطي سوى 1.2% من مساكنه .

وهذه مشكلة كبيرة تهدد البيئة وصحة السكان ولا سيما فى المدن الرئيسة التى تنتشر بها الحفر الخاصة (البالوعات) وهى معرضة للطفح بين فترة واخرى وتشكل تهديدا بيئيا وصحيا ويصعب معالجة هذه المشكلة مع زيادة النمو السكانى والتوسع العمرانى سواء فى الحضر أم الريف .

أما بالنسبة للمياه النقيه فإن 39% من اجمالي المساكن في عموم اليمن تستخدم المياه بوساطة الانابيب ومن مختلف المصادر(شبكة عامة ، تعاونية ، خاصة) مما يجعل اليمن من الدول التي تعاني من إنخفاض نسبة التغطية بهذه الخدمة المهمة مقارنة مع الدول النامية والاقل نموا ، ويوجد تباين بين الريف والحضر في هذه الخدمةفإن المساكن المستفيدة من هذه الخدمة تبلغ 84.6% من المساكن الحضرية ، وتنخفض هذه النسبة الى ما يقرب من ربع المساكن الريفية من جميع مصادر المياه المذكورة سابقا ، وعموما فإن المساكن الهامشية ومساكن الفقراء هي الأكثر حرمانا من هذه الخدمات ، وهذه البيانات التى استعرضناها من الجانب العددي او الكمي ستزيد المشكلة تعقيدا اذا تمت الدراسة بناءا على الجانب النوعي ومدى كفاءة تلك الخدمات وقدرتها على توفير الراحة والاستقرار للإنسان بحسب تعريف المسكن الكافي او الملائم والمطلوب توفير الحد الادنى من الراحة وهذا الشرط غير متوافر حتى في المساكن التي تتمتع بتلك الخدمات سواء في الريف أم الحضر فشبكة الكهرباء غير كفؤة ولا تلبي احتياجات المساكن التي تخدمها بسبب تكرار انقطاع التيار معظم ساعات اليوم والليلة في المدن الثانوية والقرى الريفية ،وساعات في المدن الرئيسة ، كما ان المياه العامة لاتصل الا يوم واحد في الأسبوع في العاصمة او يومان في الشهر في بعض المدن الرئيسة كمدينة تعز على الرغم من إنخفاض نسبة تغطية هذه الخدمة فأين راحة السكان واستقرارهم ؟

جدول (11) النسبة المئوية للمساكن المزودة بالخدمات العامة (ماء – كهرباء – مجاري – وقود الطهي)
حسب حضر وريف المحافظات لعام 1994م

المحافظات	المساكن المزودة بخدمة الماء			المساكن المزودة بالكهرباء			المساكن المزودة بالمجاري			استخدام الوقود	
	الريف	الحضر	الإجمالي	الريف	الحضر	الإجمالي	الريف	الحضر	الإجمالي	حطب او فحم	بترول
صنعاء	17.8	62.1	20.4	21.9	77.7	25.2	1.3	8.4	1.7	78.4	18.3
عدن	20.4	96.9	90.8	16.5	89.4	83.6	1.8	78.5	72.4	14.2	68.7
تعز	20.3	89.6	32.4	14.1	88.2	27.1	1.2	61.2	11.7	62.7	29.8
الحديدة	24.5	80.1	49.1	8.1	67.7	27.2	0.6	32.4	10.7	59.6	13.7
لحج	21.0	93.4	24.7	31.2	95.0	34.5	1.6	69.0	5.1	48.4	40.7
إب	30.3	75.2	36.0	23.9	84.7	31.7	1.3	41.8	6.5	64.2	30.7
البيضاء	34.3	96.3	45.6	37.8	93.7	47.9	3.3	53.4	12.4	39.7	47.4
ذمار	20.8	89.1	27.0	9.8	90.3	17.2	0.7	57.1	5.9	76.2	16.3
شبوة	40.0	80.9	44.3	40.6	93.6	46.2	3.1	18.6	4.8	55.1	35.7
المهرة	7.9	44.3	11.2	5.6	57.0	10.3	0.9	15.3	2.2	74.3	15.6
الضالع	36.5	74.2	42.8	32.9	83.8	41.4	1.2	22.7	4.8	40.1	55.0
حضرموت	70.5	97.0	79.1	57.3	95.5	69.8	2.2	41.2	14.9	23.1	65.0
صعدة	8.8	58.7	14.6	7.0	41.8	11.0	0.8	6.9	1.5	63.9	33.0
الجوف	10.4	77.7	14.8	18.4	92.4	23.2	1.2	9.9	1.7	77.7	17.7
المهرة	29.0	68.4	41.8	21.1	91.7	44.1	2.0	4.2	2.7	24.0	55.0
مأرب	17.2	69.7	22.8	29.4	77.5	34.5	0.9	1.7	1.0	60.4	34.8
المحوف	7.2	30.3	11.0	3.9	27.6	7.8	0.5	0.7	0.5	72.6	24.9
الأمانة	-	87.4	87.4	-	98.4	98.4	-	25.0	25.0	5.8	82.0
الإجمالي	24.4	84.6	39.0	19.2	86.1	35.3	1.2	39.8	10.6	57.0	32.8

- مشروعات (عامة + تعاونية + خاصة).
- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م ، التقرير العام ، صنعاء، 1996م .ص 117.

ان مدن العواصم ومراكز المحافظات تعاني من الازدحام وارتفاع معدلات الايجارات الى مبلغ يقرب من 30–50% من إجمالي دخل الاسرة على اقل تقدير على الرغم من ان هذا المعدل لا يزيد عن 15% من دخل الاسرة في كثير من الدول النامية والدول المتقدمة، كما ان هذه المدن لا تتوافر فيها أدنى الخدمات للسكان وفي مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والرياضية وغيرها فلا يجد الفرد المكان المناسب لقضاء وقت الفراغ او للترفيه او التسلية او للعب الأطفال ولا سيما في أيام الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية والعطلات الرسمية فكيف تكون الراحة والاستقرار عند السكان ؟

في كثير من القرى والأحياء السكنية في المدن يقطع طلاب المرحلة الابتدائية الكيلومترات في رحلة يومية ذهابا وإيابا بين مسكنهم ومدرستهم وإذا أراد الفرد إسعاف مريضه فلا يجد الوسيلة اذا كان لا يمتلك سيارة ، فضلا عن ان الطبيب الاختصاص لا يوجد الا في بعض المدن الكبيرة التي لا تزيد عن أربع مدن او الى الخارج ان كان لديه القدرة .

ان مناقشة المشاكل التي تواجه السكن في اليمن في الريف او الحضر كثيرة ومتعددة ومتشعبة الجوانب ولذلك فإن المساكن التي لا تنطبق عليها معايير ومواصفات المسكن الملائم تعاني من مشاكل داخلية او خارجية او منهما معا ، ان المساكن اليمنية قد تكون مناسبة من حيث البناء والتصميم في كثير من القرى والمدن ولاسيما المساكن المستقلة والفيلات التي تشكل 73% من إجمالي المساكن ولذلك فإن العلاقات الداخلية بين السكان والمساكن قد تكون ايجابية نوعا ما ولكن من جهة ثانية قد تكون العلاقات الخارجية للمسكن صفرا بما في ذلك المساكن في عواصم المحافظات .

▫ خامسا :السكن ومتطلبات الأجيال القادمة في اليمن :-

لقد توصلت الدراسة التي أعدها باحثو الجهاز المركزي للإحصاء المشار إليها فيما سبق إلى أن الاحتياجات الفعلية المطلوبة من المساكن حتى نهاية عام 2005م قدرت بما يقرب من مليوني مسكن وهو حجم كبير يقارب عدد المساكن الموجودة وذلك لتحقيق ظروف سكنية مقبوله الى حد ما سواء من حيث نوع السكن ولتخفيف حدة التزاحم ولمواجهة الزيادة السكانية التي ستضيف قرابة نصف عدد السكان الحاليين حتى عام 2005 وتفاصيلها كما يأتي :-

1- المساكن المطلوبة لمواجهة النمو السكاني : إذا أخذنا العامل السكاني بوصفه عاملا من عوامل زيادة الطلب على السكن في المستقبل فإنه سيظل قائما حتى لو انخفض معدل النمو السكاني عن 3.5% نتيجة ان السكان اقل من 15 سنه يمثلون ما يقرب من نصف عدد سكان البلاد وهم مصدر تكوين الأسر الجديدة التي تحتاج الى المساكن الإضافية الجديدة ، فضلا عن أن استمرار الهجرة السكانية من الريف الى المدن ولا سيما المدن الرئيسة مما سيؤدى الى زيادة الطلب على السكن في المدن وزيادة الضغط على الخدمات اللازمة للسكن كالمياه والكهرباء والمجاري والخدمات الاجتماعية الأخرى وهي خدمات ليست في المستوى المطلوب أساسا وتعاني العديد من الاختناقات والعجز في التغطية مما يشير الى استمرار مشكلة السكن بل وربما زيادة تعقيدها على الأقل لعدة سنوات قادمة

وهذا الاستنتاج يمكن تأكيده من خلال الاسقاطات الرسمية المتوفرة حول السكان واوضاع السكن في اليمن خلاصتها ان فارق نمو الزيادة السكانية سيبلغ بين عامي 1994و2005 قرابة سبعه مليون نسمة وهؤلاء بحاجة الى (3.493.500) غرفة إضافية مما يساوي (1.164.500) مسكنا جديدا خلال الفترة المذكورة بناء على الاسقاطات السكانية المتوسطة (الاسقطاعات السكانية ، ص4) .

2- المساكن المطلوبة مقابل التخفيف من معدل التزاحم في الغرف : يبلغ المعدل الحالي 2.6 فردا في الغرفة ولابد من خفض هذا المعدل الى فردين في الغرفة بنهاية عام 2005 ولبلوغ عدد الغرف في المسكن الى 3 غرف بدلا من 2.6غرف فقد قدر الاحتياج الفعلي السنوي بما يقرب من 42804 مسكن ولذلك فإن اليمن بحاجة الى 510الاف مسكن جديد حتى عام 2005م .

3- المساكن المطلوبة لاستبدال المساكن الهامشية دون المستوى القياسي : بلغ عدد هذه المساكن في عام 1994م قرابة 282284 مسكنا أي اننا بحاجة الى استبدال نصفها خلال الفترة 2000-2005 وبمعدل 11762 مسكنا سنويا وبإجمالي قدره 141142 مسكنا جديدا خلال الفترة المذكورة .

4- فضلا عن توفير هذه الأعداد من المساكن لابد من توفير متطلباتها اللازمة من الخدمات الداخلية والخارجية للسكان كالكهرباء والمياه والصرف الصحي والوقود المناسب والمؤسسات التعليمية والصحية وغيرها من الخدمات الاجتماعية الأخرى .

5- وبناء المساكن وفق متطلبات السكن في الأزمان القادمة حسب ما أشارت إليه البحوث والدراسات التي ألقيت في مؤتمر السكن ومتطلبات الأجيال القادمة .

- سادسا : النتائج والمقترحات :

أ- أهم النتائج :-

1-تبين من خلال الدراسة انه في مقابل كل أسرة يوجد مسكن واحد تقريبا على مستوى اليمن ، ولكن هناك تباينا بين الريف والحضر وبين المحافظات ،وان المخزون السكني في الحضر افضل من الريف من الناحية الكمية ، كما انه يوجد نقص في عدد المساكن مقابل عدد الأسر في ست محافظات هي (شبوه وحجه وصنعاء والمحويت والجوف وصعده) ويقرب هذا النقص من 108 أسر لكل مائة مسكن في شبوه و102 اسرة لكل مائة مسكن في صعده .

2-يتجاوز متوسط عدد الأفراد لكل غرفة المعدل العالمي البالغ 2.5 أفراد لكل غرفة ويصل الى اعلى مدى في محافظات الحديدة ولحج وحجه والمهره وابين والجوف إذ يقرب من 3.4 أفراد لكل غرفة في الحديده و2.8 أفراد لكل غرفة في محافظة الجوف .

3-بينت الدراسة ان 88% من الأسر اليمنية تمتلك مسكنا خاصا بها بغض النظر عن نوعه وتنخفض هذه النسبة في الحضر الى قرابة 68% .

4-إن ما يقرب من 13% من إجمالي المساكن اليمنية هامشية ودون المستوى القياسي وبحاجة الى استبدال وترتفع هذه النسبة في عدد من المحافظات إذ بلغت قرابة 45% في الحديده و30% في الجوف وحجه و25% في المهره ، كما ترتفع نسبة هذه المساكن في عدد من المدن إذ ان قرابة نصف المساكن الهامشية في حضر الجمهورية تتركز في مدينتي عدن وصنعاء (25%و23% على التوالى) .

5-لوحظ ان الخدمات الأساسية للمساكن بشكل عام ما زالت متدنية ولا سيما في الريف اليمنى فالكهرباء لا تغطي سوى 38% من إجمالى المساكن اليمنية وان اكثر من نصف المساكن تستخدم الكيروسين (الجاز) للإنارة ، وتنخفض نسبة تغطية المياه والصرف الصحي عن نسبة تغطية الكهرباء ، وعموما فإن الحضر يحصل على خدمات افضل من الريف وان المساكن الهامشية أكثر حرمانا من غيرها من أنواع المساكن الأخرى .

ب- المقترحات :-

1-يجب ان تضع الدولة خطة إستراتيجية وطنية للإسكان معتمدة على منهج متكامل من حيث مواجهة زيادة الطلب على المساكن وتحسين أوضاع السكن الحالي وتوسعة التغطية بالخدمات الأساسية ووضع أولويات لذلك بحسب ظروف السكن لكل محافظة .

2- قيام الدولة بتنفيذ مشاريع إسكانية لصالح الفقراء وذوي الدخل المحدود من أفراد المجتمع .

3- تشجيع مشاركة القطاع الخاص والتعاوني والجمعيات السكنية ودعم هذه الجهات وتقديم التسهيلات اللازمة لها للاستثمار في مجال الإسكان .

4- التنسيق والتعاون بين جميع الجهات ذات العلاقة بالإسكان ابتداء من توفير الأرض اللازمة للبناء وانتهاء بتوفير الخدمات الأساسية للسكن من كهرباء ومياه وصرف صحي .

5- الاهتمام بالسكن الريفي ورفع نسبة تغطيته بالخدمات الأساسية بهدف الحد من الهجرة الريفية الى المدن .

6- الاهتمام بالدراسات والبحوث الخاصة بالسكن وأوضاعه والعوامل المؤثرة فيه وإستخدام نتائجها في عملية التخطيط والتنفيذ للمشاريع الإسكانية .

المصـــــادر

• **القي هذا البحث في الملتقى العربي** " السكن ومتطلبات الأحيال القادمة الذي نظمته جامعة ذمار خلال المـــدة 16-18 أكتوبر 2000م " .

1- برنامج الامم المتحدة للبيئة ، حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي ، ترجمة عبدالسلام رضوان ، من كتب عـالم المعـــرفة رقـــم (50) ، المجلـــس الوطني للثقـــافة والفـــنون والآداب ، الكويت ،1990.

2- الجهاز المـــــركزي للإحصاء ، الاسقاطات السكانية للجمهورية اليمنية للتقسيمات الإدارية والجغرافيـــة ، صنعـــاء 1996م.

3- الجهاز المركزي للإحصاء ، التحضر ونمو المدن في الجمهورية اليمنية مظاهره وآثاره ، صنعاء 1998م.

4- الجهاز المركزى للإحصاء ، ظروف السكن في اليمن دراسة غير منشورة ، صنعاء، 1998م.

5- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت لعام 1994م التقرير العـــام ، صنعـــاء ،1996م .

6- الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية ، لحصر المباني والمساكن والأسر في الجمهورية اليمنية ، صنعاء ، سـبتمبر 1996م

7- محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير ، المجلدين الاول والثاني ، الطبعة الرابعة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ،1981.

8- محمد على الصابوني ، مختـــصر تفسير ابن كثير ، المجـــــلد الثـــــاني ، الطبـــعة السابعة ، دار القرآن الكريم ، بـــــيروت ،1981.

9- محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، 1981م .

جيومورفولوجية جبل اللسي ذمار- الجمهورية اليمنية

د. أحمد الشامرائي *
د/ علي مشعل

منهجية البحث :

تقع الدراسة الحالية ضمن الدراسات الجيومورفولوجية التفصيلية لمنطقة تعد من أحدث المناطق البركانية وأكثرها نشاطا في اليمن، وهي منطقة جبل اللسي.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الخصائص الجيومورفولوجية والجيولوجية للمنطقة عن طريق التعرف على أنواع المكاشف الصخرية والتراكيب والرواسب المختلفة وأثرها في تشكيل المظهر الجيومورفولوجي للمنطقة. كما يهدف أيضا إلى توثيق هذه الدراسة في خريطة جيومورفولوجية تفصيلية بالاستناد إلى الصور الجوية والتحقق الحقلي. فقد تم تفسير اثني عشرة صورة جوية بالأسود والأبيض [1] غطت منطقة الدراسة، وبمقياس رسم تقريبي 20000/1 تم فيها تفسير كل صورة جوية، وفصلت الوحدات الجيومورفولوجية وأعطيت الرموز الخاصة بها ثم ربطت مع بعضها بشكل موزائيك غير مربوط Loose

*أستاذ مساعد- قسم الجغرافيا ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمار

Mosaic لتكون الخريطة الجيومورفولوجية، والتي أعتمد فيها الباحثان نظام ITC** في تصنيف المظاهر الأرضية وترميزها . كما تمّت الاستعانة بالخريطة الطوبوغرافية [2] لرسم القطاع التضاريسي في المنطقة المدروسة.

موقع منطقة الدراسة:

تشغل منطقة جبل اللسي جزءاً من الجانب الشرقي لمنطقة مدينة ذمار، وتحديداً من قرية ورقة غرباً إلى قرية حمامة الدهيمي وقرية القاهر شرقاً ومن قرية الجراشة العليا شمالاً إلىقرية السويدا جنوباً. وبامتداد من الغرب إلى الشرق يبلغ 9.5كم ومن الشمال إلى الجنوب 8,5 كم وفلكياً بين دائرتي عرض 30َ 14ْ– 35َ 14ْ شمالاً، وخطي طول 30َ 44ْ – 35َ 44ْ شرقاً، شكل (1).

الوضع الجيولوجي:

يمكن تلخيص جيولوجية المنطقة في حقل ذمار – رداع من الأقدم إلى الأحدث بالوحدات: الأولى أجنمبرايت ذمار والتي تكونت نتيجة لتعرض هذه المنطقة إلى عدة فوالق رأسية تتخذ إتجاه شمال شمال غرب – جنوب جنوب شرق وموازية لمنخفض معبر – ذمار تقريباً. تلت هذه المرحلة خروج كميات كبيرة من الطفوح البركانية خلال شقوق غير معروفة الاتجاه وغير مرتبطة بأية فوهات بركانية أدت إلى تكون الوحدة الثانية المسماة ببازلت ذمار.

وباستمرار الثورانات البركانية تكونت وحدة الورقة – الحريشة المكونة من صخور الرماد والتفرا البركانية على هيئة حلقات أنبوبية ومحطمة. وخلال الخمسة ملايين سنة الأخيرة تكونت بعض المخاريط البركانية المنعزلة مثل بركان اللسي المكون أساساً من الزجاج الريولايتي والمواد الفلذ بركانية، وفي الجهة الشرقية بركان حمام اسبيل المكون من طفوح بركانية – زجاجية وتف.

انتهت ذروة النشاط البركاني بتكون وحدة البازلت الحديث، وقد وجد من خلال دراسة نطاقات هذه المخاريط واتجاه الطفوح البازلتية أن الشقوق المغذية لهذه الصخور تضرب في اتجاهات شرق – غرب وشمال شمال غرب – جنوب جنوب شرق. [3]

ومن خلال الدراسة الحقلية وجدت ترسبات البيومس المنتشرة في أغلب منطقة الدراسة ولوجود تراكيب التطبق المتقاطع وبأحجام كبيرة يتعدى امتدادها الـ (30) متر،

جعل الاعتقاد أن مصدر ترسيبها هو عامل ريحي، وقد وجدت أسفل الوحدات الجيولوجية المذكورة سابقاً.

** ITC: مركز مسوحات الفضاء وعلوم الأراضي، هولندا.

المناخ:

تقع منطقة الدراسة ضمن النطاق المعتدل حرارياً في اليمن. إذ تتراوح معدلات درجات الحرارة السنوية بين 18 – 20 °م وتصل في الصيف إلى 30°م. وتتميز أيضا بانخفاض درجات الحرارة ليلاً بشكل مستمر، وفي ليالي الشتاء قد تقارب الصفر المئوي. كما تتميز منطقة جبل اللسي بمدى حراري سنوي يبلغ 22-30° م. كما أن المديات الحرارية اليومية كبيرة، تصل إلى أكثر من 20° م وخاصةً في فصل الشتاء.

وتبلغ معدلات الأمطار السنوية بين 200–400 ملم وهي متذبذبة من سنة إلى أخرى. ويتصف التساقط في اليمن بصفة عامة بالشذوذ والانحراف عن المعدل السنوي، وأن عدد السنوات التي تتصف بالشذوذ كبير ويصل 70–80 % من الحالات. وتصل طول فترة الجفاف في منطقة الدراسة من 7–8 أشهر [4].

وقد ساهمت هذه الأوضاع الحرارية والتباين الحراري اليومي والسنوي في زيادة فعالية التجوية الفيزيائية التي نشطت وما تزال وظهرت نتائجها في الفواصل والشقوق الرأسية في المخاريط والهضاب البركانية في المنطقة. وكذلك في البريشيا الصخرية المنتشرة أسفل المخاريط البركانية وفي جوانب الهضاب البركانية. تساعد كميات الأمطار الساقطة مع قلتها الظروف الحرارية السابقة إذ أن دورها في زيادة فعالية التجوية الفيزيائية كبير خاصةً وأن الأمطار الساقطة على هذه المناطق هي مدرارة، تسقط في زخة واحدة نسبة كبيرة من المجموع السنوي لها. ويساعد فعالية الأمطار والأوضاع الحرارية وعملهما الجيومورفولوجي تبعثر وقلة النبات الطبيعي الذي يقتصر على بعض أنواع النباتات الشوكية والحشائش.

التحليل الجيومورفولوجي:

يؤكد التحليل الجيومورفولوجي افتراض سطح الأرض مؤلفاً من مناطق محدبة مقعرة، مقعرة مستوية يفصل بينها تغير مفاجئ في الانحدار نتيجة اختلاف في طبيعة المكشف الصخري أو عوامل التعرية أو نتيجة للعوامل التكتونية. وبهذا يمكن تصنيف الأشكال الأرضية اعتماداً على أساس الشكل **Morphology** والجيولوجيا **Geology** واصل النشأة **Genetic**. [5]

ووفقا لما تقدم فإن جيومورفولوجي منطقة البحث تتميز بتأثرها الكبير والشامل بالنشاط البركاني الذي ترك آثاره في تشكيل أغلب المظاهر الأرضية. كما ساهمت بعمليات التعرية المائية والريحية وعمليات التجوية الكيمياوية والفيزيائية في تعديل الأشكال الجيومورفولوجية وتشكيل بعض المظاهر الأخرى.

وقد تم تصنيف ثماني وحدات جيومورفولوجية ترجع إلى الأصل البركاني والبركاني التعـــروي والترســيي ثُبتت على الخريطة الجيومورفولوجية شكل (2) ويمكن وصفها بالشكل التالي:-

أ. وحدات الأصل البركاني

1. حدة المخاريط البركانية:

تنتشر هذه الوحدة في منطقة الدراسة، وتشمل المخاريط البركانية النموذجية وعددها سبعة مخاريط لهـا فوهات في أعلاها، أكبرها مخروط جبل اللسي. وهذه جميعها براكين من النوع المركب، تكونـــت نتيجـة الثورانات الانفجارية فأصبحت ذات طباقية تقريبية، تكونت من تعاقب غطاءات مـــن الحمـم والمسواد المقذوفة والتف البركاني. وتدل بنيتها على تعاقب فترات من الثوران الانفجاري والهادئ صورة (1).

يصل ارتفاع أعلى المخاريط البركانية وهو جبل اللسي إلى 350 متر فوق مستوى الأراضي المجـاورة، أما بقية المخاريط فيتراوح ارتفاعها بين 120 – 250 متر فوق مستوى الأراضي المجاورة أيضـاً. تنتشـر على بعض جوانبها جميعاً المقذوفات البركانية المختلفة الأحجام والتي تعرضت لمختلف عمليـات التجويـة الفيزيائية والكيمياوية.

وخلال الدراسة الحقلية اتضح أن الجزء الأسفل من بركان جبل اللسي يتكـون مـن طبقـات مـن الأوبسيدين المتداخلة مع الزجاج الريولايتي والمختلطة مع طبقات من التف البركاني. صـورة (2). كمـا تظهر بعض الأحيان الفواصل التي ربما تعود إلى نشاط تكتوني لاحق، وكذلك تظـهر بعـض الكـهوف البسيطة التي تكونت نتيجة إزالة مواد الرماد البركاني الأكثر استجابة لفعل عوامل التعرية. صورة (3).

ولا توجد آثار للطفوح البازلتية كما أشارت الخريطة الجيولوجية، وإنما ينتشر فتات الصخور الريولايـــتي والإندسايتي والأبسيديني بأحجام مختلفة، وتسود صخور بأحجام متقاربة تـتراوح أقطارهـا بـين 15-25سم على جوانب جبل اللسي فضلا عن انتشار فتات التف البركاني.

. وحدة الفوهات البركانية:

تمثل هذه الوحدة الأجزاء العليا من المخاريط البركانية، والتي تكونت نتيجة لنشـاط سـابق لهـذه البراكين، وهي تمثل منخفضات قمعية الشكل بامتداد بيضوي أو دائري، تكونت أصـلا نتيجـة خـروج وتجمع المقذوفات البركانية المختلفة. وتشكيل هذه المواد وبنائها لحلقة تحيط بالقناة الأنبوبية للبراكين كـون فوهة في النهاية. وقد امتلأت الآن بالرواسب نتيجة عمليات الجوية والنقل للمواد المكونة للحلقات المحيطـة بالفوهات.

ولعل فوهة بركان اللسي تمثل وحدة نموذجية لها، يمكن وصفها بأنها منخفض قمعي الشـكل بـامتداد بيضوي وبأبعاد 150 متر طولا و 100 متر عرضا، تحيط بها حلقة في شكل حافة تنحدر نحـو الداخـل

بشدة. ترتفع هذه الحلقة عن قاع الفوهة في حدود 15– 20 مترا. يتكون قاع الفوهة من رواسب الرماد والحصى البركاني والطين، وقد تكونت تربة حمراء في وسط قاع الفوهة نمت فيها الأعشاب صورة (4)، في حين تتكون الحافات من التف البركاني المتصلب في نوع من الصخور الخفيفة الوزن صورة(5)، استخدمت قطع من هذه الصخور في بناء قلعة على الحافة تحيط بالفوهة، ربما تعود إلى العهد العثماني.

3. الهضاب البركانية:

تحتل هذه الوحدة الجزء الشرقي والشمالي من منطقة الدراسة، تبدو بشكل مرتفعات بمستويات مختلفة الارتفاع يتراوح ارتفاعها بين 10 و40 متر فوق مستوى الأراضي المجاورة ذات حافات شديدة الانحدار تمتد على جوانب المخاريط البركانية شرق وشمال جبل اللسي وهي تبدو بسطوح مستوية بعد استخدامها من قبل الفلاحين للزراعة. وإلى الجنوب من جبل الهمام تتكون هذه الهضاب من مقذوفات بركانية من الريولايت والإندسايت والإبريشيا الصخرية المختلطة بالتف البركاني، تنتشر فوق رواسب ريحية تعود إلى رواسب السهل الترسيبي نفسها والمتطبقة تطبقا متقاطعا (الوحدة الجيومورفولوجية 6)،

وفي شمال غرب جبل الهمام تظهر الطفوح البازلتية الفقاعية تغطي الأجزاء العليا من هذه الهضاب، وفي بعض الحافات المتعرية يظهر التطبق المتقاطع في الأسفل، وتدل الشواهد الحقلية على تعرض هذه المنطقة إلى انفجارات بركانية بعد تشكل السهل الترسيبي، فتجمعت نواتج هذه الانفجارات على شكل مقذوفات بركانية من الحصى البركاني والتف والصخور الريولاتية والإندسايتية. ويعتقد الباحثان أن الطفوح البازلتية الموجودة في شمال غرب جبل الهمام تعود إلى ثورة حديثة لهذا الجبل. كما يعتقد الباحثان أيضا أن حافات هذه الهضاب الجنوبية تمثل حافات لكالديرا كبيرة تقع شرق قرية اللسي. أما الهضاب الواقعة شمال جبل اللسي فهي تتكون من مقذوفات بركانية من البريشيا الصخرية مختلفة التكوين مع كتل ريولاتية وأندسايتية مختلطة بالتف البركاني

4. الكالديرا: *

توجد وحدتان للفوهات الحوضية أو الكالديرا في منطقة الدراسة، وهي تشغل منطقة شبه دائرية محصورة بين جبل اللسي وجبل النصع والأخرى يظهر جزء منها في الجزء الشمالي الشرقي من جبل الهمام. تظهر الكالديرا المجاورة لجبل اللسي على شكل حوض مملوء بالرواسب البركانية الحديثة التي قامت عمليات التعرية المائية والريحية بنقلها من مظاهر النشاط البركاني المختلفة المجاورة لها. ويحيط بهذه الفوهة

---

* الكالدير (caldera) كلمة إسبانية معناها الوعاء الكبير وهي تعبر عن فوهة بركانية كبيرة تأخذ شكل حوض كبير ضحل.

قوس من المقذوفات البركانية الحديثة المتكونة من فتات الصخور الريولايتية والإندسايتية، والتف البركاني تنتشر فوق السهل الترسيبي الذي أصبح متموجا ويحيط بالفوهة الحوضية وتظهر طبقاته الترسيبية واضحة أسفل المقذوفات البركانية. يصل قطر الفوهة إلى 900 متر ويبدو أنها تكونت نتيجة لعمليات الانخساف الذي تبع انفجارات عنيفة وهبوط مستوى الماكما في الخزان الرئيسي ونظرا إلى عدم وجود ما يستند عليه، يؤيد ذلك وجود كميات غير كافية من المواد المقذوفة حول الكالديرا بحيث لا يمكن أن تكون سببا في تكونها.

5. العروق البركانية الحديثة:

تنتشر هذه الوحدة في مختلف أنحاء منطقة الدراسة، يتراوح ارتفاعها بين 10 – 30 متر فوق مستوى الأراضي المجاورة وتظهر في أشكال اقرب إلى المخاريط أو النتوءات
البارزة بجوانب شديدة الانحدار. وتتألف من مقذوفات بركانية نجمت عن نشاط بركاني
شقي تبع نشأة السهل الترسيبي، بدليل ظهور الطبقات الترسيبية للسهل الريحي أسفل هذه الكتل. ولا تظهر فوهات بركانية وسطية فوق هذه الكتل، مما يؤيد أنها نجمت عن شقوق أرضية. تتألف هذه الوحدة من كتل صخرية من الريولايت والإندسايت المختلطة بالحصى والتف البركاني.

ب- وحدة الأصل الارسابي.

6. السهل الترسيبي:

يحتل هذا السهل مساحة واضحة في منطقة الدراسة وهو يبدو في شكل أرض مستوية في الأجزاء الجنوبية، إلا أنه يأخذ مظهرا متموجا قرب المناطق التي تعرضت للفعاليات البركانية عند المخاريط والهضاب البركانية والكالديرا، صورة (6).

تكون هذا السهل قبل أحداث فترة النشاط البركاني بفعل التعرية الريحية التي كانت نشطة في نقل كميات كبيرة من الرماد البركاني ورسبتها في المناطق المنخفضة المحيطة بالمخاريط البركانية. ويؤكد التطبق المتقاطع الكبير المقياس لرواسب هذا السهل صورة(7)، على أصله الريحي.

يتكون هذا السهل من رواسب ريحية من الرماد البركاني واللويس والرمل ويتغطى ببيريشيا صخرية مكونة من فتات صخري ريولايتي وأنديسايتي وأوبسيديني في المناطق القريبة من المخاريط والهضاب البركانية والكالديرا.

جـ . وحدات الأصل البركاني التعروي:

7. الأحدور المتعري.

تشمل هذه الوحدة منطقة صغيرة شمال شرق منطقة الدراسة، تتكون من الرماد البركاني الناعم ذي نفاذية ضعيفة تعرض لعمليات التعرية المائية مما أدى إلى تكون نسيج صرف ناعم، فأصبحت أراضٍ محززة تنتشر فيها الأخاديد.

8. المنخفضات البركانية:

تمثل هذه الوحدة مناطق منخفضة بين الطفوح والكتل البركانية والمخاريط، فشكلت منخفضات حوضية صغيرة امتلأت بالرواسب الحديثة المكونة من ترسبات الرماد البركاني والرمل والغرين. تطورت فيها تربة جيدة استغلت في الزراعة.

التطور الجيومورفولوجي:

تعرضت منطقة ذمار – رداع بعد تكون صخور بركانيات اليمن في الحين الثلاثي إلى عدة فوالق رأسية تتخذ اتجاه شمال شمال غرب – جنوب جنوب شرق. نجم عنها صعود كميات كبيرة من الصخور الفلذ بركانية انتشرت على مساحات واسعة مغطية قاع المنخفضات المجاورة. وقد رافق هذا النشاط البركاني خلال الخمسة مليون سنة الأخيرة تكون بعض المخاريط المنعزلة [6] .

ثم تعرضت المنطقة إلى نشاط عمليات التعرية الريحية، فنقلت الرياح كميات كبيرة من الرماد البركاني ورسبتها فوق المناطق المنخفضة مكونة الوحدة الجيومورفولوجية السادسة (السهل الترسيبي). ودلت الشواهد الحقلية على أن هذا السهل الترسيبي المؤلف من التف البركاني والرمل واللويس والذي يتطبق تطبقاً متقاطعاً هو أقدم في نشأته من المظاهر الجيومورفولوجية الأخرى. فالمقذوفات البركانية والحصى البركاني وكتل الريولايت والإندسايت تحتل مواضع فوق التطبق الترسيبي على جوانب الكالديرا والعروق البركانية الحديثة والهضاب البركانية.

استمر النشاط البركاني على فترات متتالية خلال الحين الرباعي، إذ خرجت الحمم البركانية ثانيةً على مستويات التصدع القديمة لتكون الوحدة الجيومورفولوجية الأولى وكذلك الهضاب البركانية (وحدة 3) والعروق البركانية الحديثة (وحدة 5). وتميزت براكين الحين الرباعي بتواجدها على شكل مخاريط بركانية مركزية لها فوهات واضحة، كما هو الحال في جبل اللسي المظهر الجيومورفولوجي الأبرز في منطقة الدراسة. وكذلك جبلي العر والهمام. وتكونت أيضا الفوهات الحوضية الممثلة في الكالديرا التي يظهر منها

فوهتين الأولى مجاورة لجبل اللسي والأخرى مجاورة لجبل الهمام، ويعتقد الباحثان وجود كـــالديرا أخـــرى مجاورة لجبل اللسي من الشرق.

وتعد منطقة الدراسة من أنشط الحقول البركانية في اليمن، إذ لا تزال مظـــاهر النشـــاط في خـــروج الغازات وبخار الماء من قنوات أنبوبية كما في جبل اللسي الذي تنتشر على جانبه الشمالي خمس فتحـــات ينفث منها بخار الماء الممزوج بغاز كبريتيد الهيدروجين. إذ يترسب الكبريت على الصخور المنتشـــرة علـــى الفتحات ويغطيها باللون الأصفر.

كما توجد فتحتان أخريان في أعلى الجبل عند حافة الفوهة البركانية. ويدل المقطع المخروطـــي المتناســـق لجبل اللسي شكل (3) ومظاهر النشاط المتبقي على جبل اللسي على أن النشاط البركـــاني قـــد انتـــهى حديثاً* فضلاً عن أنه يشير إلى المسامية العالية التي تتميز بها المواد المكونة لمخروط الجبـــل وخشـــونتها إذ تنتشر على جوانبه البريشيا الصخرية ونواتج التجوية والرماد البركاني فتغور المياه الجارية بســـهولة فيـــها. فمع أن نمط الصرف على الجبل هو شعاعي إلا أنه غير متطور، فمجاري السيول قصيرة تغور أحياناً علـــى منحدرات المخاريط البركانية قبل وصولها إلى الأراضي المجاورة. وهذه الإشارات كلها تعطي الدلائل علـــى المرحلة الجيومورفولوجية التي تمر بها المنطقة وهي مرحلة الشباب.

* حدثت الثورات البركانية الرئيسة في منطقة الدراسة منذ أكثر من 3000 سنة (مصدر3 ، صفحة 172).

الإستنتاجات

خلال الفحص والتحليل المجسم للصور الجوية بالأسود والأبيض وبمقياس رسم تقريبي 20000/1 أمكن تحديد ثماني وحدات جيومورفولوجية، ترجع خمس منها إلى الأصل البركاني وترتبط نشأتها بالفعاليات البركانية التي سادت منطقة الدراسة وهي: المخاريط البركانية، الفوهات البركانية، الهضاب البركانية، الكالديرا والعروق البركانية الحديثة، واثنتين منها ترجع إلى الأصل البركاني التعروي، وهي الآحدور المتعري والمنخفضات البركانية نجمت عن نشاط عمليات التجوية الفيزياوية والكيمياوية والتعرية المائية والريحية، وواحدة ترجع إلى الأصل الأرسابي وهي وحدة السهل الترسيبي.

ومن خلال الدراسة الحقلية أمكن التحقق من صحة فصل الوحدات الجيومورفولوجية. وأمكن تحديد الأصل الريحي للسهل الترسيبي المؤلف من رواسب التف البركاني والرمل والويس والمتطبقة تطبقا متقاطعا وبإحجام كبيرة يتعدى إمتدادها30 مترا.

كما أظهرت الدراسة الحقلية أن نشأة الهضاب والعروق البركانية الحديثة والكالديرا تبع تكون السهل الترسيبي، بسبب وجود الطبقات الترسيبية للسهل تحت المقذوفات البركانية التابعة للوحدات السابقة. وأتضح للباحثين شواهد حقلية تشير إلى كالديرا نشأت شرق جبل اللسي مباشرة.

وأوضحت الدراسة أن المنطقة تمر بمرحلة الشباب والدليل على ذلك النشاط الحالي لجبل اللسي والمتمثل بخروج الغازات من قنوات أنبوبية على جانبه الشمالي وفوق القمة. إضافة إلى تناسق المخاريط البركانية الأخرى في منطقة الدراسة .

ومن الدراسة الجيولوجية الحقلية لجبل اللسي تم تحديد الوحدات الصخرية، والمتمثلة بصخور الأوبسيديان المندمجة ببريشيا بركانية وتطبقات من رواسب الرماد البركاني الأحمر والرصاصي.

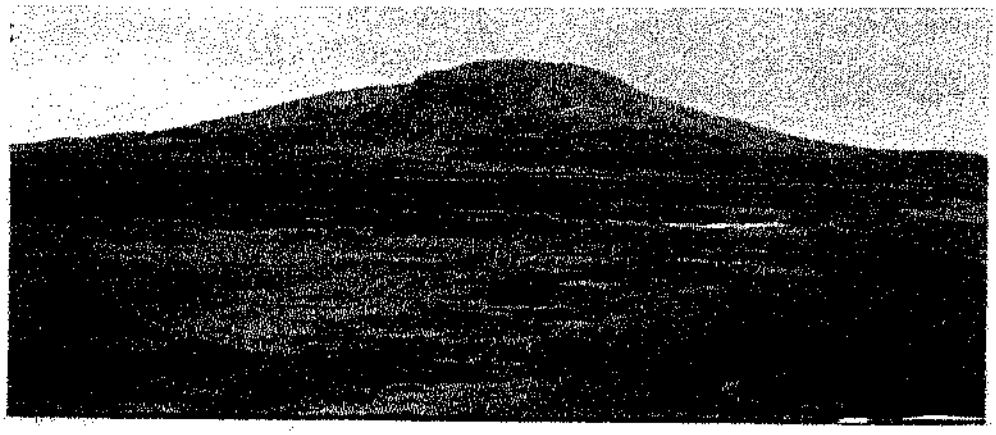

صورة (١) جبل اللسي ووحدة السهل الترسيبي

صورة (٢) المقذوفات البركانية الريولايت المندمجة بالتف البركاني أسفل جبل اللسي

صورة (٣) كهوف صغيرة نجمت عن إزالة الرماد البركاني اسفل جبل اللسي

صورة (٤) فوهة بركان جبل اللسي ويظهر قاع الفوهة ورواسب الرماد والحصى البركاني

صورة (٥) صخور الرماد البركاني في أعلى جبل اللسي

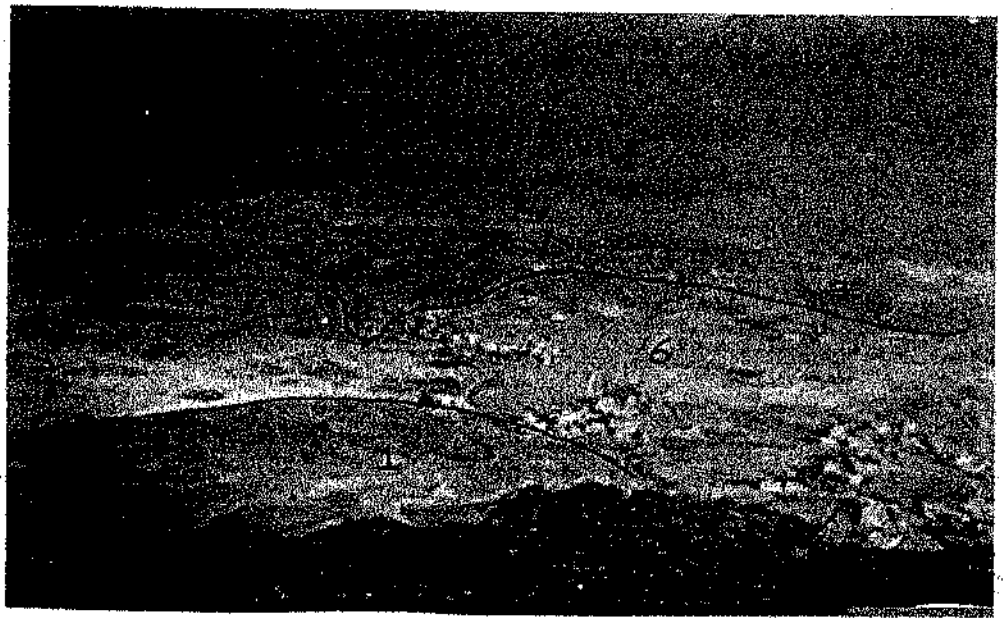

صورة (٦) الهضاب البركانية والسهل الترسيبي كما تبدو أعلى جبل اللسي

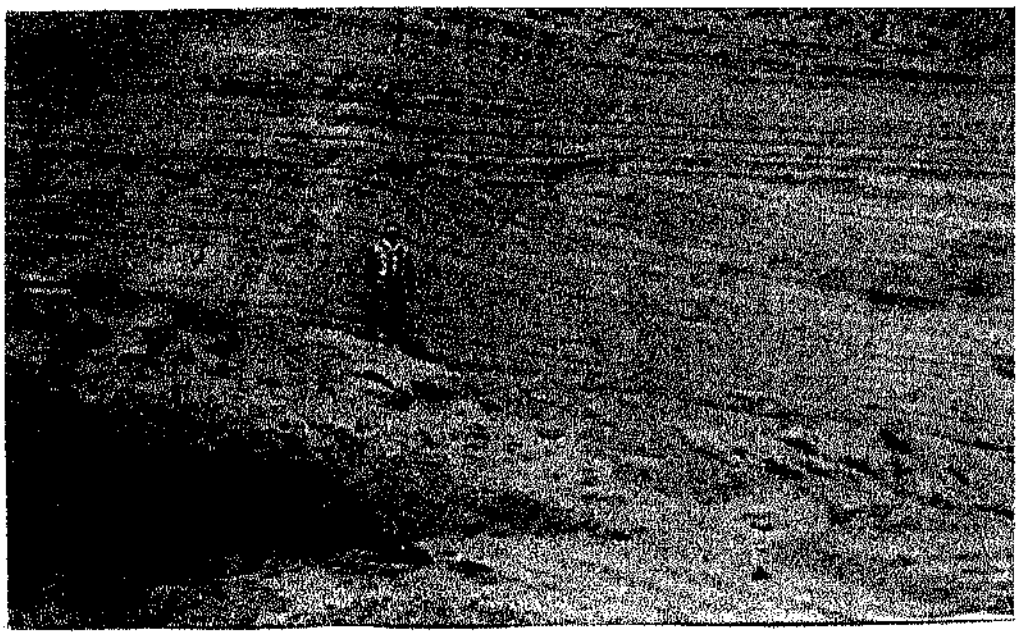

صورة (٧) التطبق المتقاطع في وحدة السهل الترسيبي

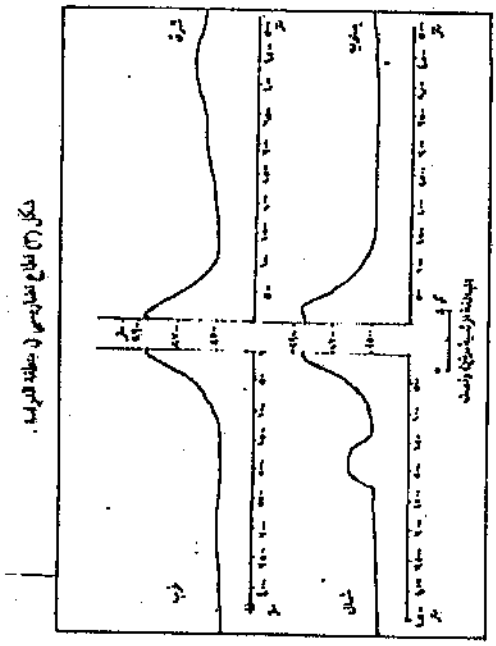

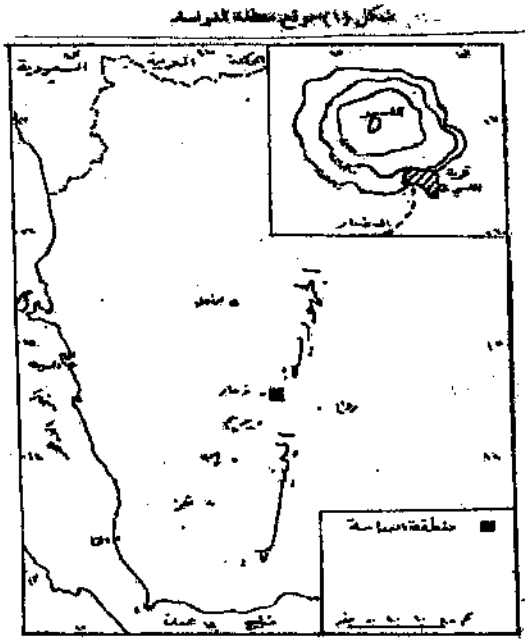

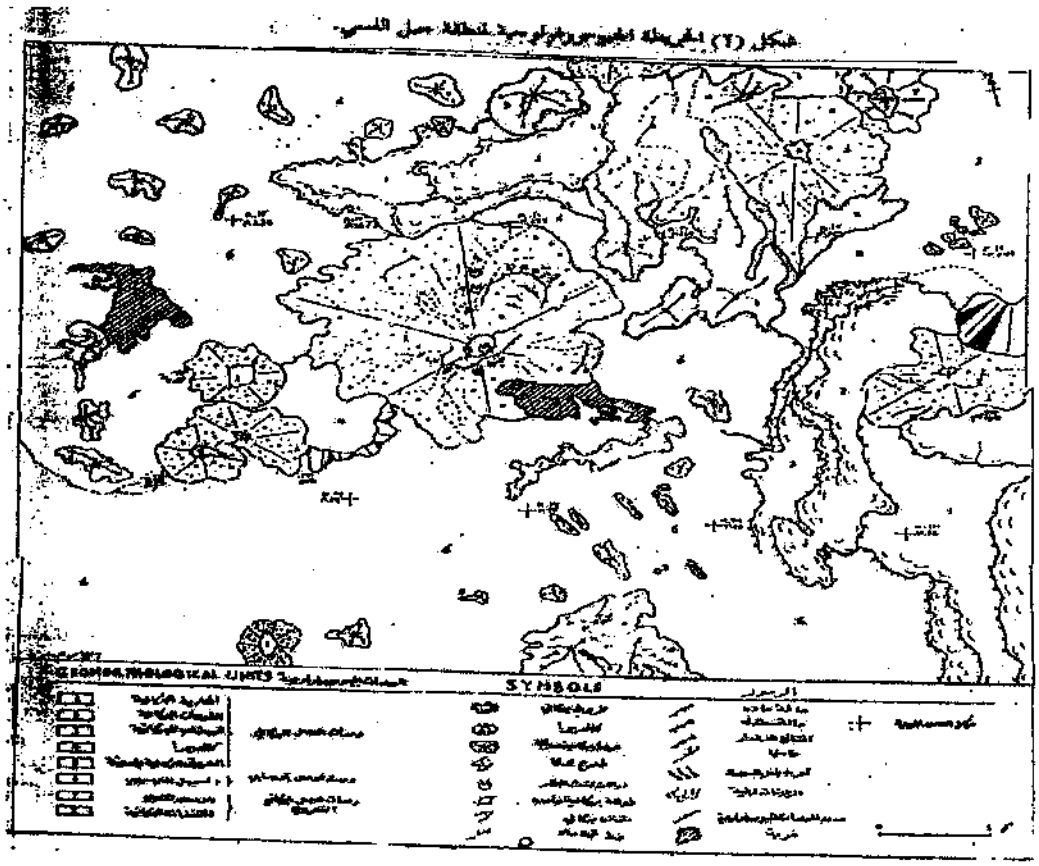
SYMBOLS

الهوامـش والمصـــادر

1. الجمهورية اليمنية، مصلحة المساحة، صور جوية بالأسود والأبيض، مقياس رسم 20000/1، تصوير 1990م.

Run 15:

Picture No.: 236, 237, 238, 239, 240, 241.

Run 14:

Picture No.: 16, 17, 18, 19, 20, 21.

2. الجمهورية اليمنية، مصلحة المساحة، خريطة طوبوغرافية، مقياس رسم 50000/1 صفحة3 1444 D، طبعة1- OSD ، 1989.

3. د. صلاح الخرباش ود. محمد الإنبعاوي، جيولوجية اليمن، مركز عبـــادي للدراســـات والنشـــر، صنعـــاء، 1996، ص109-112.

4. د. شاهر جمال أغا، جغرافية اليمن الطبيعية، مكتبة الأنوار، دمشق، 1983، ص285-301.

5. Zuidam, R.A. Van, and Zuidam – Cancelado I., ITC., Text book of Photo – interpretaion , Vol, 6, Instructions for Handing and Measuring Aerial photographs, The Netherlands, 1978, P.P. 29-30.

6. د. صلاح الخرباش ود. محمد الأنبعاوي، مصدر سابق ، ص 111.

المراجع:-

1. د. هيرمان فيرستابن ود. روى فان زويدام، نظام المسح الجيومورفولوجـــي لمســـوحات الفضـــاء وعلوم الأراضي، مجدلاوى، عمان، 1988.

2. وليم دى ثورنبرى، أسس الجيومورفولوجيا، ترجمة د. وفيق الخشاب، جامعة بغداد، 1975.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة.

شكل (2) الخريطة الجيومورفولوجية لمنطقة جبل اللسي.

شكل (3) قطاع تضاريسي في منطقة الدراسة .

صورة (1) جبل اللسي ووحدة السهل الترسيبي.

صورة (2) المقذوفات البركانية في صخور الريولايت المندمجة بالتف البركاني أسفل جبل اللسي.

صورة (3) كهوف صغيرة نجمت عن إزالة الرماد البركاني أسفل جبل اللسي.

صورة (4) فوهة بركان جبل اللسي ويظهر قاع الفوهة ورواسب الرماد والحصى البركاني

صورة (5) صخور الرماد البركاني في أعلى جبل اللسي.

صورة (6) الهضاب البركانية والسهل الترسيبي كما تبدو في أعلى جبل اللسي.

صورة (7) التطبق المتقاطع في وحدة السهل الترسيبي.

الإرشـــاد النفســـي في المجتمع الإسلامي

د. مسعـد النجـار *

المقدمـــة :

الإرشاد النفسي هو أحد فروع علم النفس التطبيقي ويهدف إلى مساعدة الناس وإرشـــادهم إلى كل ما من شأنه أن يجعلهم سعداء في أنفسهم، ومتوافقين ومتكيفين مع مجتمعاتهم، فضلا عـــن مســـاعدتهم على التغلب على المشكلات المتنوعة التي قد تعترضهم في الحياة. ولذا ظهرت نظريات عديدة في الغـــرب تتناول الإرشاد والعلاج النفسي بلغت اكثر من (250) نظرية، مما جعل أحد رؤساء الجمعية الأمريكية لعلـــم النفس يقول ((إن النظريات في مجال الإرشاد والعلاج النفســـي قـــد أضحـــت أشـــبه بغابـــة متلاطمـــة الأشجار))(الشناوي، 1994م، ص8).

وبالرغم من كثرتها إلا أنها لم تحقق الهدف الذي جاءت من اجله في المجتمع الغربي نفسه. فقـــد زاد عدد المرضى النفسيين ، وكثرت المشاكل في المجتمع ، وبرزت مظاهر الشقاء والانحراف في سلوك النـــاس، على الرغم من الزيادة في عدد مراكز الإرشاد والخدمات النفسية.

---

* رئيس قسم علم النفس ، كلية الآداب والألسن ، جامعة ذمـــار

ومع ذلك فقد نقلت هذه النظريات والنماذج الغربية في الإرشاد بتفصيلاتها إلى المجتمعات العربية والإسلامية ، ((علماً بان هناك اتفاقاً بين علماء النفس المعاصرين على انه من الخطأ نقل الإرشاد النفسي من مجتمع إلى مجتمع آخر يختلف عنه في العقيدة، ومنهج الحياة، ومعايير الصلاح والفساد.فالأنموذج الذي يصلح لمجتمع قد لا يصلح لمجتمع آخر، لان الإرشاد النفسي مرتبط ارتباطاً كبيراً بقيم وعادات وتقاليد ومعتقدات وفلسفة الحياة في المجتمع الذي يطبق فيه ، مما يجعل النماذج الأمريكية في الإرشاد النفسي على الرغم من تقدمها لا تصلح للنقل كما هي إلى المجتمعات الإسلامية. لأن الإرشاد النفسي في أمريكا يمارس في إطار الفصل بين الدين والدنيا ومقسم إلى إرشاد ديني ..... وارشاد دنيوي .... أما الإرشاد النفسي في المجتمعات الإسلامية فيطبق في إطار أن الإسلام منهج حياة ، ونظام اجتماعي واقتصادي وسياسي، ولا يفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي فكل أفعال الإنسان في الدنيا لله حكم فيها، يثيبه عليها إن كانت صالحة، ويعاقب عليها إن كانت غير ذلك)) (مرسي،1995م،ص 153).

وتأكيداً على الاختلاف في المعايير والقيم بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات ذكر المهدي (1990 م) ما يأتي:ـــ

((لقد نُشر بحث في مجلة الطب النفسي الأمريكية { 3،143،مارس 1986} يفيد بأن 95% من أعضاء جمعية علم النفس الأمريكية لا يؤمنون بوجود الله . ولنا أن نتصور كم تكون الخطورة حين نتلقى مبادئ علم النفس ونظريات العلاج النفسي من هؤلاء الناس من دون تمحيص. وذكر أيضا أن جوردون جونسون قال: أن بعض المجتمعات تمنع العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته في فترة الحيض في حين أنه لا يرى سبباً علمياً لذلك. ويتأسف جوردون على أنه ما زال هناك بعض الناس ينظرون إلى اللواط على أنه شئ معيب أو حرام ، وهو معجب بالجماعات التي نشطت تطالب بإباحة هذا الحق للناس، ويقول بأن تقدماً ملحوظاً في هذه القضية قد تحقق عندما شطبت الجمعية الأمريكية للطب النفسي اللواط من قائمة الاضطرابات النفسية وعدته سلوكاً عادياً. ويضيف جوردون بأن

المجتمع الأمريكي أحياناً يتزعج إذا مارس أطفاله الجنس مع بعضهم، وهو لا يرى في ذلك أي ضرر، بل على العكس يرى أن في منع هذه الممارسات ضررا كبيرا إذ ينشأ الطفل خجولاً شكاكاً وعنده إحساس بالذنب...كما يصف المجتمع الأمريكي بأنه مجتمع متزمت في الناحية الجنسية ويعتقد أن القيود التي يفرضها المجتمع على الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج هي قيود غير عادية.

وهذا الكلام لم يكتبه جوردون في مجلة أو صحيفة وإنما كتبه في أضخم مرجع للطب النفسي)) (ص 35).

والإسلام جاء لهداية البشر جميعاً، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم ليس في الدنيا فحسب وإنما في الدنيا والآخرة، وإنقاذهم من كل الضلالات الفكرية والانحرافات السلوكية ، في جميع مجالات الحياة وأنشطتها، قال تعالى ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ (الإسراء:9).

وقد صَدَّقَت الجن بذلك ، فجاء على لسانهم قوله تعالى: ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِيَ إِلَى الرَّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...﴾ (الجن:1–2).

ولقد نظم الإسلام علاقة الإنسان مع نفسه ، ومع ربه ، ومع أسرته وأقربائه ومع مجتمعه ، ومع الكون ومابه من مخلوقات وربط سلوك الإنسان في جميع منا شط الحياة بالآخرة. فإذا قبل الإنسان هذا النظام والتنظيم الذي جاء به الإسلام والتزم به ، فقد هُدِي إلى طريق السلامة وفاز بالأمن والسعادة في دنياه وآخر ته ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىَ﴾ (طه:123).

وقوله تعالى: ﴿... قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ *يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(المائدة:15–16).

مفهوم الإرشاد:

على الرغم من الحداثة النسبية لظهور مصطلح الإرشاد النفسي إلا إن تعريفا ته تعددت وتنوعت، فبعضها يصور المفهوم، والبعض الآخر يحمل الطابع الإجرائي، وأخرى تركز على العملية التربوية، في حين تركز تعريفات أخرى على العلاقة الإرشادية بين المرشد والمسترشد، وتؤكد غيرها على العملية الإرشادية نفسها، وتهتم تعريفات أخرى بالنتائج النهائية للإرشاد. (الشناوي ، 1996م).

((وهذا التعدد والاختلاف نشأ من طبيعة النظرية التي تكمن وراء العملية الإرشادية نفسها، فضلا عن المنهج المتبع فيها سواء أكان نمائيا أم وقائياً أم علاجياً)). (محمد، 1995م، ص58).

وسيتم تناول مفهوم الإرشاد من خلال استعراض عدد من النصوص الشرعية (القرآن والسنة) التي تنص على كلمة (رشد) ومشتقاتها، فضلا عن البحث في معاجم اللغة والموسوعات ...الخ بهدف الوصول إلى وصف للإطار العام للإرشاد في الإسلام. وفيما يأتي بيان لذلك:في القرآن الكريم :

نجد أن عدد ألفاظ (كلمات) المصدر الثلاثي للفعل (رشد) ومشتقاته بلغت تسعة ألفاظ وتكررت تسعة عشر مره في تسع سور من القرآن الكريم، والألفاظ جميعها ـ ما عدا لفظ مرشد ـ تعني أو تدل على الرَشد ومشتقاته التي من معانيه: الهدى، الحق، الصلاح، السداد، العقل،...الخ أما لفظ مرشد فالمقصود بها هو الشخص الذي يقوم بالإرشاد أو الهداية. وفيما يأتي عرضٌ لتلك الألفاظ:–

اللفظة (الكلمة)	تكرار اللفظة	الآية التي فيها اللفظة	السورة ورقم الآية
يرشدون	1	(فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)	البقرة:186
الرُّشْدُ	3	(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به)	البقرة:256 الأعراف:146 الجن:1-2
رُشْداً	2	(فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا)	النساء:6 الكهف:66
رشده	1	(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)	الأنبياء:51
رَشَداً	5	(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) (أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا)	الكهف:10 الكهف:24 الجن:10 الجن:14 الجن:21
الرَّشَاد	2	(وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد)	غافر:29 غافر:38
الرَّاشدون	1	(أولئك هم الراشدون)	الحجرات:7
رَشِيدٌ	3	(أليس منكم رجل رشيد) (إنك لأنت الحليم الرشيد) (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد)	هود:78 هود: 87 هود: 97
مرشداً	1	(ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)	الكهف:17
9	19		9

في اللغة العربية والحديث النبوي:

أما من حيث المعنى اللغوي لمادة (ر ش د) ومشتقاتها فقد جاء في اللغة العربية والحديث النبوي ما يأتي:

الإرشاد: يَعني الهداية والدلالة ، كما جاء في لسان العرب.

والمُرشِدُ: هو الواعظ، أو هادي السفن في المضائق كما جاء في المعجم الوسيط.

والرُشدُ والرَشَدَ والرَّشَاد: نقيض الغي.. فهو راشد ورشيد، وهو نقيض الضلال.. (ابن منظور ، د.ت) . ولذا جاء في الحديث:.. عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. (رواه أبو داود ، رقم الحديث 4607) .

ويؤكد ذلك الحديث النبوي الآتي :عن عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ : (بئس الخطيب أنت . قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى). (رواه مسلم: رقم الحديث 780) .

وغوى: الغي: الضلالة والخيبة والفساد. قال تعالى: ﴿... وَعَصى آدَمُ رَبَّه فَغَوَى﴾ (طه : 121) ، وفي الحديث : (..سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتم..). وقال در يد بن الصِّمَّة:

وَهَـــل أنـــا إلاّ مِـــن غَزِيَّـــــة إن غَـــــوَتْ غَوَيْـــــتُ، وإن تَرْشُـــــد غَزِيَّـــــة أَرْشُـــــدِ؟

أما عن الضلال: فهو الغياب، أو الهلاك، أو الباطل، أو النسيان أو العدول عن الطريق المستقيم عمـــداً أو سهواً، كثيراً أو قليلاً. (مجمع اللغة العربية، د.ت).

أَرْشَدَهُ: هداه ودلّه . وتأكيداً لهذا المعنى جاء في الحديث النبوي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قـــال: (إياكم والجلوس على الطريق، قالوا يا رسول الله لابد لنا من مجالسنا، قال: فأدوا حقـــها، قـــالوا: ومـــا حقها؟ قال: ردوا السلام وغضوا البصر، وأرشدوا السائل، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر)

(رواه أحمد، ج3،ص 61)

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : (تبسمك في وجه أخيك لك صدقه، وأمرك بالمعروف ونهيك عـن المنكر صدقه، وإرشادك الرجل في ارض الضلالة لك صدقه..) (رواه الترمذي رقم الحديث 1956).

مما سبق تبين أن مجمل معاني الإرشاد في القرآن واللغة العربية والحديث النبوي هو الهداية والدلالـــة ، وأن المرشد هو الذي يقوم بالهداية والدلالة بهدف الوصول بالمسترشد أو المسترشدين إلى الرُّشْد أو الرَّشَـــاد، ولكن هل الرشد أو الرشاد الذي يدعو إليه المرشدون واحد؟ أم متعدد؟ في الواقع أن الرشـــد متعـــدد بتعدد النظريات التي يتبناها كل مرشد، كما يتعدد بتعدد الثقافات والمجتمعات التي يطبق فيها الإرشاد.

والرشد في الإسلام يصل إليه الإنسان إذا آمن بكتاب الله (القرآن)، وصَـــدَّقَ بهـــدي رســـول الله ﷺ، واستقام على منهج الله في شؤون حياته جميعها ومن ثم فستكون حياته سعيدة وسلوكه سويا مســـتقيما ونفسيته آمنة مستقرة. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْـــهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف:13). وقال تعالى: ﴿...فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَ لاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ... ﴾ (طه:123–124).

وما على المرشد سوى مساعدة المسترشد على الالتزام بهدي الله ومنهجه في جميع مناشطة فـــلا يليـــق بالإنس أن يكونوا أقل كياسة من بعض الجن الذين استمعوا إلى القرآن فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَبـــاً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِه﴾. (الجن: 1–2).((فالقرآن يهدي إلى الهدى والحق والصواب... ويـــهدي إلى الرشد بما ينشئه في القلب من تفتح وحساسية، وإدراك ومعرفة، واتصال بمصدر النور والهـــدى... كمـــا يهدي إلى الرشد بمنهجه التنظيمي للحياة وتصريفها. هذا المنهج الذي لم تبلغ البشرية في تاريخها كلـــه، في ظل حضارة من الحضارات، أو نظام من الأنظمة، ما بلغته في ظله، أفراداً وجماعات، قلوبـــاً ومجتمعـــات، أخلاقا فردية ومعاملات اجتماعية على السواء))(قطب، 1982م، ج6، ص 3727).

وعن معنى مصطلح الإرشاد النفسي (Counseling) جاء في قواميس اللغة الإنجليزية، والمعـاجم، والموسوعات ما يأتي:

تقول أبو عيطة (1997م) ((إن كلمة إرشاد (Counseling) كما جاءت في قاموس اللغة الإنجليزي (H. B. English) تعني مجموعة الإجراءات التي تتضمن النصائح والتشجيع، وتقديم المعلومات، وتفسـير نتـائج الاختبارات والتحليل النفسي، وهي العلاقة التي يحاول فيها شخص متخصص تقديم مسـاعدة لشـخص آخر، ليفهم مشاكل عدم التوازن لديه ويحلها، وتتمثل في مواقف الحياة المختلفة ، الدراسـية، والمهنيـة، والشخصية، والإجتماعيه)). (ص16).

أما في معجم علم النفس فقدعُرِّف الإرشاد النفسي (Counseling) ((بأنه العلاقة المهنية، والصلـة الانسانيه المتبادلة، التي يتم من خلالها التفاعل بين طرفين، أحدهما متخصص وهو المرشد النفسي، والـذي يسعى إلى مساعدة الطرف الآخر وهو صاحب المشكلة في موقف الإرشاد)). (طه وآخرون، د.ت، ص41).

وجاء في موسوعة علم النفس عن معنى كلمة (Counseling) أي الإرشاد النفسي بأنها ((إسـداء المشورة للأفراد ليحققوا لأنفسهم التوافق، ويكون ذلك بمناقشة المسائل.العلاجيـة معـهم ، وإجـراء الاختبارات وتفسير مدلولاتها ومساعدتهم مهنيا...)) ولقد عُرِّف المرشد النفسـي (Counselor). ((بأنه الأخصائي النفسي الذي يقدم النصح والمشورة)).(الحفني، 1978م، ج1،176).

أما الرابطة الأمريكية لعلم النفس فقد عرَّفت الإرشاد النفسي بأنه ((الخدمات التي يقدمها أخصـائيو الإرشاد النفسي، ويستخدمون مبادئ ومناهج وإجراءات لتيسير السلوك الفعـال للإنسـان خـلال عمليات نموه على امتداد حياته كلها)) (طاهر والجردي، 1986م، ص 28).

((وكما هو معلوم أن نظريات الإرشاد والعلاج النفسي – غير الإسلامية – تختلف في مفاهيمها وأهدافـها وأساليبها الإرشادية ، ومن ثم تختلف المعايير والضوابط التي يمارسها كل مرشد تبعاً للنظرية التي يتبناهـا. وسيضع الباحث تعريفاً لمفهوم الإرشاد النفسي في الإسلام مستخلصاً من معاني الألفاظ الواردة في القـرآن والسنة، ومعاجم اللغة العربية، ومستفيداً من التعاريف السابقة وكما يأتي :

الإرشاد النفسي في الإسلام هو : الهداية والدلالة، إلى الحق والصواب، في الاعتقاد والقول والعمل وفقاً لمـا جاء به الإسلام. ويقدم الإرشاد النفسي في الإسلام إلى كل من يحتاج إليه .

وبناءً على ذلك تكون مهمة المرشد هي: تصحيح نظرة المسترشد نحو نفسه ، والمجتمع ، وعن الحياة الدنيـا والآخرة وتقويم سلوكه غير السوي ، وتذكيره بغاية وجوده، ومهمته في الحياة . ومعنى القضـاء والقـدر والابتلاء، وعداوة الشيطان للإنسان ، فضلا عن مساعدته في حل مشكلاته ، وضبط انفعالاتـه، وتنميـة قدراته ، وحثه على تلبية احتياجاته العضوية والنفسية والروحية ، باتزان وبحسب إمكاناته ووفق الضوابـط الشرعية ، حتى يفوز بسعادة الدنيا والآخرة.)).(النجار،1999م،ص37).

أهمية الإرشاد والحاجة إليه:

تأتي أهمية الإرشاد النفسي في الإسلام من أهمية الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه ، فالإرشاد يهدف إلى هداية الناس وإرشادهم إلى الخير والرشاد في معتقداتهم وأقوالهم وأفعالهم ، لكي يكونوا أسوياء في نظرتهم إلى أنفسهم وإلى مجتمعهم وإلى دنياهم و آخر قم ، فتتحقق لهم بعون الله ومشيئته السعادة في الدنيا والآخرة .ولهذا فالحاجة إلى الإرشاد مُلّحة ، ويمكن تفصيل ذلك من خلال الوقفات الآتية :

المراحل العُمرية وتغيراتها:

تتأكد حاجة الإنسان الملحة للإرشاد والمساعدة لأنه دائم التغير في جسمه وقدراته وفي فكره وخبراته ، وفي انفعالاته وسلوكه وأدواره في الحياة ، فلو نظرنا إلى المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان : المهد (الرضاعة) 2- الحضانة ، 3- التمييز ، 4- الحلم (البلوغ) ، 5- الرشد (الشباب) ، 6-الأشد(القوة) 7- الكهولة،8-الشيخوخة، 9- الهرم (أرذل العمر)). (النجار،1995) لوجدنا أنه في كل مرحلة يحتاج إلى العون والمساعدة وإلى إرشاد معين. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً...﴾ (الروم: 54).

فترات الانتقال والتغيرات في المجتمع:

إن فترات الانتقال التي يمر بها الإنسان في حياته كثيرة ، والتغيرات التي تحدث في المجتمع متعددة و متنوعة ،وكثير من هذه التحولات تجعل الإنسان غير متكيف أو منسجم معها ، ولذا فهو بحاجة ماسة للمساعدة والإرشاد، نتيجة لضعف قدراته وإمكاناته، ونقص المعلومات والخبرات لدية .

ومن فترات الانتقال التي يواجهها الإنسان مثل: انتقال الطفل من المنزل إلى المدرسة، أو الانتقال إلى المراحل الدراسية المختلفة ، والانتقال من مرحلة الدراسة إلى مرحلة العمل، أو من مرحلة العمل إلى مرحلة التقاعد أو تغير المهنة، والانتقال من مرحلة العزوبية إلى مرحلة الزواج ، أو من مرحلة الزواج إلى مرحلة الطلاق، أو موت أحد الزوجين . هذا فضلا عن التغيرات الأخرى التي تحدث في المجتمع مثل : تغير النظام التعليمي أو الاقتصادي أو السياسي أو الأسري أو الاجتماعي ...الخ .

صفات الإنسان السلبية:

أن في الإنسان صفات سلبية داخلة في تكوينه الفطري تدفعه إلى الانحراف عن السواء ولاسيما عندما تُهمَل التربية والتوجيه والتقويم المستمر للإنسان، مما يجعل تقديم التوجيه والإرشاد له من الواجبات على أولي الأمر، والآباء، والمربين، وكل متخصص وقادر. وفيما يأتي عرض لتلك الصفات السلبية من خلال النصوص الشرعية الآتية:

صفات سلبية ذكرت في القرآن الكريم :

1- حب الشهوات: (حب المرغوبات والمشتهيات للنفس)

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ (آل عمران:14).

2- ضعيف: (أمام الشهوات والمغريات)

قال تعالى :﴿ يُرِيدُ اللهُ أن يُخففَ عنكم وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾

(النساء:28).

3- يؤوس: (شديد اليأس والقنوط)

قال تعالى :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: 9).

4- ظلوم: (بسبب عدم شكره لنعم الله عليه)

قال تعالى :﴿ ...إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم :34).

5- خصيم : (شديد الخصومة بالباطل)

قال تعالى :﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النحل :4).

6- عجول : (شديد الاستعجال غير متأن)

قال تعالى:﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾

(الإسراء :11).

7- كفور : (جاحد لنعم الله عليه ومعرض عن الله)

قال تعالى :﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ (الإسراء:67).

8- قتور: (شديد البخل)

قال تعالى :﴿ قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً﴾ (الإسراء:100).

9- مجادل: (كثير الجدال)

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾ (الكهف :54).

10- جهول: (شديد الجهل)

قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.(الأحزاب:72).

11- هلوع: (شديد الجزع والخوف عند الشر، سريع المنع عند الخير)

قال تعـالى:﴿ إِنَّ الإِنْسَـانَ خُلِـقَ هَلُوعـاً*إِذَا مَسَّـهُ الشَّـرُّ جَزُوعـاً*وَإِذَا مَـسَّهُ الخَـيْرُ مَنُوعـاً﴾. (المعا رج:19-21).

12- طاغ : (يتجاوز حدود الله)

قال تعالى:﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى*أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى﴾.(العلق:6-7).

13- كنود: (كثير الكفر والجحود للنعمة)

قال تعالى :﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾. (العاديات:6).

14- خاسر: (خُسْران ونَقْص وَهَلَكَة)

قال تعالى :﴿ وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. (العصر 1-2).

صفات سلبية ذكرت في الحديث النبوي :

وهذه مجموعة من الأحاديث النبوية تشير إلى أن الخطأ وارتكاب الذنوب والميل عن الحق والسـواء، صفات أساسية في الإنسان. ولكي يتخلص الإنسان من آثارها و يخفف من وطأتها، فليلجـأ إلى الله بالدعاء والاستغفار والتوبة والمجاهدة والتقويم المستمر.

- عن أنس أن النـبي ﷺ قـال :(كُـلُّ أبـنُ آدَمَ خَطَّـاء وخـيرُ الخطـاءين التوابـون) (رواه الترمذي: رقم الحديث 2499).
- وعن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولَجَاءَ بقـوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم) (رواه مسلم: رقم الحديث 2749).
- وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال في الحديث القدسي: إن الله تعالى قال: (يا عبادي كُلُّكم ضال إلا من هديته، فاستهدُوني أهدِكم ...)واه مسلم : رقم الحديث : 2577).
- وعن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول : (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)(رواه أحمد: ج2، ص121).

حـمايـة المجتمـع:

إن تلك الصفات السلبية في البشر وميلهم الفطري نحو الانحراف عن السواء، يهدد أمن المجتمع ونظامـه ، وعلى هذا جاءت الديانات السماوية وأرسلت الرسل إلى البشر، ليبينوا لهم منهج الله الذي ارتضاه لهـم، ولكي يـُحكِّموه في جميع منا شط حياتهم، إن أرادوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيْزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ...﴾ (الحديد:25). وقال تعالى: ﴿كَانَ النَاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾ . (البقرة:213).

ولذا حض الإسلام المؤمنين على التناصح والتواصي بالحق والصبر والثبات، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما حضهم على حب الخير للناس، والسعي في حاجاتهم، وحماية المجتمع والمصلحة العامة من المفسدين. وكل هذه التوجيهات تعد صورا ومظاهر من الإرشاد النفسي. وهذا دليل على اهتمام الإسلام بالإرشاد، وعلى المكانة العالية والأهمية البالغة التي يوليه إياها. والنصوص الشرعية الدالة على ذلك كثيرة، نذكر عددا منها:

- قال تعالى ﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: كاملة).
- وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..﴾ (آل عمران : 110).
- وقال تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة : 2).
- عن تميم الداري، أن النبي ﷺ قال :(الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال: (لله ولكتابه، ولرسوله، وأئمة المسلمين وعامتهم) (رواه مسلم: رقم الحديث 55)
- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته. فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته. والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم. والمرأة راعية على بيت بعلها (زوجها) وولده، وهي مسؤولة عنهم. والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عنه. ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته). (رواه مسلم: رقم الحديث 1829).
- وعن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).(رواه مسلم : رقم الحديث 49).
- وعن حذيفه بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف، وَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أولَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم). (رواه الترمذي: رقم الحديث 2169).

• وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). (رواه مسلم : رقم الحديث 45).

• وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من نَفَّسَ عن مؤمن كربه من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يَسَّرَ على معسر، يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخره. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّلَ الله به طريقاً إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السَّكِينَةِ وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتْهُمُ الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بَطَّأَ به عمله لم يُسرع به نسبه).(رواه مسلم:رقم الحديث 2699).

• وعن النعمان بن بشيران رسول الله ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أردوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً).

(رواه البخاري : رقم الحديث 2493).

وعندما أعرضت الأمم والأفراد عن منهج الله وهديه المتضمن في الديانات السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام) على الرغم من التحريف والتبديل الذي حصل في الديانة اليهودية والمسيحية عمت الفوضى في المجتمعات، وانحرف سلوك الأفراد واختلفت المعايير في المجتمع وتعددت . وهذا الاضطراب في السلوك والمعايير هو الذي دفع نخبه من البشر – في كل مجتمع – لسن أنظمة وقوانين ومعايير لتنظيم حياة الناس، وتوجيههم نحو السلوك الذي يرونه سوياً.

وبالرغم من ذلك فستظل مظاهر القلق والضنك والمخالفات سائدة في كل مجتمع يعرض عن منهج الله وهدية.

هدف الإرشاد ودور المرشد في المجتمع الإسلامي:

ينبثق الهدف من خلال مفهوم الإرشاد في الإسلام، وقد بين الباحث أن مفهوم الإرشاد النفسي في الإسلام هو: الهداية والدلالة إلى الحق والصواب، في الاعتقاد والقول والعمل، وفقا لما جاء به الإسلام. وبناءً عليه فان هدف الإرشاد في الإسلام هو : أن يكون الإنسان سوياً في معتقداته وأقواله وأفعاله، وسوياً في نظرته إلى نفسه ومجتمعه، والى دنياه وآخرته، وبذلك تتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة. ومقياس السواء في كل ذلك، هو الإسلام، بقيمه ومبادئه وتوجيهاته.

دور المرشـــد :

لكي يتحقق هدف الإرشاد في الإسلام لابد للمرشد المسلم من القيام بالمهام الآتية:

- **إيقاظ الإيمان بالله لدى المسترشد وتقويته:**

((لان الإيمان بالله هو الركيزة الأساسية لكل علاج نفسي ، والدعامة الجوهريـــة للشـــفاء مـــن القلـــق والاكتئاب وسائر الأمراض والاضطرابات النفسية، وهو الشرط الأول للصحة النفسية والتوازن الروحـــي لدى الفرد))(سلطان ، 1989م،ص276).

ولذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(الأنعـــام: 82). وقال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـــمٌ﴾(التغابن، 11) .

ولكن الإيمان الضعيف أو المشوه لا يحقق الهدف المرجو، والذي يحقق الهدف هو الإيمان القوي الذي يدفـــع صاحبه إلى الأعمال الصالحة ويتصف بالصفات الإيجابية التي يمكن الاستدلال عليها من الآيات الآتية: قـــال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّـــهِمْ يَتَوَكَّلُونَ*الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ*أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّـــهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(الأنفال،2–4)،وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُـــونَ*الَّذِيـــنَ هُـــمْ فِـــي صَلاَتِـــهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـــاةِ فَاعِلُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـــافِظُونَ*إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَـــيْرُ مَلُومِـــينَ*فَمَـــنِ ابْتَغَـــىٰ وَرَآءَ ذَلِـــكَ فَأُوْلَـــئِكَ هُـــمُ الْعَادُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِـــهِمْ يُحَـــافِظُونَ*أُوْلَـــئِكَ هُـــمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(المؤمنون،1–11)،وقال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيـــنَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَـــئِكَ هُـــمُ الصَّـــادِقُونَ﴾ (الحجرات، 15).

- **تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المسترشد:**

معظم الاضطرابات والأمراض النفسية التي تصيب البشر ناشئة عن فهم قاصر أو مُشَوَّهٌ للمفاهيم الكـــبرى المؤثرة في سلوك الإنسان وحياته مثل مفهومه عن نفسه وعن مجتمعه وعن دنياه وآخر ته، وعن مهمتـــــه في الحياة والغاية من وجوده، والإبتلاءات المتعددة والمتنوعة، وعن احتياجاته النفسية والجسدية وغيرهـــا مـــن المفاهيم . وبعد تصحيح مفاهيم المسترشد يجب حضه أو تعليمه سلوكيات جديدة تتسم بالسواء، وتنســجم مع المفاهيم الجديدة، لأن العلاج الإسلامي للاضطرابات النفسية مُكَوَّن من قسمين:علم وعمل.

- **إقناع المسترشد بضرورة تحمل المسؤولية - الفردية والجماعية:**

إن كثيرا من المشاكل التي تصيب الفرد ناتجة عن تقصيره في القيام بمسؤولياته الشخصية واستهتاره أو عدم حرصه على العمل بالأسباب، وعلى المرشد تغيير هذه السلبية لدى المسترشد، وتذكيره بعدد من النصوص الشرعية التي تعينه، فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: [ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته...](رواه مسلم، رقم الحديث 1829). وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز...] (رواه مسلم، رقم الحديث 2664).

وكذلك المسؤولية الجماعية أو الاجتماعية، لأن سلبية الإنسان وسكوته عن المنكرات والتجاوزات التي تجري في المجتمع الذي يعيش فيه – وان لم يرتكبها هو– سيصاب حتماً بأضرارها ، لأنه لم يهتم بتوجيه الله له من خلال قوله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوَاْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:25)، ولم يلتزم بأمر رسول الله ﷺ الذي قال فيه [من رأى منكم منكراً فليغيره...](رواه مسلم، رقم الحديث 49)، ولم يتخلق بخلق المسلم الذي من صفاته، النصيحة لكل الناس، فعن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: [((الدين النصيحة)) قلنا لمن؟ قال((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم] (رواه مسلم، رقم الحديث 55).

- **تنمية قدرات المسترشد:**

وذلك من خلال تبصيره بقدراته العقلية والجسمية والعلمية...الخ، وضرورة العمل بالأسباب المؤدية إلى زيادة فعالية تلك القدرات والاستفادة منها وتفعيلها إيجابياً في الحياة.

- **تقوية إرادة المسترشد وعزمه:**

جاء في لسان العرب أن الإرادة: هي المشيئة . والعَزْمُ هو: الجِدُّ والصَبر، وعزم على الأمر: أراد فعله. والعزم: ما عَقَد عليه قَلبُك من أمرٍ أنَّك فاعله.

وسبب قيام المرشد بهذا الدور هو أن كثيرا من المسترشدين يعانون من مشاكل متنوعة، سببها الرئيسي هو ضعف إرادتهم وعزمهم أمام الشهوات والمثيرات وإغراءات النفس، فلا تقوي إرادتهم على المقاومة، على الرغم من علمهم بخطورة الانسياق وراء المغريات ((ونعني بالإرادة القوية إرادة تنفيذ ما قَصَدَتْ إليه مهما كلفها من المشاق، لا تحجم أمام العقبات تعترضها، وإنما تبذل ما وسعها لتذليلها . ... هذه الإرادة القوية هي سر النجاح في الحياة وهي عنوان عظماء الرجال، إذا أزمعوا أمراً لم يثنهم شئ، يسلكون إليه كل سبيل، ويركبون فيه كل صعب))(أمين، 1969م،ص54).

ويرى ابن قيم الجوزية(1973م) أن سعادة الإنسان تكمن في صدق العزيمة وصدق الفعل ((فصدق العزيمة (يعني) جمعها وجزمها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوُّم... وصدق الفعل هو

استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه ، وان لايتخلّف عنه بشيء من ظاهره وباطنه. فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمّة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره، صَنَعَ الله له فوق ما يَصْنَع لغيره)) (ص186). فإذا تبين للإنسان أهمية القيام بعمل ما أو الامتناع عن عمل ما، فليعزم على ذلك ولا يتراجع، قال تعالى: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، 159)، والأعمال العظيمة الخيِّرة تتطلب إرادة وعزما قويا ، ومن ثم تتطلب صبرا على الأذى المادي والمعنوي، قال تعالى على لسان لقمان عندما وعظ ابنه: ﴿يَبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىَ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان : 17).ولذا عاب المولى جل وعلا على أبونا آدم عندما لم يصبر على المنع من الأكل من الشجرة المخصوصة ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىَ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾(طه:115).وأيضاً عاب المولى جل وعلا على الذين في قلوبهم مرض عندما خافوا من القتال ، فقال تعالى: ﴿... فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ (محمد:21). فالالتزام بطاعة الله وأداء الواجبات، مثل الصوم وما يلزمه، وأداء الصلوات جماعة في أوقاتها، ومخالفة أهواء النفس وطلباتها، والأخذ بعزائم الأمور، كل ذلك وأمثاله يعد من أفضل الوسائل في تقوية الإرادة والعزم.

- **مساعدة المسترشد في حل مشاكله:**

إن السبب المباشر في اللجوء إلى المرشد هو عجز المسترشد عن مواجهة بعض المشكلات التي تعترضه في الحياة، وعدم قدرته على اتخاذ القرار المناسب، ونتج عن ذلك عدم تكيفه مع نفسه ومع المجتمع من حوله، ومن ثم حرمانه من السعادة والصحة النفسية. ولكي يواجه المسترشد مشاكله ويتخذ القرارات المناسبة، وينسجم مع نفسه ومجتمعه، ويشعر بالسعادة، يجب على المرشد القيام بالخطوات الخمس السابقة تجاه المسترشد وهي تقوية إيمانه بالله ، وتصحيح مفاهيمه الخاطئة، وتدريبه على السلوكيات السوية، وتحمل المسؤولية الفردية والجماعية، وتنمية قدراته، وتقوية إرادته وعزمه. عند ذلك يكون المرشد قد قام بدوره وواجبه تجاه المسترشد.

المراجـــع

*القرآن الكريم.

1. ا بن حنبل،احمد.(1981م).مسند احمد بن حنبل.ضمن موسوعة الكتب الستة،استنبول–تركيا:دار الدعوة.
2. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكرا لزرعي . (1973م).الفوائد. ط2، بيروت : دار الكتب العلمية.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). لســـان العرب. بيروت:دار صادر.
4. أبو عيطة، سهام درويش. (1997م). مبادئ الإرشاد النفسي. ط 1عمّان:دار الفكر.
5. أمين، أحمد. (1969م). الأخلاق. بيروت: دار الكتاب العربي.
6. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (1981م). سنن الترمذي. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول–تركيـــا: دار الدعوة.
7. الحفني، عبد المنعم. (1978م). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي . القاهرة:مكتبة مد بولي.
8. الشناوي ، محمد محروس . (1994م) . نظريات الإرشاد والعلاج النفسي . القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
9. الشناوي ، محمد محروس . (1996م) . العملية الإرشادية ، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
10. طاهر، حسين محمد والجردي، محي الدين يوسف.(1986م). الإرشاد النفسي والتربوي بين الأصالـــة والتجديـــد. الكويت: جامعة الكويت.
11. طه، فرج عبد القادر و محمود السيد وقنديل، شاكر عطية و محمد، حسين عبد القادر و عبد الفتـــاح، مصطفـــى كامل.(د.ت). معجم علم النفس والتحليل النفسي.بيروت: دار النهضة العربية.
12. قطب، سيد.(1982م). في ظلال القرآن.(ط10) . بيروت: دار الشروق.
13. مجمع اللغة العربية.(د.ت). المعجم الوسيط. طهران: المكتبة العلمية.
14. محمد، محمد محمود.(1995م) . فعالية برنامج إرشادي في خفض مستوى بعض المخاوف المرضية لدى تلاميذ الحلقـة الأولى من التعليم الأساسي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، مصر .
15. مرسي، كمال إبراهيم.(1995م). التأصيل الإسلامي للإرشاد النفسي لآباء المتخلفين عقليا . بحوث المؤتمر الســـدولي الثاني لمركز الإرشاد(ج1) ، القاهرة: مركز الإرشاد النفسي : جامعة عين شمس .
16. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج.(1981م).صحيح مسلم. ضمن موسوعة الكتب الستة، استنبول–تركيـا: دار الدعوة.
17. المهدي، محمد عبد الفتاح.(1990م). العلاج النفسي في ضوء الإسلام . المنصورة –مصر: دار الوفاء.
18. النجار، مسعد أحمد.(1995م). نحو نظرية إسلامية في الشخصية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.
19. النجار، مسعد أحمد .(1999م).الارشاد النفسي في الإسلام. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزيرة، السودان.

مقامات الصنعاني

شاعر اليمن الكبير
أ. د. عبد العزيز المقالح *

بين نومٍ ونوم
على مرفأ الروح
أفتحُ نافذةَ القلبِ
أهربُ عبرَ شَبابيكه
لزمانٍ مَضى
لحدائقٍ كانت
لوردٍ ترنّح في لونه
في الأريج
لحلمٍ صعدتُ به صوبَ لا أرْض
لا خَوْف
حيثُ أنتقتْ لي أصابعُ روحي

---

* رئيس جامعة صنعاء – ورئيس مركز الدراسات والبحوث .

قصائدَ من ذهبِ الكلمات
وحينَ أعودُ إلى كُتُبي
وَفراغي
يهاجمُني عبرَ نافذةِ الصّمتِ والخلوات
عواءُ الذئاب
أشُمّ احتراقَ الكلماتِ
بكاءً عميقاً لأوردةِ الياسمين

* * *

بين نومٍ ونومٍ
تغادرني الأرضُ
أفتحُ ذاكرةَ الليل
تحملُني للفضاءِ النجومِ الجميلةِ
تمسكُني بأصابعِها
وتناوشُ خوفي بالصلواتِ
بعطرٍ من الأغنياتِ
أحدّقُ حولي ، ماذا أرى ؟

* * *

وَطَناً للعصافيرِ والفقراءِ
وللطيبين ،
ولا جندَ ،
لا حكمَ ،
لا شرطةَ ، لا زنازنَ
تنشرحُ الروحُ
تطفو على سدرةِ الضوءِ
تنفضُ عنها رمادَ الكآبه

لكنّ صوتَ رنينِ القيود يدقّ
يطاردُ روحي
فتصرخُ :
لا ، لا أريدُ الرّجوع إلى الأرضِ
أكرهُ أحزانها
وغبار الفجيعة
بين نوم ونوم
تداعبني في المرايا خيول
وتستيقظ الروح
خارجة من سبات غوايتها
وعلى ضوء ما اختزن الوقت من ماء أشواقها
وحنين براءتها
تتجول في الأرض
في ضفة الكائنات
تطوف بكل المساجد
كل المعابد
تسكن في راحة الله
ترقى ،
تنظف أدرانها وهواجس أطماعها
في بهاء المحبة
تعسّلها حين تصحو على مفردات الدمامة
في شارع معتمات حجارته
وحدائقه تتنفس أدخنة و (عوادم)
تورق أشجارها كمداً غامقاً
وأسىً لا ينام

* * *

بين نوم ونوم
أغادر نفسي
وأحلم لو تتركوني وحيداً
لأحفر صدري
وأدفن هذا الكيان الهزيل به
ثم أدخله خاشعاً
أتوكأ بالكلمات
وما اختزلت من بكاء العروض
وايقاعه المتحشرج
لا شئ يجرحني مثل هذا الخليط
..... من الموت ،
..... والنوم ،
..... والصحو ،
هذا الخليط من الحزن
..... والخوف
لا شئ يغسلني ويباركني كالمنامات
في زمن طافح بالاسى
..... مترع بالجنون

* * *

بين نوم ونوم
يفاجئني البحر ،
يأتي لصنعاء من شرقها
وكطفل تشرد عن أهله
يرتمي تحت أقدامها خاشعاً

يتجوّل
يركض فوق شوارعها
ويداعب أطفالها
كم تكون بتولاً وفاتنةً
وهي تتبتل بالبحر
تحنو عليه
تمشط أزراره
ثم تغزل من فيض زرقته
شرشفاً للنوافذ والشرفات
تحت تجاعيدها فوق أمواجه الناعمات
وينحسر البحر، يخرج من حلمه
وتعود الشوارع تجتر احزانها
وغبار مواجيدها
وتظل المدينة – ما بين نوم ونوم –
تعانق بحراً من الحلم
والكلمات

* * *

بين نوم ونوم
رأيت يداً ترسم الأرض بيتاً من الضوء
يسكنه كل أبنائها بالتساوي
لا فرق بين القصير وبين الطويل
وأشقرهم مثل أسودهم
ورأيت المحيطات صارت حقولاً
مرصعةً بالبحيرات
والأنبياء على غيمةٍ عذبةٍ

يستريحون بعد الصلاة
ولا سيف في البيت ولا بندقية
أسواره من غناء العصافير من شدوها
تتدلى الأغاني من الشرفات كما الورد
للناس – تبّت يدُ الإختلاف – شرائعهم
للحمام شرائعه
للفراشات
كل الجبال الزجاجية
والحجارة تكشف ما خلفها
شجر السرو يرقص
والياسمين يغنى
في لحظة تختفي اليد ، والرسم
عاد الجدار
المخدّات صارت جداراً
وطار حمام المنام

* * *

بين نوم ونوم
تجيء القصيدة صافيةً كأديم السماء
مبرّأةً من غبار التضاريس
حاملة شمس أيامنا
ورد أيامنا
وتنادي على ورقٍ لتخط عليه
السطور التى تشتهي
والحروف التى تشتهي
والزمان الذي لا تريد التقاليد

تأتي القصيدة منظومة تارةً
غير منظومة تارة
فأشد على مائها وتر القلب
أزهو بخلجانها
وبساتينها
فإذا استيقظت خرجت من فضاء المنام
ومن طقسه
دخلت حلقات الكلام

ذاكرة الأشياء

الشاعر محمد عبد السلام منصور *

الظلمة مبصرة
تبسط أجنحة من غبش شفاف
تحملنا بهدوء
من بين الأنفاس اللاهثة الدنيا
في النفق الأعمى
الظلمة خاتمة الأسفار
وفاتحة الصمت سرير الأبدية
ينطفئ الناس جميعا في يدها
تمحو من ذاكرة الجسد الرغبة
وتمحو ذاكرة الأشياء

---

* مستشار قانوني ، وكاتب يشتغل في الفكر والأدب

تتلألأ في قبتها الأقمار
تفيض علينا عدماً رقراقاً
ترمينا في الغيب الممتد بلا وعي
خدرٌ جذابٌ ليس له عمق ليس له شطآن
لا نسمع فيه أنيناً من جوع أو لاغيةً من كرب
كسل فياض يمتص النفس يطهرها من دنس الشهوات
... وإذلال السلطان
خمول لا نعرف فيه الخوف
ولا يشعرنا بأمان
يتمادى مصلوب الوقت بلا جهةٍ
لا تتذوق فيه مدامعنا
لا تتذوقنا الأوهام
فراغ مسفوح في النسيان الدامس
ينسانا فيه الحرمان

وننسى : الشارع مكتظاً بالسيارات وأيدي الشحاتين
الأحياء المزكومة ، رائحة المكر الفاقع خلف عيون الناس
المدن المعمورة بالصمت ، المسعورة من آهات الفقراء
الأمراض ، الأعداء ، الحساد ، البغضاء
لهاث الأيام الظمأى
خارطة العمر المثقوبة بالأطفال المحرومين
شراب كهولتنا
الملل الطاعن في الروح
وننسى ، ننسى ، حتى ينسانا النسيان
ولكن لا تنسانا الأحزان

عيون
تتفتح من أعماق الظلمة ، تفلت من قبضتها
تكتم صوت الديك
تدير الفلك المكار
. . . . . .
. . . . . .
يدور
وينسكب الصبح على مهل
تورق بالضوء نوافذنا
الأيام تعيد مسيرتها الأولى
. . . . . .
. . . . . .
شيخ يفرك ذاكرة الايمان ، يصلي
الدمع أسيرٌ والناس تضيء بأنوار الصبر
غلام في برميل الفضلات
ونحن نصلي
أمٌ تقرئ طفليها نسيان الجوع ، وتلبس أهداب الليل
تصلي
الصبر حزين ، الجوع يضيء بنيران الصمت
الشمس تبث أشعتها
كلب ينفض فروته
وغبار الليل يضيء
الشارع مشحون بالعربات
لصوص صوب مكاتبهم
أطفال تحت إشارات الضوء

. . . . . .

. . . . . .

الطابور جرى
والجندي يتصبب جوعا
ويصيح: الله ، الوطن ، الثورة

. . . . . .

. . . . . .

تنسلّ فتاة في زينتها
تتهجى ، تحت الشرشف ، إفطارا وحليبا
ترجو لأبيها الموت
وتمضي أدراج الريح
وكلب ينبح يغسل فروته ضوء الشمس
بهيّ الطلعة
صيّاد مدينتنا
يمرق بالسيّارة والسيّار
(البيجر) يرعش خاصرتيه
ونحن هنا : أشياء ، ذاكرة تنسى
نذكر ، ننسى ، ثم نصلي

إشراقة

الشاعر عباس الديلمي *

زارني قبل أن ينام رقيبُ ... وعذولٌ ، وليلنا يستطيبُ
قبل يأتي المساءُ يلقي إلينا ... طوق استاره ، وتخلو الدروب
اترى شفّه من الشوق ما عنـ ... ـدي ، ومن لهفتي عليه نصيبُ ؟
هل رأى قلبهُ ، فأيقنَ أنّ الـ ... ـقلب ، للقلب شاهد وحسيب
أم لإني عشقتهُ صار يخشى ... أن يراني بنار شوقي أذوب

* * *

زارني والمنى على راحتيهِ ... نشوة في الرؤوس منها دبيبُ
وهمّت نارُه برداً على رو ... ح محب ، يهمي عليه حبيب
وجعلنا من الدقائق عمراً ... خاب عذاله ، وغاب الرقيب
وكأن الوجود كأسٌ من السحـ ... ـر ، تهادت به لعوب طروبُ

---

* مدير عام البرامج في الإذاعة

جنـــةٌ ، تمنـــح النفـــس أمانيـــ ـــها ، ولا زاجـــرٌ بـــها ، أو ذنـــوبُ

* * *

إن أتـى زائـراً بأجنحة الشـو ـقِ ، كمـــا زار أيكـــةً عندليـــبُ
فأنـا مـن سـعى إليـه ، ولبيـ ـتُ ، وطافت معي ، وحجّت قلوبُ
كرماً زارني ، وماضرّ أن يجـ ـنو برفقٍ علـى مريضٍ طبيـبُ
يـوم حدّثتُـه بـدون لغـاتٍ وفـؤادي عـن اللسـانِ ينـوبُ
ولـه خاشـعاً توجّـهت بـالرو ح ، فـأيقنت أنّـه يسـتجيبُ

* * *

من حبيـبي ؟ هـو الكمـالُ حبيـبي كيـف تدنو من الكمالِ عيـوبُ ؟
مـن حبيـبي ؟ محبـةٌ وصـلاةٌ باركتـها أهلّـةٌ وصليـبُ
مـن حبيـبي ؟ تبسّـمٌ وجمـالٌ نشـرتهُ على الوجـودِ الطيـوبُ
قمرٌ ، برجُـهُ الفؤادُ ، ومسراهُ عيو نـي ، ومـاطواهُ مغيـبُ
سـرُّ إشـراقةٍ تجلّـت بحـاراً مـن ضيـاءٍ حـواه قلـبٌ رحيـبُ

* * *

قتلتـني محبّـتي واشـتياقي وهـو مـن مهجة المشوق قريـبُ
أنـا والله مـن خُلقتُ لأهـوا ه ، وبالحُب عـن ذنوبـي أتـوبُ
لاتـرى العـين غـيرهُ فـهو الـ ـحـقُ جليـاً ، وماسـواه غيـوبُ
ليـس لي غـيرهُ أنيسٌ وهـل يخـ ـلفُ ، يوم العطاءِ روضٌ خصيـبُ ؟
من سـواه وقـد غـدوت وحيداً وصبوحـي مثـل اغتباقي كـرُوبُ
في زمانٍ عليهِ من معول الـوأ دِ ، ومـن حنجـر الظـلامِ نـدُوبُ
عصبـوا عينـهُ بجـهل الحماقـا تِ ، وليـلٌ مـن الضـلالِ رتيـبُ

* * *

ضـاق بـي عـالمٌ يسـيّجه الـ ـبغـض والزيـف والنفـاق رهيـبُ
عـزّ فيـه الوفـاءُ ، وانتحـر الحـبّ وجَفّ النّـدى ، وبـارت سُـهوبُ
أرضعـوهُ سياسـة الغـدر حقـداً عصرتـهُ غوائـلٌ وحـروبُ

عالمٌ لا أطيقهُ، وأنا فيـ ـهِ كسيرٌ، وبين أهلي غريبُ
(الصداقاتُ، كالعداواتِ تُدمي) كيف ينجو صروفهُنّ لبيبُ؟
والأراضي الوهادُ تشربُ أحـ ـزانَ الروابي، فجفّ غصنٌ رطيبُ
وأحالوا سماحة الدين خُبثاً في زوايا النفوس منهم يجوبُ
انقساماً، وفتنةً تزرع الرُعـ ـبَ، ويكسو الوجوهَ منها شحوبُ
لم يعد للبكاءِ دمعٌ، وللحز نِ، أنينٌ، وللنواح جيوبُ
لا ولا للسيوفِ حدٌّ، وللرفـ ـضِ عنانٌ، وللرياح هبوبُ
ياغبار السنين ها أنتِ في رأ سي همومٌ، وحكمةٌ، ومشيبُ
قد تأمّلتُ في الحياةِ جلياً وظهيري، تجاربٌ وأريبُ
فاذا العيش دون حبٍّ سرابٌ زيّنت وعده الكذوب لعوبُ
مقلةٌ لاترى الجمالَ وروحٌ هي للأمنياتِ سجنٌ رهيبُ
اغنياتٌ بلا شجونٍ، صلاةٌ من نفاقٍ، دعا إليها كذوبُ
عالمٌ لا يرى الصباحَ بنُوهُ بقلوبٍ شروقهنّ، غروبُ
وعروشٌ على الرماحِ وسيفٌ بدم العدلِ، والضحايا خضيبُ

* * *

ياجراحاً تبسّمت لحبيبٍ ليس في طاعتي له ما يعيبُ
انظريه، كوردةٍ، فوق غصـ ـنٍ يتثنّى، وقد حواه كثيبُ
واحضنيهِ، بفرحةِ العيدِ في قلـ ـبٍ صغيرٍ كساهُ ثوبٌ قشيبُ
عانقيهِ، بلهفةِ العشقِ تهفو لبرودٍ حواهُ ثغرٌ شنيبُ
واشربيهِ، بظمأةِ الرملِ إن جفّـ ـت سماءٌ، وللشموس لهيبُ

المشكاة

الشاعر محمد الشرفي*

ـ ١ ـ

قطراتُ من دمِ الدرّةِ
من قلبِ محمّدْ
صرخات الأرض
في وجه الغزاة الزرقِ
والجرح المسّهدْ
ومحمد
ألف مشكاة على وجه السماءِ
ألف قيثار يغنّي
ألف لحن
يتمشّى في حنايا الكبرياءِ
وابتهالات شموخ يتعالى
وتسابيح صلاةِ

---

*رائد مسرحي

في محاريب الفداء

-2-

يا حبيبي يا محمد
يا شجون النغمة الأولى
من الحبّ المغنّى
يا مرايا البسمة الأولى
من الشوق المدمّى
حجرٌ أنت ، وصخر
صخرةٌ أنت .. وكبرْ
جبلٌ أنت من النار
وجمر
أنت شعبٌ
أنت أرضٌ
كلّ يومٍ برؤاها تتجدّد
فتوقد يا محمد
كيفما شئت توقّد

-3-

يا فلسطين الضّحايا ، والمرايا
والحنين
يا فلسطينُ محمد
أيّها الجرحُ الذي أمتدّ
كضوء الفجر
ما بين الشذى الدامي
وجرح الياسمين
من أرى فيك ؟ وماذا أنظر ؟

صحوةً تستعرُ
وقيود الله حين تنكسرْ
وأرى التاريخ يصحو مشهداً
في إثر مشهدْ
ومحمد
كل حين في حنايا الأرض مولودٌ جديدْ
وكما العنقاء من تحت رماد القهر
والطّغيان يولدْ

-4-

يا محمد
يا حنين الموجة العذراء للشطآن
يا شوق النوارس
هذه كلّ المساجدْ
هذه كلّ المعابدْ
هذه كلّ الكنائس
تتشظّى ألما
تترامى حمما
وتنادي ، وتصيحْ
حان أن نستبسلا
حان أن نستقتلا
هاهنا الأقصى الجزع

-٤-

يا محمد
من يلبّي يا محمد ؟
لا أرى حولي أحد
((مافي حدا ، مافي حدا))
((لا تندهي مافي حدا))
مالنا نحن العرب
مابنا نحن العرب
نخرتنا دودة الفاشيست ، والغازي
رمتنا ، وانتهينا كعظام نخره
ونفايات على مقبرة الذل
وذلاً في زوايا مقبره

-٥-

أيها الدّرة
يا طفل المعاني البكر
يا سر الأماني الخضر
يا من فيك خبّأت الهوى العاني
وخبّأت الألم
أيها الطفلُ ، أعد لي
كبرياء الأرض في زندي
أعد لي نخوة الفرسان في خيلي
وجندي
وأعد لي ما تبقى من إباءٍ من عروقي
أو بقايا من همم
هات لي سيف عليّ ، والمثنى

هات لي سيف صلاح الدين
في حطين
هات لي روحاً ، وريحاً من
بطولات الإرادة
هات لي من جنة الله
مراسيم الشهاده
هات لي سيفاً ، وقلباً
من براكين جهنم
حتى نتعلّم
منك يا طفلي محمد

أيتها الحرية الحبيبة

الشاعر إسماعيل الوريث

بدون أن يبتسم ثغرك الجميل بالأنداء
وقت تنفس الصباح
دون أن يفوح عطرك الشذي في المساء
لا حياة لي

* * *

بدون أن أراك في الساحات والبيوت
تختلطين بالصغار وقت الدرس
وتمسحين دمع جائع : والليل قد عسعس
فلا حياة لي

* * *

بدون أن يمتد كفك المخضوب
إلى مكامن الآلام في القلوب
ليمسح الكآبة المعتقة
فيضحك العمال بعد جهد طال
ويسرح الرجال في عوالم الخيال
يبنون من شقائهم صرحاً من الآمال .
فلا حياة لي

* * *

بدون أن أراك في قارعة الطريق
تنتقلين من رصيف يحضن المشردين
إلى رصيف آخر فيه التائهون
توزعين الماء والرغيف
فلا حياة لي

* * *

بدون أن أراك أقماراً من الحلوى
وأنجماً من التمور
تفاجئ الأطفال في الأكواخ والقصور
تهبط في مدينة المسوره
وفي قرانا المعسره
فلا حياة لي
بدون أن أراك حقاً للسجين والمظلوم
وموعداً لبهجة المحروم
فلا حياة لي

* * *

بدون أن أراك ريحاً صرصراً على الطغاه
تدك جدران القلاع والحصون
تسلب منهم كل قوة وكل عون
فلا حياة لي

* * *

بدون أن أراك شمساً كلما تطلع الشموس
على بلادي كلها
تختال كالعروس
فلا حياة لي
أيتها الحرية الحبيبة
أيتها الحرية المسلوبة

.....

في زحمة الخوف

الشاعر عبد الحفيظ النهاري *

الفراشات
تسبل أجفانها
إتّقاءً لحزني
العصافير ..
تجهلُ
مايحمل القلب ..
من وجع وتغنى !

* * *

ليس ثمة جدوى
إذا قلتُ
أن السيوفَ

---

* رئيس تحرير مجلة الثقافة

على ظمإٍ للدمائي
وأن الرّدى
يذرع الكون
بحثاً
عن العنق
المنتصب
* * *
كيف اضحكُ
في وجهها ؟
والمشانق
حائلةٌ
بيننا ؟
ليس في سحرها
موطنٌ
للشجون
إذا أفصح القلبُ
عن سرّهِ ،
والدقائقُ
عاجزةٌ
(في احتمال البكاء)
* * *
عبثٌ
أن تشاطرني
عينُها
قلقي

والربيع وليدٌ
يجمع نوّاره
في اكتمال البهاء.

* * *

أيُ وجدٍ
سألبس في ملتقاها ؟
وكيف سيخفي عذابي
سحابته
في وضوح النّهار ؟؟

أسباب تقلب الموائد وتتحرش بالعابرين

الشاعـر محمد حسين هيثم *

1ـ استدراج

لم يكن جالسا
تحت أي أقتراف اسمنتي شاهق
ولم تستمله أية شجرة مارة
غير أن فكرة طائشة
لم يكن مهيأ لها
سقطت على رأسه فجأة

2ـ استثمـار

لأنك تومئ
ولأن ضحكتك مائلة قليلا

---

* نائب رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني وأمين عام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين

ولأن ثمة حكة في الرأس
ستستثمر
مترين مربعين
من بلاط قارس

3ـ استيطان

بنصف طن من القضبان
وبوابة قانطة
لا يفتحها الخطأ أو الرغبة
أفتتح في زوايا منى
مكتباً لاستعلامات العصي
ومقاسم لتوزيع الكهرباء
مشاريع سكنية للقمل والفيروسات
ولا أغادر إلى أي مكان

4ـ استرحام

كيف استطيع
الذهاب إلى النوم
وثمة أشياء ضارة
تنتظرني على المخدة
كم يتعب المخبرون
في حراسة نومنا
من الأحلام

5ـ استحكام

هوذا
ذو المنصة العالية

والصوت المجروش
يسمل
ويقلب زكائب كلام لا تحصى
زكائب
يرصها عتالون
ذوو أرواب كالحة
لركائب
تصعق
الهواء
ولا تكفي لملء راحته
هوذا
ذو المنصة العالية
والصوت المجروش
يحوقل
ويضع رأسي على الرف
ويتركني
خفيفاً
ونظيفاً
أغادر
في
أسباب
تقلب
الموائد
وتنحرش
بالعابرين

الولد الغـراب

محمد الغربي عمران *

بالأمس طلبتني لمقابلتها تحت حلق "باب اليمن" عند ذروة الزحام ، ثم أقفلت سماعة الهاتف !! تركتني أتساءل لماذا باب اليمن ؟ وفي ذروة الزحام!!؟!

لقد تعودنا أن نلتقي عند بوابة الجامع الكبير .. كلما أراد أحدنا الآخر ، اليوم عرفت أن المرأة مخلوق غامض .

هل تريدني وسط رائحة الزحام ؟ ألا تعرف أني لا أميز بين عينيها وقمريات صنعاء !! أم تريدني أن أتوه في أزقة ضحكاتها !

وصلت قبل الموعد أبحث عنها ، زحام .. زحام ، اعتليت عدة درجات حجرية ، رأيتها قادمة ، لا فرق بين ستارتها وتلك الأبنية المزخرفة .

استقبلتها مبتسماً .. لم ترد على ابتسامتي عيناها . اقتربت هامساً دون أن يصهرنا زحام ناس باب اليمن ، لم تبادلني الهمس .

فجأة خلعت ستارتها وعادت إلى الخلف عدة خطوات ، ارتفع نبض قلبي .. والناس تشكل دائرة كبيرة من حولنا . التصقت "أنا" بعمود الحجر

---

* رئيس نادي القصة (المقه) وأمين عام العلاقات الداخلية لاتحاد الأدباء اليمنيين

الأسود أنظر إليها . خلعت دبلة الخطوبة وقذفتها فوق ستارتها الملقاة على الأرض المرصوفة .. إسورة نحاسية، -خفت أن تخلع ملابسها - فجأة وقفت وهي تصرخ :

- خذ أشياءك ، اشهدوا أيها الناس أني فسخت خطبتي من هذا الغراب!!

عقدت لساني المفاجأة ... الآن عرفت لماذا حددت هذا المكان وهذا الوقت بالذات . حاولت أن اشرح لها قصتي . لكنها صممت قائلة :

- لا أريد أن يكون أب أولادي غراباً ! كيف سينظر إليهم الناس ؟

حاولت إقناعها :

- أنا لست غراباً .. هي شائعة ، أين ريشي إذاً ؟ أين منقاري ؟ أين صوت الغراب ؟ ، لكنها تركتني تحت زحام عيون باب اليمن وذهبت ؟

لم تشككني في يقيني ، ولكني أخاف أن يصدق الناس تلك الشائعة ، ولا يعرف اكثر الناس أن معظم ما نعتقده حقائق ماهي إلا محض شائعات ترسّخت بفعل السنين ... والحقيقة أن تصرفها هذا يجعلني استنتج أنها قد عرفت قصتي . والحقيقة هي :

أن أبي كان قد تزوج بأمي قبل عشرين سنة .. أملاً بأن يرزقه الله بذرية بعد أن استمر مع زوجته الأولى أكثر من عشر سنوات دون إنجاب ، وقد استجاب الله لآماله ، وولدت أمي بكرها الذي هو أنا ، إلا أن زوجة أبي السابقة ، وبفعل الغيرة ، كانت قد أطلقت شائعة بين نساء قريتنا مفادها أن المولود أسود ، انتشر الخبر عبر النساء إلى القرية مجاورة ، إلا أن الشائعة لم تصل كما هي ، فقد نقلت نساء القرية المجاورة إلى قرية أخرى "أن المولود كان قد نبت على جلده زغب أسود !!" ولم يستقر الخبر هذه المرة ، فقد انتقلت الشائعة إلى سوق "بيت الكوماني" حيث تناقل الناس هناك "أن امرأة قد ولدت ولداً يشبه الغراب وعلى جلده ريش أسود!!" .

ومن هناك أنتقل الخبر إلى مدينة ذمار :

"أن امرأة قد ولدت ولداً له منقار ورأس غراب ومخالب حادة ، حتى انه ينعق ... فسبحان الخالق".

ومن "ذمار" انتقل الخبر إلى "صنعاء"، حيث نشرت إحدى صحف المعارضة الخبر مدعماً بالصور لعدة غربان ، وكان نص الخبر المنشور كما يلي :

"ولدت امرأة من سكان إحدى قرى "ذمار" مولودها البكر غراباً أسود بكامل تفاصيله ! ولم يبلغ عمره السنة إلا وقد حلق طائراً من نافذة المنزل ، فوق أنظار سكان القرية ، وهو الآن يهيم مع جموع الغربان".

وبعد أن نشرت هذه الصحف الخبر المدعم بالصور ، نقلت وسائل الإعلام العالمية ووكالات الأنباء ذلك الخبر.

ومنذ ذلك الوقت والناس الذين قرأوا خبر الطفل الغراب يبحثون بين جموع الغربان عن ذلك الطفل الغراب ، ويتناقلون الأخبار والإشاعات حوله.

أما أنا فقد استطعت إخفاء تلك القصة الشائعة حين انتقلت للدراسة في جامعة صنعاء ، ولم أتجرأ على إخبار أحد ، حتى كان يوم تعرفت فيه على الآنسة "سميرة" وكانت زميلة لي ، وتمت خطبتنا في حفل بسيط.

وحين أخبرتها بقصة الشائعة أدركت أني تورطت ، فقد أخذت القصة على أنها حقيقة ، كنت أظنها عاقلة ، لكنها أخبرت أمها ، ثم أخاها الذي كان لا يزال يحتفظ بنسخة من إحدى الصحف التي نشرت خبر الشائعة".

وهذا أنا الآن دون حبيبة..

فهل أنا في الحقيقة غراب ، دون أن أدري !!

مهرجان أحمد الوريث الثقافي

أ.د.صبري مسلم

كان توجيه الأستاذ الدكتور عبدالله محمد المجاهد رئيس جامعة ذمار دقيقا وواضحا إذ حدد محاور مهرجان أول لكلية الآداب تحت عنوان :مهرجان الوريث الثقافي ومحاوره ثلاثة وهي : الوريث أديبا والوريث صحفيا والوريث مناضلا . وحين بدأنا العمل بوصفنا هيئة تحضيرية برئاسة الأستاذ الدكتور عادل محيي الدين الألوسي عميد كلية الآداب كنا نظن أن الموضوع دقيق ومحدود بيد أن غزارة البحوث التي وصلتنا أشرت الاستعداد الخير لأدباء اليمن ومفكريهم إذ انهالت علينا البحوث والدراسات الجادة الرصينة وبشكل لم نتوقعه .

وقد شهدت أروقة كلية الآداب بجامعة ذمار حركة دائبة سبقت يوم الاثنين المصادف (2001/4/30م) وهو اليوم الذي شهد هذه التظاهرة الثقافية الزاخرة التي اختيرت لها قاعة عبدالعزيز المقالح مكانا لانعقادها وحفلت بحضور متميز لأدباء اليمن ومفكريها وعلى رأس الحضور شاعر اليمن الكبير الأستاذ الدكتورعبدالعزيز المقالح الذي أثرى المهرجان بكلمة مؤثرة ورأس جلسة البحوث والدراسات . فضلا عن كلمة الباحث الأديب هشام علي وكيل وزير الثقافة، وكلمة الشاعر إسماعيل الوريث الذي ناب عن أسرة الفقيد المفكر أحمد الوريث . وتوالت الملخصات لبحوث وافية جادة بدأها الشاعر محمد عبدالسلام منصور الذي ارتدى جلباب الباحث وكتب دراسة جميلة وبلغة شعرية شيقة ، عنوان دراسته " الرؤية والمنهج وعلاقة العروبة بالإسلام عند الوريث" وحازت ورقة الشاعر ابراهيم

الحضرامي (من الذاكرة) مزيدا من الاهتمام ، لأن الشاعر الحضرامي–أطال الله عمره –شهد أيام الوريث ورافقه في كفاحه الدؤوب في الثلاثينات من القرن الماضي وأضاء الرائد المسرحي والشاعر محمد الشرفي جوانب من شخصية الوريث من خلال ورقته " بعض الضوء على شخصية رجل عظيم" وكشف الشاعر عبدالحفيظ النهاري رئيس تحرير مجلة الثقافة بحثه عن الوريث بوصفه صحفياً وكاتباً . وحضر الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم كي يضيف إلى ما سبق أن أنجزه إذ ألف كتابا مهما عن مجلة الحكمة ورائدها أحمد الوريث منذ عام 1976م ونشره في القاهرة . وجاء البحث القيم المشترك للدكتور أحمد الهمداني النائب الأكاديمي لرئيس جامعة عدن والأستاذ علوي عبدالله طاهر وقد كان بعنوان " دور أحمد الوريث في حركة الإصلاح "رافدا جادا و مهماً ودرس الأستاذ الدكتور صبري مسلم المفكر الرائد الوريث من خلال رؤيتين للشاعرين الكبيرين عبدالله البردوني وعبدالعزيز المقالح وعنوان الدراسة " أحمد الوريث بين رؤيتين للشاعرين عبدالعزيز المقالح وعبدالله البردوني" وكانت دراسة د. ياسين العسكري تنصب على الوريث المناضل وألقى الأستاذ عبدالكريم السوسوة بحثا عن الوريث الغائب الحاضر واستمدت الدكتورة وجدان الصائغ دراستها من حضور أحمد الوريث في النص الشعري اليمني المعاصر بوصفه رمزا مشعا موحيا في دراستها الموسومة أحمد الوريث وسلطة الحضور في بنية القصيدة اليمنية المعاصرة حيث اتخذت من قصيدة للشاعر إسماعيل الوريث ميدانا تطبيقيا وركز الدكتور مهيوب أحمد غالب جهده في بحثه عن الوريث مصلحا ومناضلا . وكان آخر البحوث للدكتور حميد دولاب ضيدان وهو تحت عنوان "الوريث مفكرا" ومما يضاف إلى ما ذكر مداخلة الأخ محمد علي الحبسي وكلمات مؤثرة ألقاها الشاعر سليمان العيسى ،وخرج حضور المهرجان بفكرة بيضاء واضحة عن الدور الرائع لأحمد عبدالوهاب الوريث ومجلته الرائدة مجلة الحكمة في تاريخ اليمن المعاصر ونهضته الواعدة ولا سيما في الارهاص لثورة عام 1962م المظفرة . وأشار الحضور جميعا بمبادرة الأستاذ الدكتور عبدالله محمد المجاهد رئيس جامعة ذمار وجهود النائب الأكاديمي أ.د جابر السنباني . وقد وعد رئيس جامعة ذمار بمهرجانين لاحقين أحدهما عن الشاعر الشهيد زيد الموشكي والآخر عن الشاعر الكبير عبدالله البردوني . عزز الله الخطى الخيرة على درب الكلمة المضيئة والحرف المنير .

رسالة كلية الآداب

د. ماشاء أحمد سعيد

أولاً : الملتقي الثاني للجغرافيين العرب الذي استضافته الجمعية الجغرافية المصرية خلال المدة 21-23 نوفمبر 2000م .

بعد عامين من انعقاد الملتقى الأول للجغرافيين العرب في رحاب جامعة صنعاء وبالتعاون مع الجمعية الجغرافية اليمنية التي ترأست لجنة التنسيق والمتابعة للإعداد للملتقى الثاني في جمهورية مصر العربية ونتيجة للجهود الكبيرة التي بذلت من الأستاذ الدكتور أحمد شجاع الدين رئيس الجمعية الجغرافية اليمنية ورئيس لجنة التنسيق والمتابعة وبالتعاون مع الأستاذ الدكتور محمد صفي الدين أبو العز رئيس الجمعية الجغرافية المصرية خلال المدة 21-23-نوفمبر 2000م تحت شعار" الوحدة العربية من خلال التنوع الجغرافي" وتحت رعاية الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء في جمهورية مصر العربية افتتح الأستاذ الدكتور علي الدين هلال وزير الشباب المصري جلسات الملتقى والقى كلمة راعي الملتقى ، كما ألقى الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ووزير الدولة للبحث العلمي كلمة بالمناسبة ، ثم ألقى الأستاذ الدكتور إيكارت إهلرز ممثل الاتحاد الجغرافي الدولي كلمة الاتحاد وكان آخر المتحدثين في الجلسة الافتتاحية الأستاذ الدكتور محمد صفي الدين أبو العز رئيس الجمعية الجغرافية المصرية الذي رحب بالمشاركين وتمنى لهم طيب الإقامة والخروج بنتائج وتوصيات تخدم الوحدة العربية المنشودة في ظل التنوع الجغرافي العربي كما حضر جلسات الملتقى عددا كبيرا من رؤساء المؤسسات

والمراكز العلمية والبحثية في مصر مثل الهيئة القومية للإستشعار عن بعد وجهاز شئون البيئة ومركز نظم المعلومات الجغرافية وهيئة المساحة الجيولوجية وغيرها.

وقد شارك في أعمال الملتقى أكثر من 150استاذاً جامعيا من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العربية مثلوا خمس عشرة دولة عربية إضافة إلى مجموعة من المتخصصين في المجالات ذات العلاقة بالدراسات الجغرافية وقد ناقش الملتقى على مدى 3أيام و13 جلسة صباحية ومسائية عدداً كبيراً من البحوث التي بلغ عددها 77بحثا غطت المواضيع الأساسية والجانبية للملتقى :

- الوحدة العربية من خلال التنوع الجغرافي : كان هذا الموضوع الرئيسي الذي تناوله الملتقى الثاني للجغرافيين العرب وهو يتسق مع المحور الرئيسي للمؤتمر الجغرافي الدولي التاسع والعشرين الذي عقد في العاصمة الكورية الجنوبية سيئول (14-18أغسطس سنة 2000م) تحت شعار "معايشة التنوع" فللتنوع الجغرافي في وطننا العربي هو الذي يعطي التضامن والتكامل والوحدة العربية مضمونا أكثر قوة ونفعا ، كما أنه يمثل بالدرجة الأولى المحور الرئيسي للدراسات الجغرافية ، وهو يؤدي إلى استقرار الأنظمة المكانية الاجتماعية وإلى توازن النظم البيئية ، كما يسهم في زيادة مقدرة المجتمعات العربية القطرية على التطور والنمو وعن طريق تعظيم استخدام معطياتها المكانية والبيئية في إطار الوحدة القومية.

وكانت المحاور الخاصة بالموضوع الرئيسي للملتقى كما يأتي :-

1- تعظيم معطيات الموقع الجغرافي المتفرد للوطن العربي استراتيجيا واقتصاديا وسياسيا مع توظيف تغاير توجهات المواقع الجغرافية للأقطار العربية وتباين علاقتها المكانية من أجل تحقيق أهداف الوحدة العربية ، وقد عرضت حول هذا المحور عشرة أبحاث وهو أقل المحاور من حيث عدد الأبحاث .

2- التنوع الجغرافي الطبيعي في الوطن العربي من النواحي الجيولوجية والجيومورفولوجية والمناخية والهيدرولوجية ... الخ وهذا التنوع يعد القاعدة الأساسية لتحقيق التكامل العربي ، وقد عرضت في هذا المحور خمسة عشر بحثا

3- التنوع الجغرافي والتنمية الاقتصادية إذ يعد التنوع الجغرافي أساس تحقيق التكامل الاقتصادي وهو الأرضية الجغرافية لقيام السوق الاقتصادية العربية المشتركة ، وقد نوقشت في هذا المحور ثلاثة وعشرون بحثا وقد كان نصيبه حوالي ثلث مجموع الأبحاث المقدمة للملتقى نظرا لأهميته.

4- تغاير أنماط التوزيع الديموجرافي في الوطن العربي وتنوع برامج التنمية البشرية في أقطاره وأثره على الوحدة العربية الشاملة والجهود التنموية على المستوى القطري وقد خص هذا المحور بخمسة عشر بحثا . .

- **تحديات علم الجغرافيا في القرن الواحد والعشرين :-**

كان هذا الموضوع الجانبي الذي تم نقاشه على هامش الموضوع الرئيسي السابق وقد تكون من ثلاثة جوانب فرعية تمثل متابعة لأعمال الملتقى الأول بصنعاء كما تمثل إعداد لجدول أعمال للبحوث الجغرافية العربية للقرن الحادي والعشرين وهذه الموضوعات هي :

1- مناهج الجغرافيا في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين .

2- الجغرافيا في الوطن العربي في عصر العولمة (النظام المعلوماتي الدولي والبحوث الجغرافية في الوطن العربي ، والجغرافيا والتغيرات التكنولوجية) .

3- الجغرافيا وتحقيق التكامل العربي في عصر التكتلات الدولية وقد قدمت حول هذا الموضوع بجوانبه الثلاثة أربعة عشر بحثا .

- **مستوى وحجم مشاركة الدول العربية :**

تباينت مشاركة الدول العربية من حيث الباحثين ونوعية الأبحاث المقدمة إذ احتلت مصر المركز الأول من حيث عدد الأبحاث وتنوعها والتي بلغت 17 بحثا وجاءت اليمن في المركز الثاني إذ شاركت بستة عشر بحثا والسعودية جاءت بالمركز الثالث بتسعة أبحاث والجزائر بسبعة أبحاث والمغرب وليبيا بخمسة أبحاث وتونس والأردن وعمان وشارك كل منها ببحثين وشاركت كل من فلسطين ولبنان والعراق والسودان ببحث واحد لكل منها .

- **تميز المشاركة اليمنية في الملتقى :**

كانت المشاركة اليمنية بارزة ومتميزة بين الدول العربية على الرغم من حداثة البحث العلمي وقلة الإمكانيات المتاحة له ولم تنحصر في تقديم الأبحاث التي شملت جميع المحاور تقريبا بل شارك أعضاء الوفد في المناقشات التي دارت خلال الجلسات المختلفة بفاعلية كبيرة كما جرت لقاءات ثنائية مع وفود الدول العربية المشاركة تم فيها مناقشة الجوانب التي يمكن من خلالها التواصل بين الجغرافيين العرب واليمنيين . وقد قدم 12 أستاذا جامعيا يمنيا من خمس جامعات يمنية 12 بحثا شملت محاور الملتقى إذ إحتلت جامعة صنعاء المرتبة الأولى من حيث عدد المشاركين من قسم الجغرافيا بكلية الآداب وهم :

أ.د/ أحمد شجاع الدين ، ظاهرة تزايد عدد المسنين في الوطن العربي (نموذج اليمن)

د/ محمد عبدالعزيز يسر ، ظاهرة التحضر المعاصر في الجمهورية اليمنية

د/ عبدالملك الجبلي ، الموارد المناخية الفسيولوجية في اليمن

د/ عوني سلام ، تطور شبكة الطرق في الدول النامية (النموذج اليمني)

د/ أمين قحطان ، الجغرافيا والتغيرات التكنولوجية تقنيات وتطبيقات الاستشعار عن بعد.

وجاءت مشاركة جامعة عدن بالمركز الثاني حيث مثلها كل من الأساتذة :

أ.د / عبدالرقيب سعيد ثابت ، النمو السكاني وأثره على تدهور البيئة المحلية في مدينة عدن

د/ قادري عبدالباقي أحمد ، الإمكانيات الطبيعية للتنمية الزراعية في اليمن

د/ محمد جعفر محمد ، التنمية البشرية والنمو الديموجرافي في مدينة عدن .

واحتلت جامعة حضرموت المركز الثالث من حيث عدد المشاركين وهم :

د/أحمد عبداللاه السقاف ، نمو تفعيل الاتجاه البيئي في المنهج الجغرافي العربي .

أ/ هشام عبدالحكيم الهندي ، أحواض المياه الجوفية في الجمهورية اليمنية .

أما جامعة ذمار فقد شارك منها الدكتور مارش أحمد سعيد ببحثه الموسوم واقع النقل البحري العربي بين الإيجابية والسلبية .

كما شارك من جامعة تعز الدكتور عبدالكريم العشاوي ببحث بعنوان أصالة المدينة العربية عنوان الوحدة العربية . وقد اعتذر عن المشاركة لأسباب مختلفة كل من الأساتذة :

د/ محمد يحيى المعافا ، جامعة ذمار

د/ محمد أحمد فلهوم جامعة حضرموت .

د/ علي مصطفى القيسي من جامعة تعز

وقد كان لدور الوفد اليمني أثره البالغ في خروج الملتقى بالعديد من الرؤى التي تعزز من دور الجغرافيين العرب في التحولات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي تمر بها الأمة العربية في الوقت الحاضر .

وفي الجلسة الختامية ألقيت عدد من الكلمات من قبل كل من الأساتذة الدكتور محمد صفي الدين أبو العز رئيس الجمعية الجغرافية المصرية والأستاذ الدكتور أحمد شجاع الدين رئيس الجمعية الجغرافية اليمنية وتليت القرارات والتوصيات التي خرج بها الملتقى الثاني للجغرافيين العرب ومن أهمها :

1- ضرورة العمل على تأسيس الجمعيات الجغرافية بالدول العربية التي لم تشكل بها جمعيات جغرافية لتنشيط التفاعل فيما بينها في إطار الوطن العربي وتحت مظلته .

2- التأكيد على أهمية اشتراك الجمعيات الجغرافية الوطنية في عضوية الاتحاد الجغرافي الدولي وتوثيق الصلات معه وتبادل الرأي حول الأنشطة الجغرافية المتاحة لوضعها على الخريطة العالمية للاتحاد.

3- تشجيع البحوث الجماعية والمشتركة بين جغرافي الوطن العربي لتحقيق أكبر قدر ممكن من التكامل بين أعمال الجغرافيين العرب تأكيدا للمشاركة الجماعية وتحقيقا للمعرفة الجغرافية المشتركة بين المدارس الجغرافية على امتداد الوطن العربي .

4- العمل على تبادل الأبحاث والمطبوعات والمؤلفات الصادرة عن الجغرافيين العرب وجمعياتهم العملية وجامعاتهم والتأكيد على أهمية المشاركة في المؤتمرات الجغرافية الدولية .

5- العمل على إخراج دليل حديث للجغرافيين العرب يضم أهم أعمالهم ومؤسساتهم التى ينتمون إليها مع العمل على تحديثه بصفة دورية .

6- توجيه مجالات البحث الجغرافي على اختلاف تشعبها نحو مشكلات الوطن العربي في ظل عصر العولمه وبما يتلاءم مع الألفية الثالثة .

7- توجيه الجغرافيين نحو الاستفادة من نظم المعلومات الجغرافية ومجالاتها التطبيقية بما يسمح بمعالجة أثار التغير البيئي وانعكاس الأنشطة البشرية على الأنظمة الطبيعية محلياً وإقليمياً والعمل على تخريج كوادر جغرافية قادرة على معالجة هذه المشكلات وتلك المواقف بأسلوب معرفي جديد .

8- التأكيد على أهمية مشاركة الجغرافيين العرب سواء على مستوى جامعاتهم أو جمعياتهم الوطنية للمشاركة الفاعلة في مؤتمر الإتحاد الدولي للجغرافيين الذي سوف ينعقد في الجمهورية التونسية عام 2008م .

9- تشجيع مشاركة الجغرافيين العرب في الملتقى الثالث والذي سيكون في ضيافة الجمعية الجغرافية السورية بدمشق عام 2002م .

10- العمل على طباعة أعمال الملتقى الثاني وبحوثه ونشرها ليقف القائمون على المناهج الجغرافية بمراحل التعليم المختلفة على ما يشغل بال الجغرافيين في الفترة المعاصرة وحتى تتوفر لهم القناعة بأهمية الجغرافيا كمادة تعليمية أساسية لبناء المواطن العربي الملم بشئون وطنه الكبير وعلاقاته الدولية والعمل على الأخذ بأحدث المناهج الجغرافية والتخلص مما يشوبها من موضوعات لا تنسجم بعصر المعرفة الكثيفة .

وقد رأى المشاركون في الملتقى تشكيل لجنة للمتابعة والأعداد للملتقى الثالث للجغرافيين العرب من كل من :

- الجمعية الجغرافية المصرية - الجمعية الجغرافية اليمنية - الجمعية الجغرافية السعودية
- الجمعية الجغرافية المغربية - الجمعية الجغرافية السورية .

على أن يعقد اجتماع للإعداد والتنسيق لهذا الملتقى وقد أكد على مساندة انتفاضة الشعب الفلسطيني الصامد ، كما يتطلع إلى رفع المعاناة عن الشعب العراقي المحاصر ويقدر معاناة الشعب الكويتي بشأن أسراه ، وقد وجه المشاركون في الملتقي برقيتي شكر وتقدير إلى سيادة الرئيس/ محمد حسني مبارك والسيد الأستاذ/ عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء وراعي الملتقى .

ثانياً: المؤتمر الثالث حول التعليم العالي الذى نظمته جامعة عدن في الفترة ما بين 11-15 نوفمبر 2000م

عقدت جامعة عدن المؤتمر الثالث حول التعليم العالي خلال المدة 11-15نوفمبر 2000م وقد تكـــون من ندوتين هما :-

ا- الندوة الدولية حول الاتجاهات الحديثة في التعليم العالي

- الندوة التقويمية لجامعة عدن .

وقد ناقش المؤتمر وعلى مدار خمسة أيام أكثر من 35 بحثاً علمياً في 12 جلسة عمل واشـــتملت الندوة الأولى على أربعة محاور وكانت الأبحاث موزعة عليها كما يأتي :

1- محور المناهج الدراسية واستجابتها لسوق العمل سبعة أبحاث .
2- محور البحث العلمي والتنمية في عالم متغير سبعة أبحاث .
3- محور تحديث الإدارة سبعة عشرة بحثاً .
4- محور الانتماء أربعة أبحاث .

أما الندوة الثانية التقويمية فقد تم خلالها عقد ورشة عمل بعنوان تقويم نشاط جامعة عدن بـــين المؤتمرين الثاني والثالث وما تم انجازه من قرارات المؤتمر التقويمي الثاني . المنعقد في عـــام 1995م كمـــا قدمت عدد من أوراق العمل من قبل أعضاء هيئة التدريس بجامعة عدن ومنها ورقـــة حـــول النـــدوات التقويمية وما عكسته من رؤى للكليات وأخرى عبرت عن رؤية الأساتذة حـــول المنـــاهج الدراســـية في الجامعة .ودراسة تقويمية لواقع المراكز العلمية والبحثيه التابعة للجامعة . أما من حيث حجـــم المشـــاركة فقد كان جيداً من داخل اليمن وخارجه وكان للجامعات اليمنية الحكومية مشاركة فعالة ومنها جامعـــات صنعاء وذمار وتعز وحضرموت إضافةً إلى جامعة عدن المستضيفة ، إلا أن مشاركة جامعة ذمـــار كـــانت متميزة من حيث عدد الأساتذة الذين ألقوا الأبحاث التي توزعت على محاور الندوة الأربعـــة إلى جـــانب المداخلات القيمة في النقاش التقويمي لجامعة عدن والباحثين المشاركين هم :-

1- الأستاذ الدكتور نعمان الأسودي ، سيكولوجية الإدارة الجامعية في اليمـــن في ضـــوء معيـــاري الكفاءة والفعالية .
2- الدكتور مارش أحمد سعيد العديني ، نحو منهج جغرافي يستجيب لسوق العمل .
3- الدكتور أحمد سيف حيدر ، العلاقة بين التعليم العالي والتنمية .
4- الدكتور محمد يحيى المعافا ، التعليم العالي في ضوء المتغيرات المستقبلية .
5- الدكتور محمد عبد الله السياني ، تلازم التعليم العالي والتنمية - ولكنه لم يتمكن من الحضـــور -

وقد خرج المؤتمر بعدد من التوصيات المهمة حول التعليم العالي واتجاهاته الحديثة وعـــدد مـــن

القرارات التي ستوجه العمل في جامعة عدن خلال الخمس السنوات القادمـة 2000-2005م سواء في الجانب الأكاديمي أم الإداري بجميع المستويات .

وقـــد أصدرت الجامعة الأبحاث المقدمة إلى الندوة بمجلد خاص بذلك .

ثالثاً : ندوة الهجرة والإغتراب التى انعقدت في الفترة ما بين 17-18 يناير 2001م

نظم مركز دراسات الهجرة والاغتراب بجامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا وبالتعاون مـــع وزارة شئون المغتربين " ندوة الهجرة والاغتراب " تحت عنوان " المغتربون اليمنيون في شرق أفريقيا وشـبه الجزيرة العربية " خلال المدة 17-18 يناير 2001م وقد أشتملت على محورين أساسين فقط هما المحـور التاريخي والثقافي والمحور الجغرافي والإقتصادي وبلغ عدد الأبحاث المقبولة 25 بحثاً كان نصيـب المحـور الأول 13 بحثاً والمحور الثاني 12 بحثاً .

كما شارك في أعمال الندوة ممثلون عن الجاليات اليمنية في دول شرق أفريقيا وشـبه الجزيـرة العربية ودول الخليج العربي .

وكانت مشاركة الجامعات اليمنية محدودة إذ كانت معظم الأبحاث المقدمة من باحثي جامعتي حضرمـوت وعدن بإستثناء مشاركة باحثين من جامعة صنعاء وباحثين من جامعة ذمار هما :

د/ مارش أحمد سعيد : شارك ببحث تناول فيه تحليلاً جغرافياً للعوامل التى ساعدت على هجرة اليمنيـين إلى شرق أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وركز على العوامل الجغرافية الطبيعيـة كـالموقع الجغـرافي – مظاهر السطح المتشابهة – عناصر المناخ والتربة والنبات إضافـة إلى العوامـل الجغرافيـة البشـرية المتعددة.

د/ محمد إبراهيم الصانع : ألقى بحثا استعرض فيه معوقات البحث العلمي في اليمـن وأثرهـا في هجـرة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات اليمنية وأشار إلى نوعين من المعوقات هما المعوقات الماديـة التى تحد من نشاط الأستاذ وتمنعه من البحث والدراسة والتجديد ومعوقات معنوية أهمها عـدم الاهتمام والعناية بالأستاذ الجامعي ومنحه المكانة التى تليق به من قبل الدولة والمجتمع .

وقد اختتمت الندوة أعمالها بإصدار عدد من التوصيات التى ركزت على الإهتمـــام بحـل مشـكلات المغتربين وربطهم بوطنهم الأصلي والإعتناء بأبنائهم من حيث التعليم ســواء في بلـد المـهجر أو في الوطن ، وإعطاء المغتربين الفرص والتشجيع لإستثمار أموالهم في اليمن والمساهمة في التنميـة ، ومـن أهم القرارات التنفيذية للندوة إعلان قيام بنك خاص بالمغتربين وتشكيل لجنة من المغتربين للإعـداد وإنشاء البنك .

وقد تكلفت وزارة شئون المغتربين بطباعة الأبحاث المقدمة والمقبولة من قبل اللجنة العلمية للندوة في مجلـد خاص بذلك .

رابعاً : الملتقى العربي ((السكن ومتطلبات الأجيال القادمة))

استضافت جامعة ذمار الملتقى العربي ((السكن ومتطلبات الأجيال القادمـــة)) وبالتعـاون مـع وزارة الإنشاءات والتخطيط الحضري واتحاد مجالس البحث العلمي العربية في الفترة ما بين 16-18أكتوبـر 2000م .

كـان للملتقى هدفان أساسيان هما :-

1- إثارة إهتمام المسئولين وعلماء الإجتماع والاقتصاد والمهندسين في دراسة العوامـل الاجتماعيـة والاقتصادية والبيئية وأخذها بنظر الإعتبار عند تصميم السكن المستقبلي .

2- جلب إهتمام المهندسين بمختلف إصنافهم إلى أهمية اللجوء إلى استخدام المواد الأوليـة المتوافـرة محلياً قليلة التكلفة في بناء السكن المستقبلي والأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات المناخيـة والبيئيـة وأثرها على السكن المستقبلي .

و قد أحتوى الملتقى على أربعة محاور ضمت حوالي 72 بحثاً علمياً شملت المحاور الأربعة وكما يأتي :

1- المحور الأول : السكن العربي في الماضي : مواصفاته ومميزاته ومدى تكيفه للبيئة والمجتمـع وقـد نوقشت فيه 18 بحثاً علمياً .

2- المحور الثاني : السكن في بعض دول العالم ذات المناخ والبيئة المماثلة للدول العربية ومدى المرونـة التي يتمتع بها ، وقد نوقشت فيه 18 بحثاً .

3- المحور الثالث : متطلبات السكن المستقبلي من حيث مواد البناء المحلية ، طبيعة وتطور المجتمـع ، ملاءمته للعمل من سكن داخلي ، ملاءمته للبيئة والطقس في كل منطقة مـن منـاطق الوطـن العربي ، نوقشت فيه 13 بحثاً .

4- المحور الرابع : التصميم الأمثل للسكن العربي المستقبلي وفق المتغيرات الاجتماعية والإقتصاديـة للبيئة وقد نوقشت فيه 18 بحثاً فقط مع العلم بأن هناك عدداً من الباحثين من عدد من الـدول العربية والاجنبية لم يتمكنوا من الحضور ولم يتم إلقاء أبحاثهم في الملتقى .

لقد كان لجامعة ذمار مساهمة جيدة من خلال مشاركة أساتذتها في جلسات الملتقى وتقديمهم لعـدد من الأبحاث العلمية في مختلف المحاور المذكورة وكما يأتي :-

-في المحور الأول شارك الدكتور مارش أحمد سعيد العديني ببحث ((تحليل جغرافي لأوضاع السـكن في اليمن)) وركز فيه على الخدمات المتوافرة ومتطلبات المساكن اليمنية منها وكذلك التناسـب بـين السكن وعدد السكان وأزمة السكن وحجم المساكن المطلوبة لمواجهة أزمـة السـكن للمسـتقبل

القريب والمتوسط . وشارك الدكتور أحمد السامرائي الأستاذ بقسم الجغرافيا مع الدكتور باسم القيم الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة صنعاء ببحث ((أثر المحددات الطبيعية على النمو الحضري لمدينة ذمار)) .

- في المحور الثاني شارك المدرس المساعد بكلية الهندسة بجامعة ذمار أرقم عبد الحميد البنوس ببحث حول ((الشكل والطاقة مفهوم نسبة المساحة السطحية إلى الحجم كمعيار للكفاءة المناخية للأشكال البنائية)) .

-في المحور الثالث شارك الدكتور نجيب علي عبدالله المقطري الأستاذ المساعد بكلية الهندسة والسدود ببحث حول تجديد الأحياء التراثية السكنية والحفاظ عليها كما شارك الدكتور محمد محمد الحيفي الأستاذ المساعد بكلية الهندسة أيضاً ببحث حول الخواص الإنشائية والمعمارية للحجر المستخدم في إنشاء المباني في الجمهورية اليمنية .

-في المحور الرابع : شارك كل من الدكتور محمد محمد الحيفي والمدرس المساعد أرقم عبدالحميد اليونس ببحث مشترك ألقاه الأخير حول تأثير الخواص الحرارية لمواد البناء المحلية في اليمن على الأداء المناخي للأبنيه السكنية.

مع العلم بأن المشاركة اليمنية بشكل عام كانت عالية وبلغت نسبة الأبحاث المقدمة من الباحثين اليمنيين حوالي 50% من إجمالي الأبحاث .

رسالة كلية التربية

د. محمد الصانع *

تولي جامعة ذمار برئيسها الأستاذ الدكتور/ عبد الله الجاهد قضايـا البحـث العلمـي والمشـاركات الأكاديمية أهمية قصوى ، حيث أوفدت الجامعة عددا لا بأس به من أعضاء هيئة التدريـس للمشـاركة في المؤتمرات العلمية الإقليمية والدولية بعد حصول أولئك الأساتذة على موافقات لعرض أبحاثـهم في تلـك المؤتمرات وإلى جانب ذلك يشارك أعضاء هيئة التدريس في جامعة ذمار بفعالية بالمؤتمرات العلمية الداخليـة التي تقيمها الجامعات اليمنية ومن أبرز تلك المشاركات والفعاليات الأكاديمية ما يلي :-

أولا : المشـاركـات الخـارجيـة :

1. المؤتمر العلمي الثاني بكلية التربية -- جامعة أسيوط من 18-20إبريل 2000م حول الـدور المتغـير للمعلم العربي في مجتمع الغد حيث شارك الأخ الدكتور. أحمد سيف حيدر ببحث تحت عنـوان "دور العملية التعليمية في تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى طلبة كلية التربية – جامعة ذمار "
2. مؤتمر البحث العلمي في الوطن العربي وآفاق الألفية الثالثة والذي أقامته جامعة الشارقة في إبريـل 2000م وقد شارك في هذا المؤتمر الأخ الدكتور . محمد السياني من كلية العلوم الإدارية ببحث حـول قضايا البحث العلمي في مجال التعليم العالي في الأقطار العربية .

---

* رئيس قسم الأحيـاء ، كلية التربية ، جامعة ذمـار

3. المؤتمر التربوي الأول بجامعة مؤته بالأردن من 29–31أكتوبر 2000م حول قضايا التعليم وتحديات القرن الحادي والعشرين وقد شارك في هذا المؤتمر الأخ الدكتور . محمد إبراهيم الصانع ببحث تحت عنوان "تفعيل مناهج ومقررات العلوم في اليمن للصفوف (السابع ، الثامن ، التاسع)من التعليم الأساسي لتوافق قضايا ومتطلبات العصر " .

4. المؤتمر العلمي السابع بكلية المأمون – جامعة بغداد من 27–28 مارس 2001م حول قضايا تربوية وجغرافية واقتصادية تهم الأقطار العربية وقد شارك في هذا المؤتمر الأخوين :

د. أحمد سيف حيدر وكانت دراسته حول "التعليم التقني والتدريب المهني في الجمهورية اليمنية " .

د. محمد إبراهيم الصانع وكانت دراسته حول " مشكلات التربية العربية في إطار العولمة والثقافة " .

5. المؤتمر التكنولوجي العراقي السابع والذي تقيمه الجامعة التكنولوجية في بغداد والمنعقد من 8–10 مايو 2001م حيث شارك فيه الأخ الدكتور . محمد الحيفي من كلية الهندسة ببحث حول "واقع الموارد المائية في الجمهورية اليمنية وتطوير استخداماتها في المستقبل " ، كما شارك الأخ الدكتور. عبد الله العرشي في فعاليات هذا المؤتمر أيضا .

6. مؤتمر جامعة الزيتونه بالأردن حول " قضايا المعلوماتية ودورها في دعم القدرات الاقتصادية العربية " وقد دعي إلى هذا المؤتمر الدكتور. محمد السياني للمشاركة في فعاليات ومداخلات هذا المؤتمر .

ثانيا :ـ المشاركات الداخلية :

هناك العديدمن المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية الداخلية التي أقامتها الجامعات اليمنية وقد كان لجامعة ذمار حضوراً فاعلاً فيها ومن تلك الملتقيات ما يلي :–

1– الندوة العلمية الأولى للإرشاد النفسي والتربوي والتي أقامتها جامعة صنعاء في كلية التربية بعمران وذلك في 2000/11/23م حيث شارك الأخوين :

–د. أحمد سيف حيدر من كلية التربية بورقة عمل حول دور الإرشاد في العملية التربوية والتعليمية وفي بناء الشباب في اليمن كما شارك الأخ د. مسعد احمد النجار من كلية الآداب بورقة عمل أخرى حول " الإرشاد النفسي في المجتمع الإسلامي".

2– ندوة واقع البحث العلمي في جامعة عدن والجامعات اليمنية الأخرى والتي نظمتها جامعة عدن من 4–1999/12/6م . وقد شارك في هذه الندوة من جامعة ذمار الأخوة :

أ.د. نعمان الأسودي نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب بدراسة حول "البحث العلمي في الجمهورية اليمنية وعلاقته بمدخلات وعمليات ومخرجات التعليم العالي " .

د. محمد إبراهيم الصانع الذي شارك بدراسة حول "البحث العلمي في إطار التفاعل بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع" .

د. محمد يحيى المعافا وقد شارك في تقديم دراسة مشتركة مع د. احمد سيف حيدر بعنوان "البحث العلمي والتنمية في اليمن" .

4_ الندوة العلمية الثانية للبيئة في جامعة إب والتي عقدت من 18–20 نوفمبر 2000م وشارك فيها الأخوة :

د. محمد إبراهيم الصانع وكان بحثه "أثر تضمين البعد البيئي في مناهج العلوم على اكتساب الاتجاهات البيئية لدى عينة من طلبة الصف السابع أساسي في أمانة العاصمة" .

د. احمد سيف حيدر وكان عنوان بحثه "دور التربية البيئية في ضوء المتغيرات المستقبلية" .

د. محمد يحيى المعافا وكان بحثه "فعالية مقرر التربية البيئية على اتجاهات طلاب كلية التربية نحو البيئة ومشكلاتها في جامعة ذمار" .

هذا وهناك الكثير من الفعاليات والأنشطة الأكاديمية الأخرى لم يتمكن المتابع من رصدها وتلخيصها لهذا العدد وخصوصا المشاركات الأكاديمية للأستاذ الدكتور عبدالله الجاهد رئيس الجامعة والأستاذ الدكتور . جابر السنباني نائب رئيس الجامعة للشئون الأكاديمية بفعل إنشغالهما في تسيير شئون الجامعة كما أن هناك آخرين من الأساتذة اليمنيين والأشقاء العرب شاركوا في ملتقيات علمية وأكاديمية لم يتمكن المتابع من رصدها في هذا العدد على أمل أن يوافي قراء المجلة بتلك الفعاليات في العدد القادم .

كلمة مديرة التحرير

أحمد الوريث بين مدينة ذمار وجامعتها .

بقلم د. وجدان عبد الإله الصائغ

ثمة سؤال يطرح نفسه مفاده : من أين نبدأ حين يكون أحمد عبدالوهاب الوريث موضوعا للحديث ؟ فهل يكفي أن نقول إن هذا الرجل قد شكل حضوره أفقا ثوريا يشذر سماء الحركة الأدبية اليمنية ويمنحها ميزة المبادرة والإنطلاق ؟ وهل نكتفي بالإشارة إلى عراقة مدينة ذمار في احتضان المبدعين ؟ وهل تفلح هذه السطور في فضح مسا تختزنة مرجعية المكان من زهو ونشوة بمنجزات هذا (الرجل/المدار) الفكرية ومسيرته الكفاحية المسلحة بالسلام والكلمة النيرة ؟ وهل يمكن لهذه الورقة أن تعكس كل ماتضج به الذاكرة اليمنية ولا سيما الذمارية من ولع آخاذ بأحمد عبدالوهاب الوريث وذاته الوضيئة المتمردة على شراسة الآخر عتمته ؟ وكيف خلف غيابه المباغت جرحا نازفا على جدار الروح؟ كل هذه التساؤلات وجدت طريقها إلى ذهني وأنا أرقب الاستعدادات المشتركة بين رئاسة جامعة ذمار برئيسها الأستاذ الدكتور عبدالله المجاهد والنائب الأكاديمي الأستاذ الدكتور جابر السنباني وكلية الآداب والألسن بعميدها الأستاذ الدكتور عادل محي الدين الألوسي والتحضيرات الدائبة لإنجاز هذه التظاهرة الثقافية الرامية إلى إستحضار ذكرى أحمد الوريث هذا المفكر اليمني الكبير إلى مرايا الذاكرة المعاصرة بوصفه أديبا وصحافيا ومناضلا .

وقد توجت هذه الجهود الخيرة بالنجاح حين انطلقت فعاليات مهرجان الوريث الثقافي الأول بتاريخ 30ابريل2001م إذ انتشت قاعة عبدالعزيز المقالح في مبنى الجامعة الجديد بأصوات مفكري اليمن وأدبائها وشعرائها وهي تصدح بذكرى هذا العلم (الغائب / الحاضر) ،و قد حظيت منصة المهرجان بمشاركة شاعر اليمن الكبير الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح رئيس جامعة صنعاء، والشاعر محمد عبدالسلام منصور، ورائد المسرح اليمني الشاعر محمد الشرفي ،والشاعر عبدالحفيظ النهاري ،والشاعر اسماعيل الوريث ،والباحث الاستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم والأستاذ الدكتور أحمد الهمداني وسواهم من الباحثين والمهتمين . وقد أضفى حديث الذكريات للشاعر القدير إبراهيم الحضراني زميل أحمد الوريث ورفيق كفاحه على محاور جلسة المهرجان أفقا خاصا حفز المخيلة على استدعاء ملامح أحمد الوريث الشاب المفعم بوقد الحلم ووهج الانعتاق.

ولا ننسى النكهة المتميز ة المتخلقة من حضور الأديب الأستاذ هشام علي بن علي وكيل وزير الثقافة والشاعر الكبير سليمان العيسى والرائد القصصي الأستاذ الدكتور شاكر خصباك ، ورئيسة ملتقى لقى للإبداع النسوي الشاعرة نبيلة الزبير ،ورئيسة اتحاد الأدباء فرع ذمار الشاعرة أمة الخالق مهراس، والشاعرة ابتسام المتوكل ،والشاعرة نادية المرعي والقاصة هدى العطاس و...و...وغيرهم

وإننا إذ ننظر بعين الاعتزاز والتقدير لهذه الجهود المشهودة التي اشتغلت على إنجاح هذه التظاهرة الثقافية فإننا نشيد بما قاله الأستاذ الدكتور عبدالله المجاهد رئيس جامعة ذمار بأن هذا المهرجان هو فاتحة لعنقود من الاحتفالات الثقافية بأعلام مدينة ذمار هذه المدينة التاريخية بدءا بزيد الموشكي وفقيد الأدب العربي الشاعر عبدالله البردوني .

أن تزامن صدور هذه المجلة مع فعاليات مهرجان الوريث الثقافي الأول يحيل إلى النهج الأكاديمي الرصين لجامعة ذمار وسعي هذه المؤسسة المعرفية الجادة بأن تحفر لها مكانا متميزا بين الصروح العلمية التي تمنح طلابها – ممن ينتمون إلى الدراسات الأولية أو الدراسات العليا – مناخا ثقافيا وقادا .

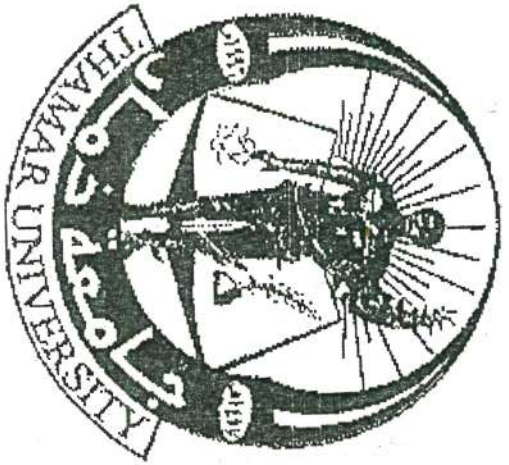
جامعة
THAMAR UNIVERSITY